



الساحلي زكريا.

بابل
زهرة الحياة

زكريا

سقط الشيطان من سماء الأربعة، وطرد آدم من حنة عدن، فهبطا مما إلى الأرض حيث استقر الشيطان في وادي هوم واتخذها بوابة إلى عالمه السفلي المكون من تسع طبقات لولبية على شكل هرم مقلوب فاجتده على فئسة الأرض ومقعه في باطنها، أما آدم فقد انقسمت ذريته إلى نصفين بعد مقتل ابنه هابيل. فقايمين رجع إلى أرض نواد قرب عدن وأسس مدينة حوك هناك، فيما عملت ذرية شيت على بناء مدينة لها وسط نهر الفرات سميت بابل، فحسد لها الشيطان جيشا لعماريتها قبل أن ينظر الإنسان وبسيطر على كل الأرض.

وهي هذا الصدد أورد ابن كثير أن "مهلائيل بن فينان بن أروش بن شيت بن آدم عليه السلام هو ملك الأقاليم السبعة قام بتأسيس مدينتي محضتين هما: مدينة بابل ومدينة السوس اللغصن ليحتمي بها الإنس من أي خطر يهددهم.

ثم أسس جيشه البرنسي الذي كان أول جيش في حياة الإنس للدفع عن بابل وسوس اللغصن، وهاجت معركة رهيبه بين جيش مهلائيل وجيش إبليس، وكذب الرب النعر فيها للإنس، حيث قتل بها المردة والغيلان وعدد كبير من الخان، وفر إبليس من المواجهة" (1)

جميع الحقوق محفوظة
جميع الحقوق محفوظة
جميع الحقوق محفوظة
جميع الحقوق محفوظة

بابل
زهرة الحياة

زكرياء الساحلي

بابل

زهرة الحياة

— رواية —

بابل (زهرة الحياة)

- المؤلف: زكرياء الساحلي
- تصميم الغلاف: عثمان توري
- الطبعة الأولى: 2020
- جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
- الإيداع القانوني: 2020MO4924
- ردمك: 0-610-32-9920-978
- مطبعة وراقية بلال - فاس / المغرب
- الهاتف / الفاكس: 05.35.61.86.03
- الواتساب: 06.14.23.37.57
- المحمول: 06.61.6870.55
- العنوان: رقم 204 شارع المدينة المنورة حي الأمل / النرجس - فاس / المغرب

إهداء

إلى المنبوذين
سكان العالم السفلي
إلى أنصاف الأموات
أهدي إليكم هذا الكتاب

تقديم:

شجرة الخلد / شجرة الحياة

كان في جنة عدن أشجار كثيرة، لكن اثنتين منها كانتا مختلفتين، فالأولى كانت شجرة المعرفة التي أمر آدم بالأكل منها. "وَأوصَى الرَّبُّ الإلهَ آدَمَ قَائِلًا: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلًا، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلُ مِنْهَا، لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ»"¹.

الشجرة الأخرى كانت شجرة الحياة؛ يقول العهد القديم "بعد أن عصى الإنسان وأكل من شجرة معرفة الخير والشر، طرده الرب من الفردوس «فَطَرَدَ الْإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنِ الْكُرُوبِيمِ، وَلَهَبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ»"².

لم يكن مسموحا للإنسان بعد عصيانه أوامر الرب أن يظل في الجنة حتى لا يأكل من شجرة الحياة فيعيش خالدًا بالخطيئة، فكان هذا سببا مباشرا لطرده من الجنة حتى لا يخلد مع المعصية «وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ»³.

في القرآن الكريم يقول الله تعالى «وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ»⁴، ثم تتحدث آية صريحة أخرى عن شجرة الخلد وعن دور الشيطان في غواية آدم من أجل قطف ثمارها «فَوَسَّوسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْئُتِي»⁵ حيث كان الشيطان

1 (سفر تكوين 2: 16-17)

2 (سفر تكوين 3: 24)

3 (سفر تكوين 3: 22)

4 (سورة البقرة الآية: 35)

5 (سورة طه الآية: 120)

يهدف إلى نزع ثمرة الخلد من آدم مباشرة بعد قطفها لينعم بالخلد الأزلي لكن آدم قطف من الشجرة الأخرى شجرة المعرفة.

سقط الشيطان من سماء الرفعة، وطرده آدم من جنة عدن، فهبطا معا إلى الأرض حيث استقر الشيطان في وادي هنوم واتخذها بوابة إلى عالمه السفلي المكون من تسع طبقات لولبية على شكل هرم مقلوب قاعدته على قشرة الأرض وقمته في باطنها، أما آدم فقد انقسمت ذريته إلى نصفين بعد مقتل ابنه هابيل، فقايمين رجع إلى أرض نود قرب عدن وأسس مدينة حنوك هناك، فيما عملت ذرية شيت على بناء مدينة لها وسط نهر الفرات سميت ببابل، فحشد لها الشيطان جيشا لمحاربتها قبل أن يتطور الانسان ويسيطر على كل الأرض.

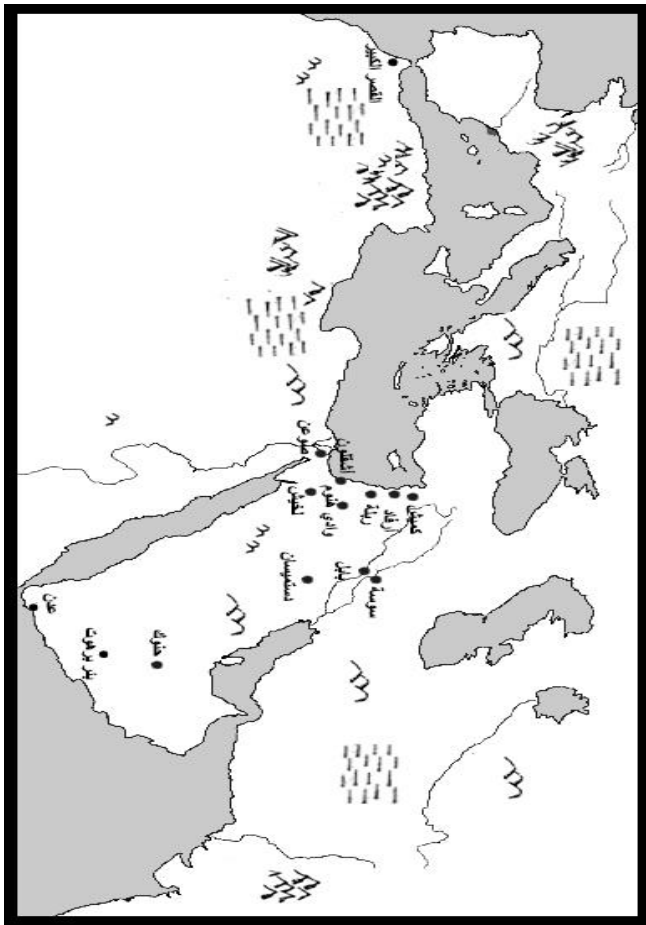
وفي هذا الصدد أورد ابن كثير أن "مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام هو ملك الأقاليم السبعة قام بتأسيس مدينتين محصنتين هما: مدينة بابل ومدينة السوس الأقصى ليحتمي بها الإنس من أي خطر يهددهم.

ثم أسس جيشه الإنسي الذي كان أول جيش في حياة الإنس للدفاع عن بابل وسوس الأقصى، وقامت معركة رهيبة بين جيش مهلائيل وجيش إبليس، وكتب الرب النصر فيها للإنس، حيث قُتل بها المردة والغيلان وعدد كبير من الجان، وفرّ إبليس من المواجهة"⁶

وهكذا بدأت الحكاية؛ حكاية حرب شارك فيها جميع من في الأرض من إنس وجن قصد السيطرة والخلود.

خريطة*:

⁶: البداية والنهاية، ابن كثير، الفصل 4



-1-

شمهروش⁷

ها أنا قادم إليك من جديد.

ككل سنة أقف عند بوابة ضريحك بدار الدباغ، أستشعر من خلالك الماضي الدفين والمنسي، ككل الأشياء الجميلة المنسية في هذه المدينة اليتيمة، التي لم يبق لها أثر سوى ما خط في كتب التاريخ، وأطلال مبعثرة تقاوم الاندثار. كيف لا تنسى وأنا أشاهد في نشرة الأخبار دولة العراق تطلب من منظمة اليونسكو⁸ تصنيف مدينة بابل ضمن المدن التراثية العالمية، بابل تلك المدينة التي انطلقت منها الحضارة البشرية صارت اليوم نسيا منسيا، فما بالك بالقصر الكبير⁹ المدينة التي أصابتها لعنة الرجوع إلى الخلف.

شمهروش.

كنت أتساءل لماذا جعلت ضريحك في مدينة منسية كهذه، هل يستحق القصر الكبير منك كل هذا الاهتمام لتجعله مقاما لك؟ وجل حياتك المعاصرة قضيتها في محمكتك بجبل توبقال¹⁰ تفصل في المنازعات التي تحصل بين الجن والانس على مر التاريخ.

أسئلة أ طرحها دائما في صمت كلما هممت بتنظيم رحلة مدرسية نحو دار الدباغ.

⁷ شمهروش: أحد ملوك الجن الأرضيين السبعة المكلف بحل المنازعات التي تحدث بين عالمي الإنس والجن.

⁸ منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة

⁹ القصر الكبير: مدينة تقع في الشمال الغربي للمغرب

¹⁰ توبقال: أعلى القمم الجبلية بشمال إفريقيا، في الجهة الجنوبية قرب مدينة مراكش المغربية

كانت الساعة تشير إلى العاشرة صباحا من يوم الخميس 16 من تشرين الثاني، وأنا أقف قرب باب المدرسة الثانوية أعد طلابي وهم يهتمون بالصعود إلى حافلة المدرسة استعدادا لأول جولة ميدانية في هذا الموسم الدراسي.

أستطيع أن أسمع دقات قلوبهم تتسارع فرحا بهذه الجولة، هروبا من النمط التدريسي العتيق، فقد كنت أؤمن أن البحوث الميدانية تبقى راسخة أكثر من الدروس النظرية في أذهان المتدربين، ولهذا كنت أنظم لطلابي بين الفينة والأخرى زيارات متكررة لساحات المعارك القديمة، وللآثار المتبقية، والعمران القديم، وكنت أبدأ جولتي السنوية بزيارة دار دباغ، وأختتمها مع قرب نهاية الموسم الدراسي بزيارة ساحة معركة وادي المخازن¹¹ التي قلبت موازين العالم في القرن 16م.

بالرغم من أنني أستاذ لمادة التاريخ والفن، فاني أعتبر أن هذه المادة ليست ترفا مكملا في مناهج التعليم، أو غوصا في ماض لا جدوى منه، وإنما أجزم أن معرفة التاريخ والفن يساهمان في تنمية البلاد تنمية حقيقية، فمن لا ماضي له لا مستقبل له، ومن لا فن له لا حضارة له.

- لم يبق إلا أنت يا أستاذ (إلياس) ألن تصعد إلى الحافلة؟
قاطع سائق الحافلة (إدريس) تأملي الدائم، فصعدت إلى الحافلة استعدادا للانطلاق في جولتنا المعتادة.

- إن الجو غائم وقد تمطر قريبا، هل نؤجل الرحلة الميدانية إلى يوم آخر؟

خاطبني إدريس، وهو يعلم أنني سأرفض فكرة تأجيل الرحلة، فهو يعرفني جيدا ويفهم سلوكي ونواياي. كان صديق الطفولة، وينحدر من

¹¹ وقعت في 04 أغسطس 1578 نواحي القصر الكبير، وتسمى كذلك بمعركة الملوك الثلاثة وقعت بين البرتغال والسلطة المركزية في المغرب الأقصى.

نفس القرية التي ترعرعت فيها؛ قرية السواكن الواقعة ضواحي مدينة القصر الكبير، فقد أمضينا نعمة أظافرنا معا ونحن نقب بين الصخور المجاورة للقرية عن أثر مادي متعلق بمعركة وادي المخازن التي وقعت على مشارف قرينتنا.

كنا نلعب كذلك في المستنقعات، ونربي الشراغيف والضفادع الصغيرة في البرك الراكدة التي تبقى راسخة بعد موسم الأمطار، إلى أن توقفنا عن ذلك بعد إصابة إدريس بمرض الملاريا، فتوقف معه مساره الدراسي، ولأنقل أنا بعد سنين إلى الجامعة، وبعدها صرت أستاذة لمادة التاريخ والفن، وأشتغل حاليا بمدينة القصر الكبير التي أمضيت فيها لحدود اللحظة أربعة أعوام مستقرا بفندق (أطلس) الشعبي بحي الديوان، والتي استقر فيها كذلك صديقي إدريس، بعد أن عثر على عمل في إحدى شركات النقل الوطنية، ليكون شريكي في ذات الفندق، ولترتبط حياتنا مجددا، منعشة ذكريات الماضي، وراسمة خطوطا لمستقبل مشترك آخر.

توقفت الحافلة قرب ضريح مولاي علي بوغالب، الضريح الذي قدر له أن يوجد في مقدمة شارع طويل سمي على اسمه، فشاهدت حالته المهجورة وبناءه الأيل للسقوط بعد أن هجره الجميع، وقفت وسط الحافلة بين الطلاب المحمقين بأعينهم حولي وقلت:

- إنه ضريح مولاي علي بوغالب؛ الأكيد أنكم تعرفونه جيدا، فأنتم أبناء هذه المدينة، لكن دعوني أحدثكم عنه قليلا، إن هذا المقام يعود للشيخ العلامة الفقيه العارف بالله تعالى، أبو الحسن علي بن خلف بن غالب الأنصاري القرشي الأندلسي الفاسي، ولد في (شلب)¹² بغرب الأندلس جنوب البرتغال، ثم انتقل إلى قرطبة، ثم فاس التي درس فيها العلوم وصار من كبار فقهاءها، ثم انتقل إلى القصر الكبير التي أمضى

12 مدينة شلب: بالبرتغالية تسمى Silves؛ سيلفش

فيها ما تبقى من حياته، وجعلها قبلة للعلماء والصالحين الذين حجوا إليها من كل حدب وصوب، وكان إماما للجامع الأعظم وتوفي سنة 567 هـ تاركا إرثا تاريخيا هاما لهذه المدينة.

بحسرة انتقلت الحافلة إلى وسط المدينة لتعرج على حي الديوان، فأخبرت طلابي أن تحت هذه الأرض توجد مدينة أخرى مطمورة، وما مدينة القصر الكبير حاليا إلا المدينة السابعة التي تبنى على هذه الأرض. فكلما تم تدمير مدينة عليها إلا وتم بسرعة بناء مدينة أخرى فوق أطلالها، كأنها تتحدى اللعنات والأزمات وتجدد نفسها كالعنقاء بين المدن.

وصلنا إلى الجامع الأعظم فتوقف بنا إدريس وقال:

- صديقي إلياس سأنتظرك في المقهى كالمعتاد.

كان إدريس يرفض مشاركتي في الجولات الميدانية، حيث أنه بات حافظا لكل ما قد أقوله، لذلك كان يفضل أن ينتظرنني على شرفة المقهى وهو يحتسي كأسا من الشاي والنعناع الدافئ، فوفقت مع طلابي قرب باب المسجد وقلت:

- هذا أعظم أثر شاهد على تاريخ المدينة، فقد كان معبدا وثنيا، إلى أن حل به أحد حواربي سيدنا عيسى وحوله إلى كنيسة، ولما دخل الإسلام إلى المغرب الأقصى تحول إلى مسجد، وفيه كما أخبرتكم كان الإمام مولاي علي بوغالل يخطب في الناس يوم الجمعة، وما هو الآن لا زال قائما شامخا بصومعته نحو الأعلى، وتحتة مطفية سرية تحوي كنوز الرومان والإغريق والفينيقيين الذين مروا من هنا، وكثيرا من الشواهد والآثار القيمة التي عثر على بعضها، وظل بعضها الآخر عالقا تحت هذه الأرض.

وهناك على بعد خمسين مترا توجد صومعة البنات، وبها برج لولبي تزوره الفتيات العانسات اللواتي يرغبن بالزواج، وعلى يمين هذا الجامع يوجد حمام تعرفونه بالتأكيد؟

أجاب أحد الطلبة:

- نعم نعرفه يا أستاذ إلياس إنه حمام ملك الجن (سيدي ميمون).
ضحك بعض الطلاب، فقلت لهم:

نعم، فميمون هذا أحد ملوك الجان، وفي باحة هذا الحمام تجرى يوم السبت طقوس خاصة لاتباعه، فيأتون من جميع أنحاء العالم بالشموع والذبائح، وتقام احتفالات الجذبة وكنانة وغيرها، وفي جناح خاص داخل الحمام هناك مقام الجنية عايشة ذات الطقوس الخاصة.

قالت إحدى الطالبات:

- إني أشعر بالخوف.
طمأنتها قائلاً:

- لا تخافي، لا شيء يخيف إلا ما هو مجهول؛ ننتجه إلى داخل دار الدباغ للتعرف عن كذب على كيفية صناعة الجلود ودبغها، لكن أحذركم ففيه قبر جنّي آخر هل تعرفون من هو؟
ظل الجميع صامتا، فاسترسلت في الكلام ونحن ندلف إلى الداخل:

- إنه قبر ملك الجان شمهروش حاكم يوم الخميس، أما محكمته فهي في جبل توبقال قرب مدينة مراكش.
قالت طالبة أخرى:

- لكنني لم أفهم بعد. قلت حاكم يوم الخميس! وسبق أن أخبرتنا أن الجنّي ميمون حاكم يوم السبت؟

- حسنا سأخبركم بأمر بالرغم من أنه بعيد عن هدف هذه الزيارة، فإذا كانت ممالك الإنس ودولهم موزعة حسب المكان، فإن عوالم الجن وممالكهم موزعة عبر الزمان، وهكذا فإن كل ملك من ملوك الجن يحكم يوما معينا، ولا يتدخل في شؤون يومه ملك آخر، فيوم الأحد مخصص للملك مذهب، ويوم الاثنين للملك مرة، ويوم الثلاثاء للملك الأحمر، والأربعاء للملك بركان، أما الخميس كما قلت لكم فهو مخصص للملك شمروش، والجمعة للملك زوبعة، أما السبت فهو للملك ميمون.
قال أحد الطلاب:

- إننا في يوم الخميس، فهل سيكون الملك شمروش حاضرا معنا في استقبالنا؟
ضحك الجميع، ثم قالت إحدى الطالبات:

- أستاذي إلياس كيف علمت بأيامهم وشؤون ممالكهم؟
ثم قالت طالبة أخرى:

- هل تؤمن بهذا؟

توقفت عن الحركة وقلت:

- كما تعلمون، أنا أقطن بفندق في حي الديوان القريب من هنا، والأكيد أنكم تعلمون بأنه حي كان يقطنه اليهود، وبعد أن غادروا المدينة ظلت بعض طقوسهم وعاداتهم سارية إلى يومنا هذا؛ كما أن المنزل المقابل لفندق أطلس الذي أقطنه مخصص لعقد الجذبات والطقوس لكل أتباع ومريدي الجن، ومن كثرة ذلك تعلمت من جبراني بعض أخبارهم والطقوس المناسبة لكل يوم.

أما فيما يخص الإيمان، فأنا أوّمن أن ما تزخر به مدينة القصر الكبير من آثار وعمران، ومن ماضٍ عريق، ومن أساطير تلفها من كل جانب، قادر على جعل المدينة قبلة سياحية يحج إليها الناس من كل أنحاء

العالم، وبهذا كما أقول لكل طلابي إن التاريخ قادر على دفع عجلة تنمية هذه البلاد.

-2-

على باب دار الدباغ التقينا كبير الدباغين (أبو عباس) وهو شيخ في عقده السابع؛ قصير القامة وكثير الابتسامة، فأخذنا في جولة في أركان مؤسسة دار الدباغ شارحا لطلابي مراحل الدباغة ابتداءً من الحصول على الجلود النيئة، وتركها تحت أشعة الشمس، ثم فركها وإزالة الصوف عنها ودبغها، ثم تصديرها إلى مدينتي فاس ومراكش.

- آه. لقد كانت مدينة القصر الكبير رائدة في صناعة الجلود، ويستفيد منها كل حرفيي المدينة في صناعتهم، أما الآن فكل شيء تلاشى وهذه الصنعة قريبة من الموت.
قالت طالبة:

- السيد أبو عباس، إنني أرى منتوجكم قليل، والعمل شبه متوقف؟
- نتوقف عن دباغة الجلود كلما تساقطت الأمطار، وكما ترين الآن فالسمااء ملبدة بالغيوم.

إختفت شمس الصباح، وحلت غيوم سوداء مصحوبة بريح قوية عاصفة، ثم بدأت الأمطار تتهاطل بسرعة دافعة الجميع إلى الاختفاء من ساحة الدباغة باحثين عن أماكن للاختباء فيها إلى حين مرور هذه السحابة المباغثة، فبالرغم من أنه أواخر فصل الخريف، إلا أن القصر الكبير لا يشهد مثل هذه التساقطات القوية في هذه الفترة، لكن يبدو أن هذا الموسم مختلف.

وضعتُ جريدة فوق رأسي لأحتمي بها من الأمطار، وركضت بسرعة نحو ضريح شمهروش الأقرب مني لأختبئ تحت قرميده، وقبيل الوصول إليه اصطدم رأسي بعارضة حديدية أفقدت توازني لأسقط قرب باب الضريح.

لا أعرف ما أصابني، لكنني لم أنتبه إلا والدم ينزف من رأسي نحو الوحل ليختلط بالتراب ومياه الأمطار، حاولت النهوض مجددا لكنني لم أستطع ذلك، وفجأة شاهدت قطرات من دمي تتحرك بسرعة عبر الماء نحو جدار باب الضريح.

تتبع قطرات الدم، وأنا أحبو على ركبتي إلى أن وصلت إلى باب الضريح، ثم وقفت ببطء وأنا أشاهد الدم يصعد عبر شقوق الجدار، أحسست بأن الزمن قد توقف بي، ولم أعد أسمع صوت هطول الأمطار، ولم أستطع إبعاد عيني عن تتبع الدم الصاعد عبر الشقوق الصغيرة عكس قوانين الطبيعة.

دخل الدم إلى شق كبير قرب ناصية الباب، فلاحظت بريقا متوهجا وضوءاً مشعا منبثقا من داخل الشق، تساءلت في نفسي "هل هذا بريق كنز من الذهب، أم أنني أهلوس بسبب الضربة التي أصابت رأسي؟"

ثبتت عيني على الجدار، فإذا بي أشاهد كتابا باليا، قد أصابت قطرات دمي جلده، فبدأ يتوهج.

قلت بصوت منخفض:

- ما هذا الكتاب المتوهج؟ هل يكون خريطة كنز مفقود؟ فكثير من الأضرحة تحوي كنوز مدفونة. أم قد يكون محتويا على عمل سحري مدفون؟ فالأضرحة كذلك تحوي أعمال السحر والشعوذة!!
هتف صوت في أذني قائلا "خذه. إنه لك، إنه سرك المحفوظ. هذه زهرة حياتك فاقطفها"

هتف صوت آخر في أذني كذلك قائلا "لا تأخذه. إنه سحر أسود سيدمر حياتك فلا تقطفه"

شعرت أن دقائق قلبي تتسارع، والأفكار المتناقضة في رأسي تتصارع. أحاول أن أضع يدي على الكتاب، فأتردد وأزيلها بسرعة، كأني على فوهة قفير نحل أريد أن أصل إلى عسله، وأخشى من لسع أصحابه.

لقد أمضيت طفولتي ومراهقتي بين صخور القرية، وأنا أبحث عن آثار لمعركة وادي المخازن، أبحث عن كل شيء غامض، فكيف لي أن أمتنع عن أخذ هذا الكتاب، هل هو خوف أم صدمة؟ أم أنني أهلوس!! ولا يوجد شيء أمامي في جدار الضريح.

أدخلت يدي بسرعة إلى الشق وأمسكت الكتاب، فإذا بي أسمع صوت رعدة قوية أضاعت المكان، وسببت لي الهلع والخوف الشديد. خطفت الكتاب ووضعته بين ثنايا معطفي، ثم ركضت مسرعا كأني فار من أسد يطاردني.

قرب باب دار الدباع استوقفني الشيخ أبو عباس قانلا:

- إنك تنزف! ماذا حل برأسك يا أستاذ إلياس؟ إلى أين أنت ذاهب؟ لم أتوقف عن الركض، لكني أخبرته بسرعة بأن يخبر طلابي بعدم القلق، وعليهم انتظار الحافلة لتعيدهم إلى المدرسة.

أكملت ركضي نحو الجامع الأعظم ومنه عرجت نحو درب ضيق أدخلني إلى وسط حي الديوان، ثم وصلت إلى مقهى الشاي حيث كان إدريس ينتظرنني فأوقفني وقال:

- ما بك يا إلياس؟ ملابسك متسخة والدم ينزف من رأسك. هل اعترضك لص ما؟

- لا. لا تقلق يا صديقي إدريس، سأذهب إلى الفندق لتغيير ملابسني، أما أنت فقم بارجاع الطلاب إلى المدرسة، ومساءً سنلتقي وسأشرح لك كل شيء.

تابعت ركضي نحو الفندق، ثم صعدت بسرعة عبر السلالم إلى الطابق الثالث لأتوجه مباشرة إلى غرفتي المنزوية في آخر البهو، وضعت يدي على بابها وبدأت ألتهت وأسترجع أنفاسي، ثم رفعت رأسي ببطء، فإذا بي أشاهد أن غرفتي تحمل رقم 666 فصدمت مما رأيت.

- كيف لم أنتبه إلى هذا الرقم؟ ربما صاحب الفندق قام بتغييره دون علمي؟ لا يهم، فالأهم هو ما بحوزتي الآن. وضعت الكتاب على طاولة خشبية في زاوية الغرفة، ومسحت جلده من الغبار بثوب أبيض، ثم جلست على الكرسي، وبدأت أحملق فيه متسانلا عن سره وما يخفي في ثناياه.

كانت دقات قلبي تتسارع كلما تسارع الهزيم المزمجر فوق رأسي، فأمسكت الكتاب وفتحته ببطء لأكتشف أنه فارغ المحتوى، لا يضم سوى صفحات صفراء متهاكلة تفوح منها رائحة الصندل والجلد العتيق.

- لا يعقل!! أبعد كل هذا العناء وكل هذه الإثارة، وارتفاع منسوب الأدرينالين في جسمي، وفي الأخير أجد الكتاب يحتوي على أوراق صفراء فارغة فقط!! تبا. مسكت المنديل الأبيض ومسحت به جبيني من آثار الدم وقلت:

- يجب أن أنهض للاستحمام فملابسي متسخة. رميت المنديل الأبيض على الطاولة، وإذ بالكتاب يهتز وكأنه يحاول امتصاص قطرات دمي المتواجدة على المنديل، وفجأة شع نور قوي من الكتاب، فتوجهت بسرعة إليه؛ أزلت المنديل عنه، ثم أمسكته، لأجد خطوطاً ذهبية ترسم عليه، ثم ظهرت كلمات منقوشة بسانل ذهبي اللون

لم أفهم معناها لتتحول الحروف إلى أفاعٍ صغيرة تذب وسط الكتاب، ثم اصطفقت لتتشكل أفعى كبيرة، بدأت تلتف حول نفسها كأنها تحاول أكل ذيلها.



كلما زادت الأفعى من دورانها إلا وزاد الكتاب توهجا، وبالرغم من انقطاع الكهرباء عن الغرفة فقد كان الضوء المنبعث من الكتاب يعوض دور مصباح الإنارة في إشعاع المكان.

شعرت بدوار شديد بسبب سرعة دوران الأفعى حول نفسها، ثم نشأت فجوة عميقة في الكتاب كأنها دوامة إعصار تجذبني نحوها، فلم أعد أتمالك نفسي، وإثر صعقة برق قوية أصابت غرفتي أحسست بسببها كأن الأرض تنهار من تحت قدمي، فارتيمت داخل الدوامة ليعم الصمت والظلام.

-3-

قبل 6770 سنة من الآن:

على وادي هِنوم¹³ أسس عزازيل مملكة الظلام كأول قلعة له على وجه الأرض، وذلك على مسافة سير 3600 ساعة مضاعفة تحت سطح الأرض؛ أي على مسيرة عشر أشهر سيراً نحو الأعماق، حيث العالم السفلي أريصتاتاري¹⁴ موطن المنبوذين والملعونين والمغضوب عليهم. اختار عزازيل بناء قلعته في هذا المكان بالضبط ليكون بالقرب من أعدائه من بني الإنس الذين أسسوا أول مملكة لهم على نهر الفرات اسمها بابل ومدينة أخرى ملحقة بها اسمها سوسة، وكذلك تمكن عزازيل من نفس الموقع الذي جعله بوابة بين العالم الأرضي والعالم السفلي من مراقبة تحركات بني الجن في الممالك السبعة، فمملكة مذهب استوطنت في أرض أشقلون¹⁵ وعلى مقربة منها أسس الزوابع مملكتهم في أرض لخيش¹⁶ أما الميامين فأسسوا مملكتهم في أرض ربله¹⁷، وفي الشمال كان المرامرة في أرض أرفاد¹⁸ ومملكة الهوارش بالقرب منهم في أرض كميّش¹⁹

أما مملكة برقان القوية التي كانت تسمى ببلاد العجائب فقد استوطنت بلاد صوعن²⁰ على أحد فروع نهر النيل العظيم، ولم يبق إلا مملكة بني

¹³ وادي هنوم بالعبرية 𐤇𐤍𐤍 𐤅𐤀𐤃 وهو وادي عميق كان يقع بالقرب من مدينة أورشليم في الكتاب المقدس، وكانت تقدم فيه ذبائح بشرية من الأطفال دون 3 سنوات من قبل الكنعانيين، وحسب المعتقدات اليهودية والمسيحية فإن وادي هنوم تعني جهنم وبوابة العالم السفلي.

¹⁴ مصطلح بابلي تعني الأرض التي لا عودة منها

¹⁵ أشقلون حالياً هي مدينة عسقلان

¹⁶ تقع في منتصف الطريق بين مدينتي القدس وغزة، على بعد ثلاثين كيلومتراً إلى الجنوب

الشرقي من عسقلان

¹⁷ قرية من قرى مركز القصير التابعة لمحافظة حمص

¹⁸ أرفاد توجد في الشمال السوري تقع عليها الآن مدينة جديدة تسمى تل رفعت

¹⁹ مدينة أثرية تمثل نقطة عبور هامة على الفرات، إذ تعتبر بوابة بلاد

الشام إلى الأناضول وبوابة الأناضول إلى بلاد الرافدين تسمى حالياً كرميخ

²⁰ مدينة مصرية على الضفة الشرقية من الدلتا على فرع من فروع النيل

الأحمر التي فضلت الابتعاد عن باقي الممالك، وأسست مملكتها في بلاد دسشميسان²¹ وهي المملكة التي استقبلت عزازيل فور سقوطه من السماء وأمدته بجيش جرار لبدء الهجوم على باقي الممالك من الجن والإنس.

لم تكن هنوم قلعة ضخمة أو محصنة، بل كانت كمقبرة بنيسة على ضفاف واد تفوح منه رائحة القطران والكبريت وتغويه جثث الحيوانات النافقة، والطيور الجارحة، والكثير من الأفاعي والعقارب التي تطوف ببوابة أرضية لسرداب مظلم، هو عبارة عن ممر سري يؤدي مباشرة إلى قصر عزازيل ومنه أيضا يمكن النزول إلى أريصتاتاري.

داخل بهو مظلم لا يكسر ظلمته إلا مشاعل نار خافتة معلقة على الجدران المكسوة بالجماجم المصلوبة، والكثير من الهياكل مختلفة الأشكال والأحجام، تتوسطها مائدة مستديرة مصنوعة من البازلت الصلب؛ منقوش عليها نجمة سداسية تحوي ستة أضلاع وستة زوايا وستة رؤوس، وهي قاعة لإدارة العمليات الحربية لعزازيل وقواده، والذين يحرصون على أن يجلس كل قائد في زاويته الخاصة به.

في الجهة المقابلة لقاعة الاجتماعات، كانت غرفة أخرى برز داخلها عرش ضخم مصنوع من العاج والذهب المتناثر في كل الجهات، والكثير من الكبريت الأحمر، كانت تحرسه الأفاعي الثمانية بنات الأفعى الأم التي كانت رفيقة عزازيل في جنة عدن، ولكل أفعى من الأفاعي الحارسة للعرش ثمانية رؤوس، ولكل رأس ثمانية أسن، ويخرج من أفواهها لعاب حارق، كأنه ماء السموم الذي يذيب كل شيء؛ صناعات بسمهن خندقا يحيط بالعرش عبارة عن بركة ضخمة من السموم الحارق، لا يقترب منه أحد إلا احترق وذاب على الفور.

نهض عزازيل من كرسي العرش ناصبا قامته الطويلة، ومبرزا عضلاته المتينة، وساعديه المفتولين، ومنكبيه العريضين، وشعره

²¹ تقع قرب البصرة

الطويل الذي يصل حد خصره؛ فقد كان عزازيل يستطيع التشكل على أية هيئة شاء من المخلوقات الأرضية، إلا أنه كان يفضل الظهور بهيأة الإنسان التي كان دانما يغار منها ويعتبرها هيئة كاملة؛ فكان يفضل ملامح القوة، والقسوة، والجمال معا.

أزال عزازيل عن كتفيه عباءة سوداء مخططة باللون الأحمر، فظل بطنه عاريا ممشوق العضلات، ثم ارتدى تاج التيس الذي يشبه رأس الماعز ذي القرنين الصغيرين المائلين إلى الخلف.
وقف بحزم ونادى بصوت قوي:

- تعالى يا ديباج.

دخل ديباج إلى البهو مسرعا، فانحنى راعا مطأطأ الرأس وقال:

- أمرك سيدي العظيم.

تجاوز عزازيل بركة ماء السموم طائرا نحو قاعة الاجتماعات، ثم حط بالقرب من ديباج وقال:

- كيف حال معسكرنا في بلاد صوعن؟!!

ظل ديباج خافضا رأسه ورد:

- إن دفاعاتهم على وشك الانهيار يا مولاي، وقريبا ستكون مملكة برقان تحت سيطرتنا.

قال عزازيل وهو يحرك سبابه يده اليمنى:

- نعم أعلم ذلك، أنا أسألك عن أحوال سكانها وعن السحر الأسود

الموكل إليك؟

رد ديباج مرتعدا:

- إنهم خانفون يا مولاي، والرعب يدب في عروقهم؛ إنهم يعرفونك جيدا حينما هاجمتهم مع الأنوناكي²²، و كيف مزقتهم شر ممزق.

عقد عزازيل حاجبيه في غضب شديد، ومسك ديباجا من عنقه وقال:

²²تعني بالغة السومرية الخمسون الذين هبطوا من السماء إلى الأرض

- لا تذكرني بذلك أيها المسخ، فذاك عهد ولى، والآن عهد جديد.
إنه عهدي أنا.

في اختناق شديد أجاب ديباج:

- أنا آسف يا مولاي، أعدك بغزو قلوبهم أجمعين، وسيقدسونك ولو بعد حين، وستجتمع تحت رايتك أمم الجن الأولين والآخرين.
كانت كلمات ديباج المنمقة كافية بأن تمحو ملامح الغضب في وجه عزازيل، الذي فك الخناق رويدا عن عنقه وهو ينزله إلى الأرض، وقال:
- حسنا يا ديباج، أنا أعول عليك لتوسوسهم في كل وقت وحين، بأنني أنا سيدهم المكين، ولا منجى ولا مفر إلا أن يأتوني خاضعين، حتى أتفرغ لمحاربة بني الإنس أجمعين، هيا انصرف، ولا تعد إلا بالخبر اليقين.

رعى ديباج مهرولا نحو الباب وفرائصه ترتعد:

- أمرك يا مولاي.

كان ديباج المقرب لدى عزازيل، فبالإضافة إلى كونه زعيما لكل العفاريت، فقد كانت له قدرة فريدة على الاختفاء عن أنظار الجميع، حتى على بني جلدته من بني الجن، فلا يستطيع كشفه إلا عزازيل وحكاماء مدرسة الحكمة فقط، وكانت مهمة ديباج الأساسية هي صنع القرائن الخفية التي تسري في الهواء وتلتصق بكل المخلوقات كالعلق، بهدف الوسوسة وزرع وصايا عزازيل في نفوسهم حتى يقودهم إلى الظلام.

نادى عزازيل:

- سانوخ تعالى إلى هنا.

دخل سانوخ وهو ماردا قوي يحظى برتبة القائد الأعلى لجنود الظلام، فانحنى بترسه الحديدي وقال:

- أمرك سيدي.

- إسمع يا سانوخ، لو تمكنا من القضاء على مملكة برقان، سنعطل دور مدرسة الحكمة، وسنفشل مخططهم في الوصول إلى شجرة الحياة.
- لقد دام حصار مملكة برقان أربعين شهرا قمريا، وخلال له نم تستطع مدرسة الحكمة التحرك خارجا يا مولاي.
- أريدك أن تذهب إلى هناك وتتولى قيادة الجيش، فإن دنهشا لا يعول عليه في مثل هذه الأحداث الكبرى.
- تراجع سانوخ إلى الخلف نحو باب الخروج وقال:
- أمرك سيدي.

- 4 -

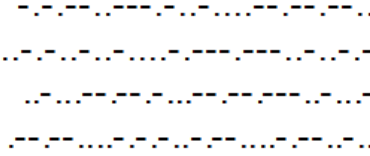
كانت مملكة برقان أو كما يحلو للجميع أن يسميها "بلاد العجائب" من أعظم ممالك الجن وأقواها على الإطلاق، فبالإضافة إلى قدرة سكانها على التحليق عاليا، والقفز الطويل، والغطس في أعماق البحار، فقد كانت مملكة محروسة من طرف أربعة عماليق كبار؛ يحرسون أركانها الأربعة ويحملون القبة الحامية التي تحيط بها من كل جانب، إضافة إلى بناياتها الشاهقة التي تمتاز بأشكالها الهندسية الفريدة، والمعلقة في الهواء كأنها جزر طافية على اللاشيء.

لكن أهم ما كان يميز مملكة برقان في تلك الفترة؛ هو احتضانها مدرسة الحكمة التي تستمد تعاليمها من وصايا أبي الجن سوميا، ويشرف عليها مجلس الحكماء العشرة، ولا يدرس فيها إلا من توفرت فيهم قدرات عالية من الأهلية، فيتعلمون أصول الحياة، وكيفية الحفاظ على توازن الطبيعة، والحفاظ على السر المقدس "زهرة الحياة" إضافة إلى تطوير مهارات الجن في الطيران، والقفز، والغوص، وطي المسافات، والتخفي عن الأنظار، والتشكل في أشكال مختلفة، والتخاطر عن بعد، واختراق الأجسام المادية.

كما كان يتم داخل المدرسة تدوين المعارف والعلوم وتخزينها حتى لا تضيع مجددا كما ضاع معظمها سابقا بسبب حروب الجن الأولى مع بعضهم البعض قبل أن يحل السلام المؤقت، والذي كسره عزازيل بحروبه الجديدة في محاولة منه إخضاع الجميع إلى نفوذه.

كلف الحكيم فقطش -كبير حكماء- مدرسة الحكمة بالإشراف المباشر على تدوين العلوم والمعارف في كتب سرية تخط عبر علامتين حركة (-) وسكون (.). وفي أربعة سطور كل سطر يمثل عنصرا من عناصر

الحياة، فالخط الأول للنار، والثاني للهواء، والثالث للماء، والرابع للتراب، ويرمز لها اختصارا بخط (نهمت)



كانت الساعة الأولى من اليوم الثاني للطالع الرابع من طوابع الشتاء²³ حيث ترفع السلالم المتحركة، فاصلة بين قصر برقان ومدرسة الحكمة المعلقة، فيبدأ اعتكاف المتخرجين من المدرسة، والذي يدوم إلى بداية طالع سعد الأخبية²⁴ وفيه يبدأ تجديد كل التعويذات وتحيين كل المعلومات الروحية والفلكية، لتتم مواكبة توازن الطبيعة وعناصرها الأربعة النار والهواء والماء والتراب.

على طول ممر زجاجي شفاف مظل على عدد من الأجنحة والغرف بمدرسة الحكمة؛ كانت تسير الحكمة أم تعامة وهي تراقب أحوال الطلاب وممارساتهم من دون أن يلحظوها، فبالرغم من كون الممر الزجاجي شفاف، إلا أنه كان خفياً لا يستطيع أحد مهما بلغت قوته أن يشاهد من بداخله، ولا يلجئه إلا الحكماء العشرة فقط، وخاصة الحكمة أم تعامة المشرفة على الطلاب حتى تتمكن من الاطلاع أكثر على أحوالهم واجتهاداتهم، والدروس التي يتعلمونها من دون أن يشعروا بمراقبتها لهم.

توقفت الحكمة أم تعامة أمام الأميرة كحلة بنت برقان في جناحها وهي منغمسة في تحويل الرصاص والزئبق الأحمر إلى ذهب خالص، ثم تغطسه في الماء الملكي ليتحول الذهب إلى معدن آخر، حيث كانت كحلة

²³ طالع "النعائم" ويصادف 15 يناير من كل سنة
²⁴ يصادف 21 من شهر آذار/ مارس أي بداية فصل الربيع

بنت برفان متفوقة على أقرانها بمهارتها، وتجتاحها رغبة قوية في تعلم الأسرار الخفية.

تأملت الحكمة فستانها البني الطويل المفتوح من على جانبيه مبرزا رجلها الناعمتين بشكل جلي، وبالرغم من تواجدها في المكان الأكثر أمانا في العالم إلا أن أسلحتها لا تفارقها؛ سيفها المزركش بالطلاسم على حزامها، وكنانة السهام معلقة على ظهرها، وعدد من السكاكين الصغيرة المسمومة موزعة بإحكام على أذرعها، أما شعرها فمجموع إلى الخلف ومربوط بمشبك هو بدوره سلاح خفي يستعمل كأخر الأسلحة المخفية في جسمها، وكانت الحكمة أم تعامة معجبة بسلوكها وجديتها في التعلم والدأب على تطوير مهارتها في كل شيء، فهي قليلة الكلام، كثيرة الأفعال، ذكية؛ لكنها مغرورة بنفسها بعض الشيء.

في جناح آخر مخصص للخلوات، كان عدد من شيوخ الجن في خلوات رياضة النفس، وهم معتكفون للتأمل في ملكوت السماء والأرض، فكل معتكف حسب المدة التي عزم عليها، والتي تتراوح ما بين ثلاث ليالي وأربعة أشهر قمرية، فلا تستطيع الحكمة أم تعامة الدخول عليهم حتى لا تكسر خلواتهم التأملية، بل تكتفي فقط بمراقبتهم من بعيد.

استمرت الحكمة في جولاتها متفقدة مجموعة من الطلاب وهم يتلقون دروسا حول الكواكب السيارة، ومعلومات خاصة عن قوة الشمس، وتأثير القمر على الجن، وسبل الاستفادة من الطاقة التي تفرزها الطبيعة.

انتقلت بينهم أم تعامة بسلاسة نحو غرفة ليلي وهي البنت الصغرى لبرقان، لتجدها جالسة على سرير جلدي تتأمل عددا من الأحجار الصغيرة المنقوشة بعدد من الرموز.

كانت تحاول استنطاقها، لكنها لم تكن بمثل كفاءة أختها كحلة، كما كان أداؤها ضعيفا مقارنة بباقي الطلاب؛ لكن ولكون أبيها هو الملك

المستقبل لمدرسة الحكمة، فقد تم خرق القاعدة التي تنص على استقطاب ذوي المؤهلات الفطرية والكفاءة فقط للدخول إلى المدرسة التي كانت تنتقل كل خمسين سنة من مملكة إلى أخرى، وتم السماح لليلى وبعض أبناء أعيان المملكة بالتعلم طيلة فترة تواجدها في بلاد صوعن.

بعد تأمل طويل في سلوك ليلى ومحاولاتها استنطاق الحجر، كشفت الحكمة أم تعامة عن نفسها وقالت:

- كيف حالك مع الحجارة يا ليلى!!؟

التفتت ليلى متفاجئة وقالت:

- أهلا بالحكمة أم تعامة، منذ متى وأنت تراقبيني؟

قالت الحكمة أم تعامة وهي تقترب من الحجارة.

- منذ برهة قليلة.

حركت ليلى بيدها الأحجار الموضوعة على طاولة خشبية منقوش

عليها وفق فلكي، وقالت:

- آه جيد، فأنا لازلت أحاول استنطاق هذه الحجارة، لكن لا

أستطيع ذلك.

إقتربت أم تعامة من ليلى، ووضعت يدها المجددة البيضاء على

رأسها، وبدأت تلاعب شعرها الأصفر المنسدل وقالت:

- دعيني أقرأ ما يحاول الحجر إخبارك به. أممم؛ إنني أرى قلبك

على وشك أن يخفق لحبيب قادم.

قطبت ليلى حاجبيها، والتفت إلى أم تعامة وردت:

- ماذا تقولين أيتها الحكمة!!!

أزالت أم تعامة يدها من رأس ليلى، وضربت الحجر من جديد،

فتشكلت رموز جديدة وقالت:

- حب وحرب؛ يبدو أنه سيكون حبا صعبا ومتعبا.

سكتت الحكمة قليلا واسترسلت:

- أدعو إيل أن يكون في جانبك يا بنيتي.
- قالت ليلى وعلامة التعجب بادية على ملامحها:
- كيف هذا؟
- ستحبينه في ساحة الحرب، وتحت وميض السيف ستشتعل شرارة الحب للأبد.
- قاطعته ليلى وهي تنهض مرتجفة من سريرها:
- بحق إيل. أتمنى أن تكوني مخطئة، مع أنني أعلم أنك لا تخطئين في قراءتك للأحجار.
- ارتسمت على وجه الحكيمة أم تعامة ابتسامة ماكرة حتى ظهر جزء من نابها العلوي وقالت:
- إطمني يا عزيزتي، فلديك كامل القدرة على الاختيار بين خوض غمار هذا الحب أو تركه إلى الأبد.
- ابتسمت ليلى كذلك ومسكت يد أم تعامة وردت:
- حسنا. كيف شكله؟ هل هو من المردة أم من العفاريت؟ هل هو أمير أم قائد؟ أنا ابنة أعظم ملوك الجن، فلا يمكنني أن أحب جنيا عاديا من العوام أو الهوام!!!
- ربتت على كتفها وقالت:
- إنه ليس كما تتوقعين. إنه شيء مختلف.
- زادت لهفة ليلى وكانت في قرار نفسها تعرف أن أم تعامة صادقة قالت:
- كيف ذلك؟
- حسنا يا ابنتي سأعطيك هذا السوار ضعيه على يدك اليمنى، وامنحيه لمن سيخفق قلبك له، فهو سيكون في حاجة إليه.
- قالت ليلى بفرح:
- إنه رمز زهرة الحياة.

- نعم. هذا السوار يخص مدرسة الحكمة، لكن حبيبك سيكون في حاجة إليه؛ سأصرف الآن.
- حملت ليلي معجبة في السوار المصنوع من الذهب الرقيق الممزوج بخيوط الياقوت الأحمر مما أضفى عليه لمعانا براقا، وتتوسطه زهرة صغيرة ذهبية تضم عددا من الأشكال الدائرية المتداخلة فيما بينها، مشكلة رمزا لمدرسة الحكمة فقالت:
- حسنا إلى اللقاء أيتها الحكيمة.
- رفعت ليلي رأسها لتجد نفسها وحيدة في الغرفة دون أن تنتبه لمغادرة أم تعامة، فجلست تكمل تعلمها.

-5-

على مبخرة ذهبية وضع ساجي²⁵ برقان بخور الجاوي والحرمل والسندروس، واستنشق رائحتها العطرة وهو يطل من شرفة القصر على مملكته العظيمة المهددة بالزوال من طرف عزازيل وجنوده، ثم التفت إلى جمع من أعوانه وقواد جيشه الجالسين في بهو القصر وقال:

- يا ذوي الرفعة، كما تعلمون جميعا..

إن قوى الظلام قد أجمعت لنا جمعها، وأخرجت لنا شرها، وأذاقتنا الكثير من بطشها، ويبدو أنه حصار طويل امتد إلى أربعين هلالا قمريا، وقد يطول الأمر، فإما أن نستمر في مقاتلة الظلام، أو نعلن الاستسلام لهم.

وقف ساجي برقان قرب كرسي عرشه المصنوع من المرمر والذهب الخالص، وهو مرتد عباءته البيضاء وتاجه الذهبي الأصفر، واسترسل في الكلام:

- فماذا أنتم فاعلون؟؟ إني اليوم مستشيركم والقرار بين أيديكم.
بعد وشوشة طويلة بين الحاضرين في مجلس الاجتماع الأكبر أخذ الكلمة يوشيا وهو مستشار الملك ساجي برقان وطبيبته الخاص، وكذا أحد الحكماء العشرة لمدرسة الحكمة.

- مولاي الملك.

إن قوى الظلام تحاول إبطال تعويذاتنا الدفاعية، واختراق القبة الحامية التي تحمي المملكة، كما أنهم مستمرين في قذفنا بشهب الطاعون الأسود، وهذا ما يثير مخاوف رعايانا.

²⁵ ساجي 𐤱𐤳𐤂𐤃 كلمة عبرية تعني عظيم الرفعة

ولقد ابتكرت تعويذة طبية تقي سكاننا من هذا الداء المخيف، لذا أقترح أن نشيع الخبر على وجه السرعة حتى يعود الاطمئنان من جديد إلى مملكتنا.

إبتسم الملك إبتسامة عريضة وقال:

- جيد أيها الطبيب الطيب والمستشار المخلص. أيها الحراس أشيعوا هذا الخبر المفرح الآن.

بينما سلم الحكيم يوشيا ملفوفا جلديا يحوي طريقة إبطال مرض الطاعون الأسود للملك، وقف طارش وهو القائد العسكري الأعلى في مملكة برقان وقال:

- دعني يا مولاي أخبرك بوضعنا العسكري بعد مرور أربعين هلالا قمريا على حصارنا.

- تفضل أيها القائد العظيم.

- كما تعلم يا مولاي أن مملكة بني الأحمر هي حليفة عزازيل منذ البداية، فهم الذين استضافوه على أرض دستميسان بعد سقوطه من السماء مذموما مدحورا، وساعده بجيشهم ليخوض حربا على بني الجن، أما مملكتنا الهوارش في أرض كميث والمرامرة في أرض أرفاد فقد تحالفتا معه، ودانتا له خاضعتين بعد حرب طويلة ضده رفضنا نحن الانخراط فيها، وها هما الآن تطبقان تعاليمه وانضمت جيوشهما من الغيلان والمردة والعفراريت إلى جيش الظلام.

قال ساجي برقان وهو يجلس على كرسي العرش قرب زوجته ليليث.

- نعم أعلم هذا.

إسترسل طارش بالكلام.

- أما مملكتنا الميامين في أرض ربله والزوابع في أرض لخيش فقد سقطنا وانهارت دفاعاتها العظيمة، وقد نكل بهم جنود عزازيل شر تنكيل، وطردهم في كل أرض وبحر، كما تم أسر الملك أبي النور الأبيض مرة بن الحارث ملك المرامرة، وتم نفيه في أريصتاتاري حيث

العالم السفلي، ويتم تعذيبه هناك شر تعذيب حتى تنهار قوته أو يبيع روحه لعزازيل، كما تم قتل ألف من أبنائه وزوجاته ولم يبق منهم إلا اليسر القليل.

أما الملك أبو الحُسن زوبعة، فبعد أن استسلم تم تدمير مملكته وصلبه ثلاث ليالٍ قمرية، كما أنني علمت يا مولاي بأن عزازيل بعد أن أخذ كل طاقته، قام بذبحه وشرب دمه المغدور.

شعر الملك برقان بالغثيان، واحمرت وجنتاه غضبا، ونهض مجددا من كرسيه وهو عاصب على يديه وقال:

- تبا لهذا الساقط من السماء، سأحاربه إلى الأبد، فلن أخاف من بطشه، ولن أستسلم له أبدا.

صرخ الجميع "نحن معك يا مولاي، نحن معك في العسر واليسر"

استرسل ساجي برقان في كلامه:

- حسنا يا ذوي الرفعة، ماذا تقترحون؟

كانت ليليث تجلس على العرش إلى جانب الملك، واضعة رجلها اليمنى على اليسرى، وسادلة شعرها الطويل البرتقالي على رداها الأحمر الذي أبرز بياضها الشديد، وقامتها الممشوقة، فكان كل من في مملكة برقان يخاف سطوتها ويخضع لكلمتها.

بالرغم من حداثة زواجها بالملك برقان، إلا أن صيتها كان ذائعا في المملكة قبل وصولها إليهم طريفة من طرف الأثوناي²⁶ الثلاثة الذين حاولوا الإمساك بها، لكنها استطاعت الإفلات منهم والفرار نحو بلاد صوعن طالبة الحماية.

ونظرا للعلاقة الطيبة التي كانت تجمع ساجي برقان بالأثوناي، فقد طلب منهم الإبقاء على حياتها بعد أن أعلنت خضوعها التام له، فوافق

²⁶الأثوناي الذين تعقبوا ليليث هم "سينوثي" و"سنسوثي" و"سامينجيلوف" وكلفوا من طرف إيل بقتل جميع أولادها واصابتها بالعم.

الأثوناكي على طلبه، لكنهم بالمقابل قتلوا كل أبنائها وأصابوها بلعنة العقم إلى الأبد.

قالت:

- يا زوجي العزيز وملكننا القدير، يا ذوي الرفعة.

أقترح عليكم أن نظهر بطشنا ونبرز عزمنا، وأن نستعمل كل قوتنا في معركة واحدة تحدد مصيرنا، فنحن وراعك يا مولانا نقاتل حتى الرمق الأخير متى أمرتنا بذلك.

كانت كلمات ليليث حماسية، تثير وتشجع الحاضرين على الانخراط الكلي في حرب مفتوحة ضد الظلام، عوض تشديد الدفاعات والرضوخ للحصار المفروض عليهم من طرف جيوش الظلام، قبل أن يقاطعها القائد العسكري الأعلى طارش.

- أستسمح يا مولاتي على مقاطعتك، أقترح ألا نجازف بخوض معركة مفتوحة، وألا نبادر بالهجوم قبل أن نبحث عن حلفاء جدد لمعركتنا، فمملكة الملك مذهب في أشقلون لازالت حصينة، بالرغم من حروبنا القديمة معهم، فإني أقترح أن نطلب العون منهم، فاليوم قد برز عدو مشترك لنا معا وهم يعلمون أن دورهم في الحرب ضد عزازيل قد اقترب.

كما أقترح يا سيدي أن ننفتح على مملكة الإنس التي يقودها العظيم مهلائيل، فهو بدوره يشاركنا الكثير من وصايا أبينا سوميا، كما أنه يكن كرها شديدا لعزازيل وجنوده.

بينما كان طارش يسترسل في كلمته؛ نهض الملك ساجي برقان من كرسيه، متجولا بين أفراد مجلسه، وكأنه يحتهم على المشاركة في صناعة القرار عوض الامتثال لقراراته دون مناقشة، كما حاول أن يعرف ما يخالج صدورهم من أفكار والبوح بها، لكن فكرة طارش قد راقت له كثيرا فقال:

- حسنا أنا أتفق معك في هذا المقترح، فقد سبق أن ناقشته مع الحكمة أم تعامة لهذا أقترح أن نرسل وفدين سريين، الأول تحت إشراف ابنتي كحلة إلى مملكة مذهب في أرض أشقلون، والثاني تحت إشراف ابنتي ليلى إلى مملكة الإنس في بابل. بينما الجميع يومنون برووسهم معلنون موافقتهم على قرار الملك، قال مجدداً:

- فلنستدع الحكيم فقطش، فله ما سيديلي به بخصوص هذا القرار. وقف الملك أمام مرآة كبيرة مركونة على جدار حائط ذهبي، وسرد تعويذة تحضير الحكيم فقطش "شُلش شلوش شهيوش شاموش شاهوش شالوش احضر يا فقطش ألواحا ألواحا الساعة الساعة العجل العجل.

وإذا بسحابة تتشكل داخل المرآة، فظهر من خلالها الحكيم فقطش، ثم خرج منها بسلاسة أمام الحضور.

كان الحكيم فقطش ذا لحية طويلة وشعر أبيض كثيف، قصير القامة وذا حاجبين طويلين، أما يديه فكانتا كذلك طويلة تصل حد ركبتيه، ويحمل صولجانا كبيرا لا يفارقه شأنه شأن باقي أعضاء مجلس الحكماء، الذي هو كبيرهم والساهر على السير العام لمدرسة الحكمة. انحنى قليلاً ثم قال:

- أهلا بمولاي ساجي برقان.

- أهلا أيها الحكيم فقطش، لقد قررنا أن نرسل وفدين سريين الأول إلى مملكة مذهب في أشقلون، والثاني إلى مملكة الإنس في بابل، ونحتاجك أن تعد لنا طلسم الحماية وطبي المسافات والاختفاء عن الأنظار، كما أريد من حكماء المدرسة أن يشاركوا في هذه المهمة لصنع حلف ثلاثي لمجابهة الظلام.

- هذا أمر سهل يا مولاي، سيكون طلبك متوفرا بعد ثلاث ليالٍ قمرية.

إبتسم برقان وقال:

- نعمل على مدرسة الحكمة للانخراط بكل قوتها وثقلها في الحرب ضد عزازيل.

بابتسامة مماثلة رد فقطش:

- نعم أيها الملك، فالآن أصبح مصير كل الأخيار في كفة واحدة ضد الظلام، ولا بد للحكام العشرة أن يكونوا في صلب المعركة لحماية سرنا المقدس، وشجرة الحياة التي يبحث عنها عزازيل بدون توقف.

- إنه يطمح إلى الخلود ضد إرادة إيل، ويعتقد أن ثمار شجرة الحياة ستمكّنه من ذلك.

- سنمنعه من الوصول إليها.

مباشرة بعد الانتهاء من الاجتماع الأعلى، ذهب ساجي برقان إلى جناحه الملكي، واسترخى على سريره، ثم لحقت به زوجته ليليث وحاولت مداعبته لإزالة غم الحرب من تفكيره، وفي تلك الفترة صرخ أحد الحراس من خلف الباب قائلاً:

- يا مولاي، يا مولاي، استأذني بالدخول العاجل؟

قال برقان وهو ينهض من سريره:

- ماذا هناك أيها الحارس أدخل؟

دخل الحارس وانحنى على الأرض قائلاً:

- هناك نبأ سيئ يا مولاي.

قالت ليليث:

- ماذا هناك؟ تكلم بسرعة أيها المعتوه.

- سيدي.. لقد قتل الحكيم يوشيا في غرفته.

قال ساجي برقان متعجباً:

- ماذا!! ماذا تقول يا هذا؟

- نعم يا مولاي، لقد طعن الحكيم يوشيا من الخلف بسيف ملعون بسحر الظلام، ثم قطعت رقبته وفصل رأسه عن جسده وتركت رسالة على الحائط مكتوبة بدمه.
- غضب برقان غضبا شديدا وقال:
- إنها الخيانة. هناك مندرس بيننا يعمل لصالح عزازيل، الأكيد أن أسرارنا كلها تصله.
- قال الحارس وهو يتراجع خطوات إلى الخلف.
- أكيد يا مولاي.
- قالت ليليث:
- وما تقول الرسالة يا هذا!!
- سكت الحارس ونظر إلى الملك برقان.
- إسترسلت:
- تكلم، ما بك هل قطع لسانك!!
- رد الحارس في خوف:
- مكتوب فيها: "إستسلم تسلم رقبتك"
- طأطأ ساجي برقان رأسه ورد:
- تبا لعزازيل ولجنوده، هيا انصرف أيها الحارس.
- جلس الملك برقان على سريره الحريري المزركش بالألوان، ووضع يده على جبينه مصدوما بما وقع للحكيم يوشيا، فقامت ليليث بمعاذته بلطف، وأزالت تاجه من رأسه، وطلبت منه التمدد قليلا على صدرها، فعانقها برقان بقوة من خصرها وأغمض عينيه الحزينتين.

-6-

وقف مهلائيل بن قينان أمام باب إيلو²⁷ متأملاً مملكته العظيمة بابل، مسرورا بنموها السريع؛ فمنذ تأسيسها لم يتوقف فيها البناء، وظلت تتوسع وتكبر نحو الأعلى كأنها تحاول الصعود مجدداً ببني الإنس إلى السماء، فقد كانت بابل مبنية على سهل شاسع يقسمها نهر الفرات إلى قسمين، وهي مربعة الشكل يمتد كل جانب منها مئة وعشرون غلوة²⁸ أي مجموع محيطها من الأسوار هو أربع مائة وثمانون غلوة²⁹ محاطة أولاً بخندق عميق عريض تملأه المياه، ثم جدارين سميكين سمك الواحد منهما خمسون ذراعاً ملكياً³⁰ وارتفاعه مائتا ذراع ملكي³¹

كانت مدينة بابل مكسوة كلها بالمرمر الأزرق، والرخام الأبيض، والقرميد الملون المصقول على عرض ثمانية أمتار وارتفاع خمسين متراً، تؤدي مباشرة إلى شارع الموكب، وهي طريق مقدسة تربط المدينة بأحيائها الأربعة؛ وهي حي الشريعة، وحي باب الواد، وحي المعسكر الخاص بالجنود، والحي الملكي الخاص بذوي الرفعة والمزين بالكثير من الحدائق والمعابد، وينتهي بقصر مهلائيل وحدائق الليمون. عقد مهلائيل يديه خلف ظهره، ورفع رأسه إلى فوق متأملاً في النقوش البرونزية التي تزين جدران الباب المزدوج، وهو يدخل عبره رفقة مستشاره براكيل؛ يرتديان معاً ثوباً طويلاً من الكتان الأبيض، ويتبادلان أطراف الحديث في هدوء وانتشاء.

- أخبرني يا براكيل كيف حال البناء في مملكتي؟

²⁷ باب إيل

²⁸ وحدة قياس قديمة، والغلوة هي رمية سهم، ويقال: غلا بالسهم أي رفع يده يريد به أقصى الغاية

²⁹ حوالي 86 كلم

³⁰ الذراع الملكي أطول من الذراع العادي بثلاثة أصابع

³¹ يعتمد على وصف هيرودوت لبابل

- يا مولاي إن شعبنا كله يعمل بلا توقف في الزراعة، والرعي، والبناء، وما هي إلا سنين قليلة حتى نبسط نفوذها على كل الأرض.
إبتسم مهلائيل وقال:
- جميل.
- الآن يتم تركيب البوابات النحاسية على الأبراج المدرجة، كما يتم بناء مصاعد ترابية تحتوي على مسطحات لترتاح فيها، وغرف خاصة بك يا مولاي.
- حسنا أريد أن تترزين الغرف بالذهب والعاج والكثير من الزبرجد، وأن يطلق فيهم البخور، فأنا أحب شم رائحته.
- السمع والطاعة سيدي الملك.
- كما أريدك أن توزع الشعير والقمح بالتساوي على كل العاملين في البناء ولا تظلم منهم أحدا، وأريدك كذلك أن ترسل ثلث المحاصيل من موسم الحصاد السابق إلى مملكتي في بلاد سوسة، فلم تسقط عندهم الأمطار هذا العام، وخزانهم فارغة تماما، وأخبر الأمير برائيل أن يعدل بين الرعية، فقد وصلتني عنه أخبار سيئة.
- وهو كذلك يا مولاي.
- إمتطى مهلائيل حصانه الأسود الأصيل ذي الغرة البيضاء على جبهته، وانطلق سريعا كالريح على طول الشارع الملكي المعبد بالطين والقار، متجها مباشرة إلى قصره في الحي الملكي، والناس تنحني أمامه احتراما وتبجيلا إلى أن وصل إلى باب قصره، حيث كانت زوجته دينا وابنه يارد والقائد العام عمرام في استقباله.
- كان يارد بن مهلائيل كبير إخوته، ذا بنية قوية، يجيد القتال والمبارزة، ويسهر على تنظيم أمور المملكة وتيسير أمور رعيته، عكس أخيه (يراع) الذي كان كثير اللهو والسخرية، وعديم الاكتراث للأوامر والقوانين، لكنه كان يحب القتال ومبارزة الوحوش الضارية ومصارعته.

قال يارد:

- أهلا بالملك المعظم وأبيننا الموقر.
- قال الملك مهلائيل وهو ينزل من على حصانه:
- أهلا بكم. إني لا أرى يراع بينكم؟

رد يارد:

- كما تعلم يا مولاي، فأخي يراع غير منضبط، ربما لا زال نائما بعد سمر طويل.

عانق الملك مهلائيل زوجته دينا وابنه يارد، والقائد العام عمرام وقال:

- هذا الفتى يثير جنوني، إنه لا يصلح للحكم، ولا يعول عليه في شيء.

ردت الأم دينا:

- دعه فهو لا زال فتى صغير السن، ومتهورا بعض الشيء.

قال الملك مهلائيل:

- يظل طوال اليوم في صراع مع الحيوانات الضارية، ويرفض الالتحاق بالمدرسة الأهلية، فأقرانه يتعلمون وهو يلهو ويصخب.

رد القائد عمرام:

- بالرغم من عدم انضباطه، إلا أنه شجاع جدا ومغوار.

قال مهلائيل وهو يهم بدخول قصره:

- لا، إنها ليس شجاعة، إنها تهور وحمافة.

- أنتم، أرى أنكم تتحدثون عني!

من أعلى سلالام المعبد المحاذي للقصر الملكي، أطل يراع وهو أشعث الشعر، مرتديا ثيابا صوفية مرقعة ببعض الجلود، ثم قفز بسرعة من السلالم إلى الأرض، وتوجه نحو أبيه يعناقاه.

- مرحبا بالملك المعظم أبي مهلائيل، كيف كانت رحلتك؟
- جيدة.

وضع الملك يديه على كتفي ابنه معا، ودخل بهما إلى بهو القصر الرخامي المزين بالأواني الفخارية المنقوشة، والمرايا الملونة العاكسة لكثير من الألوان السابحة وسط القصر في اتجاه أشعة الشمس.

- لقد استطعنا إخراج كميات كبيرة من القار والطين المرسب على ضفتي نهر الفرات، وسيساعدنا ذلك في تمديد عمراننا أكثر.
قال يراع:

- إنك ملك عظيم يا أبي، تبني هذه المملكة بكل رغبة وحب.
- نعم. أريد لبابل أن تكون جوهرة على هذه الأرض، وأن يذكر اسمها إلى الأبد كأعظم مملكة عاش فيها بنو الإنس.

التفت الملك إلى يارد وقال:

- أخبرني يا يارد؛ هل قسمت مدخراتنا من الطعام كما هو متفق عليه؟

أوما يارد برأسه ورد:

- إن محاصيلنا الزراعية كبيرة ومتنوعة، ولقد قسمتها إلى اثنتي عشرة حصة، كل حصة تبدأ بداية كل هلال.

- أريدك يا بني بمساعدة أخيك يراع أن تدونا كل شيء على ألواح طينية، فهذا المتهور يجيد الكتابة والنقش على الطين، لكنه لا ينضب.
ضحك الجميع فاسترسل الملك قائلا:

- يجب أن تخصصوا فيلقا خاصا لحماية المخازن حتى لا يقترب منها أحد.

وصل الجميع إلى قاعة العرش، فاسترخى الملك مهلائيل على كرسي عرشه الخالي من كل مظاهر البذخ، فهو يعتبر كل بابل عرشه وجوهرتها بوابة إبل الضخمة، التي ينبهر الواجه إليها بسحر ألوانها وزخرفتها البديعة.

تناول الجميع وجبة غذاء أقامتها الملكة دينا على شرف قدوم زوجها من رحلة استكشافية طويلة، وقبل الانتهاء من الحفل دخل أحد الحراس مسرعا وقال:

- مولاي الملك.

وقف القائد العام عمرا م وقال بسرعة:

- ماذا هناك أيها الحارس؟

- على مقربة من باب إيل تتشكل زوبعة سوداء على الأرض تحف بها ريح قوية وبرق.

قالت الملكة دينا:

- إنها تمطر قليلا، هل هي عاصفة قادمة نحونا؟

رد الحارس:

- لا سيدتي فقد انبثق من الزوبعة رجل لم نستطع تحديد ملامحه وقال إنه رسول لوفد أرسله ملك الجن برقان ويطلب إننا بالدخول.

توجه مهلائيل بسرعة نحو الشرفة المطلة على باب إيل، فشاهد زوبعة سوداء على شكل كرة برق كبيرة تدور حول نفسها، وتنبعث منها شرارات نارية في كل اتجاه.

قال القائد العام عمرا م:

- ماذا تقترح يا سيدي؟

حك الملك مهلائيل ذقنه ورد:

- ما لنا وما للجن من علاقة!! الأ يكفي أنهم كانوا قد أغاروا علينا

في عهد أبي قينان، قبل أن نحاربهم ونصدهم على أعقابهم، ألم نبين بابل وسوسة لكي نحتمي من شرورهم!!! لماذا يأتون عندنا الآن؟

- نعم سيدي، أعتقد أن الحروب قد تجددت بينهم، فلقد سفكوا

دماء بعضهم البعض، وخربوا ممالكهم بأيديهم، ثم أتى الأثوناكي ومزقوهم شر تمزيق، فأعادوا بناء ممالكهم من جديد، والأكيد الآن أن

هناك حربا أخرى تجري بينهم الآن.

عم التوتر والصمت أرجاء القصر الملكي، فالكل كان منتظرا قرار مهلائيل حول وفد الجن، خاصة أنه معروف عليه كرهه الشديد لبني الجن، ويحرم التواصل معهم بشكل نهائي.

تذكر مهلائيل أيام صباح حين هجم الغيلان على جيش أبيه قينان، وقتلوا أمه أمام عينيه، بعد أن تمكنت من دسه داخل فجوة صغيرة على ضفة نهر الفرات، وحينها قرر مهلائيل أن يبني في المكان ذاته مدينة عظيمة يسميها باب إيل تكون حصنا لبني الإنس من هجمات الجن وشياطينهم.

إقترب يارد من شرفة القصر، ووضع يده على مقبض سيفه، وعلامة الجد بادية على محياه وكأنه يستعد للحرب، عكس أخيه يراع الذي لم يحرك ساكنا، وظل واضعا رجله على طاولة صغيرة يحركهما ذات اليمين وذات الشمال، ويدها متشابكتان تحت رأسه في حالة استرخاء تام وكأنه غير مهتم بالوضع المحتقن، فأكمل يارد خطواته ووقف مباشرة أمام أبيه الملك وقال:

- أعتقد أنه لا ضير في أن نستقبلهم، ونستمع إلى رسالتهم، فإن كانت رسائلهم تحمل تهديدا ما، قتلناهم جميعا، أما..

قاطععه مهلائيل:

- لا يا بني، ليس من شيمنا قتل الرسل، لكنني لا أحبذ أن نمد جسور التواصل معهم.

نظر الملك مهلائيل إلى القائد العام عمرام وقال:

- ما رأيك أيها القائد العام؟

قال عمرام وهو يطل على الزوبعة السوداء.

- أرى أن نستقبلهم ونعلم ما في جعبتهم يامولاي

- حسنا أخرج إليهم في وفد، واستمع إلى مطالبهم ثم أخبرني

بذلك.

في هذه الأثناء نهض يراع من مكانه وقال:

- سأذهب إلى استقبالهم.

قالت الأم دينا:

- أرى أنك تتحمس لكل ما هو مجهول يا بني!!

- نعم، لقد ملكت من مصارعة الحيوانات، أريد أن أكتشف عالم

الجن المبهم.

صاح الملك في وجهه مقاطعا:

- كفى أيها العبثي، ألا تعلم أنك قد ترمي بنفسك وغيرك إلى

التهلكة، يجب أن تعلم مدى قوتك وقوة خصمك قبل الإقدام على أي

مغامرة.

دمدم يراغ بكلام غير مفهوم ثم قال:

- حسنا، وهو كذلك، فقط اسمح لي أن أستقبل وفد الجن.

ابتسم مهلنايل وقال:

- لك ذلك أيها المجنون. ولكن يا عمراوم وفر لهم الحماية وضع

فرقة من الرماة على أهبة الاستعداد فوق الجدران، وفيلقا من الخيالة

والمشاة خلف البوابة تحسبا لأي خطر.

-7-

وقفت ليلي وقفة حازمة؛ واضعة رجلها اليمنى على صخرة صغيرة، وهي مرتدية حذاءً جلديا وسروالا يضم قطعا دائرية من الحديد والنحاس. وضعت يدها اليمنى التي تتخللها عدة وشوم على اليسرى، ثم رفعت صدرها بشموخ إلى السماء وهي ترقب من بعيد مملكة بابل المثيرة للجدل بين بني الجن. كان شعرها عبارة عن ضفيرة طويلة صفراء متشابكة فيما بينها كأنها تاج منبثقة من غرتها ونازلة إلى الخلف، مما أدى إلى بروز أذنيها المدببتين والمزينتين بالأقراط الذهبية الصغيرة.

كانت ليلي تنظر بترقب إلى أسوار بابل الضخمة التي يحيط بها خندق عميق من كل جانب، فلم تكن تتوقع أن تكون مملكة الإنس بهذا الحجم من البناء والجمال، وكانت أشعة الشمس المنعكسة من الأحجار المصقولة الشبيهة بالسيراميك التي تحمل اللونين الأزرق الكوبالتي والأخضر البحري تجعل من بابل منارة يشع منها نور مزركش بالألوان البهية.

فتحت الأبواب الضخمة التي تحرسها الثيران الهانجة والأسود غير المروضة، ثم نزل جسر من أعلى الباب إلى الخندق المائي، مفسحا المجال لخروج عربة تجرها أربعة خيول ملكية ركضت بسرعة في اتجاه الزوبعة السوداء والتي كانت عبارة عن كرة من الصواعق تحمي الوفد المرسل وتساعد على الاختفاء وطى المسافة بين مملكتي برقان قرب نهر النيل ومملكة بابل على نهر الفرات والتي دامت عشرين ليلة قمرية كاملة.

بينما الرماة يوجهون سهامهم نحو الزوبعة؛ خرجت رئيسة الوفد ليلي بنت برقان منها لاستقبال العربة التي ضمت كل من القائد العام عمرام ومستشار الملك براكيل وابنه يراع وخمسة جنود مرافقين، فيما

ظلت سرية من فرقة المشاة والخيالة مختبئة خلف الأبواب تراقب الوضع عن كثب.

توقفت العربية على مقربة من الزوبعة، فترجل منها يراع أولا متجها نحو رئيسة الوفد وهو يحدث نفسه بأنه لم يكن يتوقع أن يكون في بني الجن مخلوقات بهذا الجمال، خاصة أنه لا يعرف منهم سوى المردة والغيلان والوحوش الضارية الذين يتناقل بنو الأنس أخبارهم وأشكالهم، إلا أنه يرى الآن أمامه فتاة جنية لا تختلف عن بني الإنس إلا بأذنيها المدببتين نحو الأعلى، وهي سمة يتصف بها أغلب بني الجن.

قال يراع وهو يقترب من ليلي:

- أهلا أيتها السيدة الجميلة.

مدت يدها للسلام وقالت:

- أهلا أيها الإنسي.

قال يراع وهو يتأمل يدها البيضاء الناعمة والرقيقة:

- اسمي يراع بن الملك مهلائيل حاكم بابل.

- أنا ليلي بنت الملك ساجي برقان حاكم مملكة برقان العظيمة

على أرض صوعن قرب نهر النيل، ونحن وفد أرسلنا الملك لملاقاة ملككم طلبا للدعم والمساندة في حروبنا ضد عزازيل وجنوده.

قاطعها عمرا م وهو يترجل من العربية قائلا:

- عزازيل ذاك الساقط من السماء؟

- نعم سيدي، إنه يفتك بممالك الجن الواحدة تلوى الأخرى،

ويجمعهم تحت رايته.

قال مستشار الملك:

- نعم إنه يجمع العدة لنا، فنحن عدوه الأول والأخير. حسنا، نحن

نرحب بكم في مملكة الإنس بابل.

ابتسمت ليلي ابتسامة خفيفة وقالت:

- شكرا لك سيدي.

التفتت خلفها نحو الزوبعة معطية إشارة الموافقة، فبدأت كرة البرق بالاختفاء تدريجاً ليتجلى باقي عناصر الوفد، والذي ضم ثلاثة حكام من مدرسة الحكمة وثلاثة من خدامهم، وأربعة قواد عسكريين عن مملك بركان، إضافة إلى ليلي ممثلة أبيها الملك والنانية عنه، وبمثل هذا الوفد كانت كحلة بنت بركان متوجهة إلى مملكة مذهب في أرض أشقلون لصنع حلف ثلاثي ضد عزازيل.

بينما الجميع يتبادل التحية، أطلق برج المراقبة إنذار الخطر، حيث ظهر خلف أشجار النخيل الكثيفة على مقربة من نهر الفرات عدد كبير من الغيلان والوحوش وهي تركض بسرعة نحو الوفد، وفي محاولة لصددهم بدأ الرماة يمتطرونهم بوابل من السهام، لكن أشجار النخيل السامقة كانت تحول دون ذلك.

أخرج القائد العام عمرام سيفه وصرخ:

- ما هذا؟ هل هي خيانة!!! هل تستدرجوننا إلى مكيدة ما؟

قالت ليلي في فزع شديد:

- أقسم لك سيدي بحق إيل إنهم جنود عزازيل وإنهم يطاردوننا.

في غضب شديد قال:

- حسناً فلنتوجه إلى الداخل.

إمتطى يراع العربة مسرعاً ونادى على الجميع بالصعود إليها بما فيهم ليلي للانسحاب نحو بابل، لكنها رفضت ذلك، وفضلت أن تبقى مع وفدها ممتشقة سيفها البراق لمقاتلة الغيلان والوحوش، وإذ بفيلق من جنود الإنس يخرج من بابل متجها لاعتراض جيش الظلام، ليغير يراع اتجاه عربته مساهما في صد الهجوم المباغت عليهم بعد أن شاهد عزم الوفد برناسة ليلي على مجابهة الظلام.

كان عزازيل على علم بخطط مملكة بركان، فأرسل جيشه إلى بابل لاعتراض مهمة ليلي وصد أي تقارب لوفد الجن مع بني الإنس، وأن يتم

قتلهم كلما سنحت الفرصة لذلك، وبعد أن اختفت الكرة الحامية أصبح ظهر الوفد مكشوفاً لقوى الظلام وهي الفرصة الأمثل للانقضاض عليهم. إلتحم الجمعان وسط بستان ضخم من النخيل، مما حجب الرؤية على فرقة الرماة المنتصبة على جدران بابل، لكن فرقة المشاة والخيالة كانوا أسرع في اعتراض الهجوم وصدده في معركة تزعمها القائد العام عمرام بنفسه، وهو ما شجع جنود بابل على المضي قدماً في معركتهم ضد جند عزازيل.

دفع جند الظلام بالغيلان في مقدمة الهجوم، وهم وحوش طولها تزيد من عشرة أقدام، مرعبة الشكل، وذات شعر كثيف أسود، وأنياب طويلة حادة ومسننة، وبالرغم من قوتهم فإنهم محدودو الذكاء وبطيئو الفهم، فكانت الغيلان تعصر جنود بابل وتمزقهم بيديها وتفترس رقابهم، لذلك كان أغلب الجنود يفضلون مواجهة الجن على مواجهة الغيلان المخيفة. قفز يراع من العربة ووضع رجله على جذع نخل، ثم التفت نحو أحد الغيلان، وعرز سيفه في بطنه، إلا أن الغول أمسك به وقذفه بعيداً على الأرض حتى استقر عند رجلي ليلي التي نظرت إليه بتمعن وقالت:

- أنظر كيف أتعامل مع الغيلان.

قفزت ليلي قفزة طويلة، ووقفت على كتفي غول، ثم غرزت سيفها في رأسه لتسقطه سريعاً، ثم أمسكت سهماً ووجهته مباشرة إلى حلق غول آخر لترديه قتيلاً كذلك، ثم قفزت أمام أعين يراع وأسقطت ثلاثة رؤوس من الجن بضربة واحدة.

حاول يراع بدوره إبراز قدراته القتالية فتوجه مسرعاً نحو غول آخر، وعلى مقربة منه حاول الغول الإمساك به، إلا أن يراع انحنى على ركبتيه ماراً من بين قدمي الغول وغاززاً سيفه بين فخذيته، ليسقطه قتيلاً على الفور.

أحاط عدد من الجنود بغول وعرزوا جسمه بالرماح الكبيرة، بينما كان غول آخر يفتك بعدد من الجنود بيديه ويمزقهم إلى شطرين، وفي

تلك الفترة دخلت ليلي وسط عدد كبير من جنود الظلام لتسقطهم الواحد بعد الآخر، وفجأة تلقت ضربة قوية على ظهرها بيد أحد الغيلان دحرجتها بعيدا إلى أن اصطدمت بجذع نخلة، وإذ بعفريت من الجن استغل سقوطها، فارتفع عاليا ثم هوى بسيفه على رأسها.

ظلت ليلي تشاهد باستسلام حتفها على سيف براق قسم أشعة الشمس نصفين، وفجأة تدخل يراع بسيفه معترضا سيف العفريت بمحاذاة وجهها، فأدى احتكاك سيفيهما إلى انبعاث وميض وشرارات تناثرت أمام عينيها الشاحبتين في ذهول.

تسمر جسدها ليس خوفا على حياتها، وإنما تذكرت كلمات الحكمة أم تعامة لها وهي تحدثها عن لقائها بحبيبها في ساحة المعركة، وتحت وميض السيف وشرارته، وبينما حاول يراع رفع سيف العفريت عن وجهها توقف الزمان بالنسبة لليلي متسائلة في حيرة واندهاش كبير:

"أيعقل أن يكون هذا من سيهنتز له قلبي.

لا أظن، إنه بشري.

أنا مخلوقة من نار.

وهو من طين.

لا يمكن أن نلتقي.

إننا متناقضان.

لكن قلبي يقول عكس هذا، إنه يخفق بسرعة.

أتذكر حين سألت الحكمة هل هو قائد أم أمير فأجابتنى أنه شيء مختلف.

نعم فهمت، إنه مختلف، إنه من بني الإنس".

قالت ليلي بصوت مرتفع:

- لكن كيف يعقل أن يحدث هذا!!

- كيف يعقل هذا!! بدل أن تشكريني على إنقاذي لك، تقولين كيف

يعقل هذا؟

مد يراع يده إليها لمساعدتها على النهوض، فلم تنتبه ليلي إلا والعفريت الذي حاول قتلها ممددا على الأرض مفصولة رأسه عن جسده.

مسكت ليلي بيد يراع فسرى بينهما دفء كبير، وهي تحاول النهوض وعيناها مثبتتان على بعضهما البعض، فكان كلاهما يتبادلان النظرات في صمت، لكن يراع كان منتشيا بإتقاد أميرة الوفد، ثم استرسلا في مقاتلة جيش عزازيل، وكل واحد منهما يحاول التباهي بقدراته أمام أعين الآخر.

-8-

في ظلام دامس لا يكسر عتمته سوى أصوات الصراخ والعيول، وحمرة متوهجة من نيران لزجة وهي تحاول رسم أخايد لها في الطبقة الثانية من جحيم أريصتاتاري التي كانت مخصصة لصنع الأسحار والتعاويد تحت إشراف مباشر من عزازيل.

أخرج المارد (دهار) يديه من تحت معطفه الأسود، وأشار بهما إلى تل مكون من طين لازب، وهو يردد تعويذته السحرية التي منحها له عزازيل، وفي نفس الوقت بدأ ثلاثة مئة وستون ماردا بالطواف حول التل عكس عقارب الساعة في انسجام تام مع التعويذة المرددة بصوت دهار من أجل شحذ الطاقة الكافية لخلق الغولم³².

تنفس المارد دهار بعمق ورفع يديه عاليا لترتفع معها الترانيم السحرية وليشد الطواف حول التل، ثم دخل ثمانية وحوش يحملون لوحا نحاسيا سحريا، فتوجهوا به إلى التل وغرسوه فوقه، ليخرج عزازيل كرة نار ويقذف بها التل ثم قال:

- أيها الوحش الشرير.

يا متعدد الوجوه والأعداد والصفات.

يا من تحمل ستة مئة وستة وستين سمة.

أسلطك على بني الإنس.

ومن عصاني من الجن.

لتهلك نسلهم وتدمر زرعهم.

وتخرج لهم في البر والبحر.

في أول الزمان وآخره.

³² في التقاليد اليهودية يعرف الغولم على أنه مخلوق عن طريق السحر من مادة غير حية أو من أعضاء جسم الإنسان ورد ذكره في المزمور 16:139 كما ورد ذكره في مواضيع كثيرة من كتب التلمود

إنهض لخدمتي.

وامثل أمامي.

أيها الغولم الأبدي.

ألواحا ألواحا.

العجل العجل.

الساعة الساعة.

بدأ التل الطيني بالتمايل وكأنه في مخاض عسير، يهتز كلما ارتفعت الترانيم السحرية التي يرددها المردة وهم يطوفون به، ثم بدأت فقاعات ضخمة تتناثر من شقوقه، وأصوات تخرج من داخله كأنها أنين مريض يشكو الوجع، وبينما المردة مسترسلون في ترانيمهم دخل اثنا عشر وحشا قصيري القامة من باب شاهقة يحفها السواد من كل جانب كأنها بوابة لمغارة في جبل مظلم، وهم يدفعون رافعة حديدية معلق عليها اثني عشر شخصا من بني الإنس؛ وهم أربعة رجال وأربع نساء، وأربعة أطفال؛ بنتان وولدان، كلهم معلقون من أرجلهم فيما رؤوسهم متدلّية إلى الأسفل، ومباشرة بعد استواء الرافعة الضخمة فوق اللوح النحاسي المنقوش طار المارد دهار نحوهم، ثم فصل رؤوسهم بسيفه السحري.

سالت دماء بني الإنس فوق اللوح النحاسي الذي بدأ بالفوران والتآكل إلى أن ذاب بشكل نهائي وانساب داخل شقوق التل الطيني الذي تحول إلى شرنقة ضخمة ولزجة.

لم يمض إلا وقت قصير حتى انفجرت الشرنقة بقوة ليخرج من بطنها ست مئة وستة وستون غولما طولهم أزيد من خمسة عشر قدما، وهم مخلوقات عريضة المنكبين لزجة الجسم كأن نموها لم يكتمل بعد، سوداء البشرة ومتقرحة الجسم، فيها الكثير من التشوهات الخلقية، وتفوح منها روائح كريهة شبيهة بروائح الحيوانات النافقة.

تقدم عزازيل نحوهم، ووسم في جباههم علامة التجديف³³، فهذه أول تجربة ناجحة له في صنع الغوالم بعد محاولات كثيرة، وبعد أن جمع الطاقة الكافية التي مصها من خصومه من بني الجن.

عم الفرخ في كل أرجاء أريصتاتاري المكونة من تسع طوابق أعلاها قصر عزازيل وأخرها السجن الأبدي المخصص للمعذبين والأسرى والمنبوذين من العالم الأرضي، وكانت الوحوش الصغيرة التي لا تتعدى القدم الواحدة وهي خادمة العالم السفلي تتراقص فرحا بنبا صناعة الغولم، فانتقل جلها عبر الدهاليز الكثيفة إلى الطابق التاسع لمشاهدة إشراف الغولم على تعذيب الأسرى ومص طاقتهم.

كانت الطبقة الأخيرة متوهجة بالنيران الكثيفة التي تجري في وديان شاسعة ومتعرجة غير محدودة، وتمر على الأقفاص التي جمع فيها أسرى الجن الذين رفضوا بيع أرواحهم لعزازيل وحاربوه في ممالكهم قبل أن تنهار أمام جند الظلام.

ضمت الطبقة التاسعة كذلك سجنا متفردا للملك أبو النور الأبيض مرة بن الحارث ملك مملكة المرامرة الذي رفض رفضا قاطعا أن يضع يده في يد عزازيل، فبعد أن امتص عزازيل كل قوته قام بقتله، ثم قتل ألفا من أبنائه وزوجاته، ومن تبقى منهم يتم تعذيبه هناك بشتى أنواع العذاب.

كما وجد في نفس الطبقة أبناء وحاشية الملك أبي الحُسن زوبعة الذي تم قتله أثناء اجتياح مملكته مملكة الزوابع، وهم مصطفون في غرف صغيرة وموصدة، وتصب عليهم بشكل دائم حمم النار والقطران نكاية في احتقارهم لعزازيل أثناء سقوطه من السماء.

إلا أن أسوء تعذيب كان يتعرض له جني من العفاريت الكبار اسمه شام، كان قوي البنية، مفتول العضلات، مجنح الظهر، وذا مخالب كبيرة وأنياب بارزة، وقرون ملتفة على أذنيه الكبيرتين، كان يمكن له أن

مصطلح لاهوتي³³

يتشكل في أي صورة شاء، إلا أنه الآن في أسر عزازيل مربوط من قدميه، ومعلق من يديه بسلاسل نارية ضخمة ملفوفة كذلك على عنقه الضخم، ثم نحو ظهره حتى لا يستطيع تحريك جناحيه، كما كان يتعرض لشتى أنواع العذاب من طرف الغيلان الضخمة والوحوش الصغيرة التي تظل تحرق جسمه بنبال ورماح حديدية، وكان شام لا يصرخ أبدا من شدة الألم، بل كان يصرخ بكل ما أوتي من قوة ليزعج عزازيل في قصره الواقع في الطابق الأول من أريستاتاري، والذي يفصل بينهما مسافة عشرة أشهر من المسير.

-9-

نزل مردة الجن الطيار إلى ما أسفل النخيل الذي كان يحجب رؤيتهم في المعركة، وبالرغم من أنهم سريعو الحركة والانسياب، إلا أن قدرتهم تضعف كلما اقتربوا من الأرض التي نزلوا إليها مضطرين لتنفيذ مهمتهم الخاصة والقاضية باغتيال رئيسة الوفد ليلى والحكماء الثلاثة الذين يرافقونها.

كان المردة يرتدون معاطف رمادية مجنحة تحوي أقبية تخفي ملامح وجوههم، بدأوا بالتسلل بين أشجار النخيل إلى أن وصلوا إلى وسط المعركة، فلمح أحدهم رئيسة الوفد ليلى بنت برقان وهي تقاقل إلى جانب يراع.

إقترب المارد بتخف شديد من ليلى مستغلا غفلتها ليقتذف ظهرها بكرة برق سحرية قاتلة، إلا أن مستشار الملك براكيل الذي كان على مقربة منها حاول صد الكرة بدرعه الحديدي، لكنها اخترقته لتستقر في صدره مباشرة، وهو ما أثار انتباه ليلى التي التفتت خلفها وصرخت صرخة قوية محذرة الجميع من كرات البرق السحرية الخاصة بمردة الظلام.

بينما كان القائد العام عرام ويراع يضعان المستشار براكيل داخل العربة الملكية، كان مردة الظلام يقصفون بسرعة عناصر وفد مملكة برقان، ثم حاولوا الفرار إلى السماء مباشرة بعد نجاح مهمتهم، إلا أن سهام البابليين أسقطتهم صرعى ولتنتهي المعركة فجأة كما بدأت فجأة.

كان براكيل مستشار الملك برقان يحتضر بين يدي القائد العام عرام الذي سأله:

- لماذا أيها المستشار الحكيم؟ لماذا اعترضت كرة النار!! لماذا؟
رد المستشار بصوت متقطع يغلب عليه الأنين:

- إحدروا، أحدروا عزازي..
- فارق براكيل الحياة، فانهار يراع باكيا وهو يقول:
- أرجوك خالي لا تفارقنا، آه أنا السبب في هذا.
- اقتربت ليلى منهما وقالت:
- هذا الرجل الطيب قد ضحى بنفسه وأنقذني من كرة النار التي كادت أن تصيبني من الخلف.
- قال القائد عمرام وهو يتفقد الجرحى الذين هم بالقرب منه:
- أين هم بقية وفدك أيتها الأميرة؟
- لقد قتلوا جميعا، فلم يبق معي سوى الحكيم نموشالخ وخادمه مودو.
- رد عمرام والدموع تنهمر من عينيه:
- ونحن أيضا خسرنا مستشار الملك سيكون يوما حزينا في بابل.
- أنا أسفة، كان هذا بسببنا، فلولاه لكنت قد قتلت على يد المردة.
- كان الجنود يحملون جرحاهم ويضمدون جروحهم، فيما آخرون يكبلون أسرى الجن الذين ظلوا على قيد الحياة ويقتادونهم إلى بابل، فقال القائد عمرام:
- حسنا، فلنتجه إلى القصر الملكي حيث الملك مهلائيل في انتظاركم، امتطوا هذه الجياد وهيا بنا.
- كان الملك مهلائيل رفقة ابنه يارد يراقبان أطوار المعركة من شرفة القصر العالية والمظلة على نهر الفرات، وهما يشاهدان كيفية نشوب المعركة سريعا بين أشجار النخيل بدون استعداد لها، وبالرغم من الحراسة المشددة التي فرضها مهلائيل على جنوده لمراقبة تخوم مملكته واستقصاء الأخبار البعيدة، فإنه قد تفاجأ أولا بظهور كتلة سوداء محملة بالبرق والزوابع ووفد الجن من مملكة برقان على متنها، ثم ثانيا بظهور جيش آخر من الجن والغيلان والوحوش وهم يهاجمون الجميع بدون استثناء، حيث بدت على وجهه الحيرة والغضب وهو يشاهد ابنه يراع

ينحرف بعربته ليشارك في القتال عوض الانسحاب نحو الداخل معرضا رفاقه للخطر.

أنزل الجسر المعلق على الخندق من جديد، وانطلق الجميع نحو باب إيل بما فيهم ما تبقى من وفد ليلى التي كانت تتشعر بالمهابة وهي تلج المدخل المنقوش بتسع صفوف من التنانين والنيران الهاججة، تأملت القصور الفخمة، والمعابد المهيبة، والشوارع الضيقة التي تضم بيوتا مسطحة ذات أسقف من قرميد أصفر تتخللها ينابيع ماء دائرية جنب كل بيت، ثم ساحة واسعة تضم في حواشيها العشرات من الغرف الصغيرة، والتحف الرائعة، والأسوار العالية المكسور قرميدها بالطلاء الأبيض الذي كان براقا كالرخام.

كما كانت مدينة بابل مزينة بأشجار السنديان، والبلوط الأخضر، والصنوبر، والدلب، والصفصاف، والدردار، والنخيل الطويلة، وأشجار البرتقال والرمان.

شاهدت ليلى بنايات مرتفعة وسلام يصعد بها بني الإنس من مدرج إلى مدرج آخر، حيث كانت بابل في تلك الفترة ظليلة فسيحة زادت زخات المطر جمالا وهدوء.

مع غروب الشمس كان ما تبقى من وفد ليلى قد وصل إلى قصر الضيافة اللولبي بحي الشريعة، فأخبرهم القائد العام عمرام بالاستراحة هناك ضاربا لهم موعدا في الغد لملافاة الملك مهلائيل، ثم انتقل بسرعة رفقة يراع إلى القصر الملكي حيث ظل الملك يخطو خطوات ثقيلة ذهابا وإيابا واضعا يده خلف ظهره، فيما يارد لازال مطلا من الشرفة لمراقبة أشجار النخيل، إذ دخل عليهم القائد العام عمرام وقال:

- مولاي وسيدي الملك.

- ما هذا يا عمرام!! كيف تخاطرون بخوض هذه الحرب غير

المحسوبة!!؟

- آسف سيدي، لكن يراع غير اتجاه العربية وانعطف بها نحو جنود عزازيل من دون أن يستشيرني، لذا كان لزاما علينا خوض هذه المعركة.
- استدع ذاك المتهور يراع والمستشار براكيل لكي نعقد اجتماعا طرنا.
- تغيرت ملامح القائد العام عرام فجأة، وشق وجهه اللون الأصفر الممزوج بالخوف والخشية من رد فعل الملك، ثم انحنى وقال:
- مولاي الملك إن مستشارك الرجل الطيب ق.. سكت برهة.
- أكمل يا هذا. ماذا دهاك!! ما بال المستشار براكيل؟
- سيدي ومولاي، إن براكيل قد قتل في المعركة.
- ماذا!!
- صدم الملك من هول الخبر، وتجمد في مكانه، وتوقفت أنفاسه، واتسعت دائرتا عينيه، فيما يارد خر على الكرسي مذهولا فاغرا فمه.
- كان براكيل أكثر من مستشار للملك، فهو صديق طفولته وأخ زوجته دينا، كما كان مساعده الحقيقي في بناء مملكة بابل وبسط نفوذه على البلاد، فلم يكن مهلائيل يتخذ أي قرار كان صغيرا أو كبيرا إلا باستشارته، وبفقدانه فقدت بابل أبرز حكمانها.
- عم صمت ثقيل في قاعة العرش، ثم انفجر الملك مهلائيل بصرخة شبيهة بزئير الأسد الغاضب، نافخا صدره عاليا، ورافعا يديه إلى السماء، وبدت أنيابه بارزة، وشرارة الغضب تنتثر من عينيه الحمراوتين.
- صرخة كانت كفيلة بأن تسقط عرام أرضا، ويفر يارد هاربا من القصر، كما أن صداها تسبب حتى في جفول الطيور النائمة على أغصان الأشجار القريبة.

قال أحد الجنود ليراع الذي كان واقفا على مقربة من باب قاعة العرش:

- لا بد أن والدك الملك قد علم بموت المستشار براكيل، ولولا ذلك لما صرخ هذه الصرخة كلها.

صرخ مهلائيل مجددا:

- أيها الحراس احضروا يراع إلى هنا على الفور.

مسك الحراس يراع من يديه واقتادوه إلى قاعة العرش، فجثا على ركبتيه وقال:

- أنا آسف يا أبي إنه خطئي.

أمسك مهلائيل بقوة عنقه يراع ورفعته عاليا.

- أيها الغبي المعتوه؛ ستدمرني وستدمر مملكتي.

إنهال عليه بالضرب والركل بكل قوته حتى أسقطه أرضا، فيما يراع ظل منكمشا على نفسه مستسلما لغضبة أبيه.

توقف الملك فجأة عن ضرب ابنه وعيناه مغرورقتان بالدموع، وقال:

- أيها الحراس خذوه هذه الليلة لينام في سجن الزاقورة لعله يسترد رشده في الصباح.

- هيا انهض.

- ركله مهلائيل مجددا برجله ثم ردد:

- قلت لك انهض. تحرك من أمامي وإلا أمرت الحراس أن يقطعوا رقبتك هذه الليلة.

مسك الحراس يراع وسحبوه بعيدا وهو يقول:

- أنا آسف يا أبي.

وضع الملك مهلائيل يده على صدره، وأحس بألم يعصره، ثم سقط على الأرض مغشيا عليه.

-10-

"حيث جعل في مصر آياته، وعجائبه في بلاد صوعن"³⁴ على أرض صوعن الواقعة على مقربة من نهر النيل العظيم، استقرت مملكة برقان أو ما كان يطلق عليها من طرف بني الجن ببلاد العجانب، وهي المملكة الثانية لآل برقان بعد خراب مملكتهم الأولى على يد الأنوناكي النازلين من السماء بقيادة عزازيل.

بعد انتهاء حملة الأنوناكي المكلفين بأمر من إيل بتدمير جميع ممالك الجن التي لم تمتثل لوصية سوميا وعودتهم إلى السماء، فضل معظم بني الجن ممن تبقوا على سطح الأرض أن يستقروا بمحاذاة الأنهار والبحار والجزر المهجورة، التي كانت تشكل لهم مناطق أمنة وسهلة للهروب من قبضة الأنوناكي، ثم حاول الجن بعدها تشييد ممالك لهم جديدة على طول الأنهار والوديان والبحار البيضاء العميقة.

كان سوميا كبير الجن؛ فلا يعرف جن قبله، قد خلف قبائل وممالك كثيرة من نسله استوطنوا الأرض وأعماقها، وعملوا بتعاليمه ووصاياها المستمدة من حكم إيل عليهم، فحكم فيهم عشرة آلاف سنة إلى أن وافته المنية.

جمع سوميا قادة الجن وأمراءهم وزعماء القبائل والعشائر وترك فيهم وصية تدعو إلى انتقال الحكم بعده إلى ابنه الأصغر ميظطرون حاكما ونبيا مرسلا من إيل عليهم، لكن أمراء الجن كذبوا نبوة ميظطرون طمعا في عرشه، ثم ثاروا عليه وحاولوا قتله، إلا أن ميظطرون فر إلى السماء واختفى هناك.

اختلف المنقلبون ولم يتوافقوا على خليفة موحد يحكم سلالة بني الجن أجمعين، فانقسموا على بعضهم قبائل وممالك ومستوطنات

³⁴سفر المزامير 78: 43

مشتتة، سرعان ما نشبت حرب ضروس فيما بينهم وسفكت دماء كثيرة، وساد الظلم بعد أن تخلى الجميع على وصايا سوميا الأب.

دامت الحرب بين قبائل الجن وممالكهم ألفي عام منذ وفاة سوميا إلى أن نزل عزائيل بتكليف من إيل ليقود الأنوناكي في حرب أخرى جديدة، هدفها تدمير كافة ممالك الجن، وتشريد كل القبائل التي تستوطن الأراضي الوسطى والقضاء على عدد كبير من الغيلان والوحوش والمردة من أمراء وقواد وعوام وهوام ممن ارتدوا عن وصايا إيل، فتم تشريدهم وطردهم بعيدا إلى الأنهار والبحار والجزر البعيدة، وفر كثير منهم إلى العالم السفلي في أعماق الأرض مستوطنين هناك بشكل نهائي، وبعد أن تم تنظيف الأرض من الخارجين على وصايا سوميا بعث إيل رسولا جديدا، لكن هذه المرة كان إنسيا اسمه (آدم) ليكون خليفة له عليها وذريته من بعده.

وضعت الحرب أوزارها وجفت الأرض من ثقل دمانها، وتعلم بنو الجن الدرس جيدا من حروبهم، فالطمع والصراع على الحكم لا يجلب إلا الدمار والخراب، وهكذا عمد من تبقى من الجن في العالم الأرضي إلى بناء ممالك جديدة مسالمة على ضفاف الوديان والبحار التي أخبرهم الأنوناكي أن من عاش فيها فهو آمن من سيف إيل.

نشأت سبع ممالك للجن، جمعت بينهم هدنة طويلة أساسها ألا أحد يتدخل في شؤون مملكة الآخر، لذلك أحاطوا أنفسهم بكثير من الطلاسم والتعويذات لحماية أرضهم من أي اختراق من الغرباء.

كما أسسوا مدرسة للحكمة مستقلة يشرف على تسييرها حكماء عشرة يتم انتدابهم على رأس كل ألف سنة، فيما تم الاتفاق على أن تنتقل مدرسة الحكمة من مملكة لأخرى كل خمسين سنة تعميما لمعارفها على الجميع بالتساوي، كما عهد للمدرسة بحماية الطبيعة وعناصرها الأربعة وسر الخلود ووصايا سوميا.

لم تستمر الهدنة التي جمعت ممالك الجن عمرا طويلا، فعزائيل الذي سبق أن نزل إلى الجن بجيش كبير من الأنوناكي، تم طرده من السماء فسقط إلى العالم السفلي، ثم أنشأ هناك جيشا جديدا بهدف الانتقام والسيطرة على الأرض، فتحالف أولا مع مملكة بني الأحمر التي استوطنت أرضا بعيدة عن باقي ممالك الجن في الشرق على أرض دستميسان.

قدم الملك محرز ملك مملكة بني الأحمر جيشا ضخما من جنود الجن والغيلان والمردة و العفاريت لعزائيل الذي حول اسمه إلى عزازيل، كما منحه روح ابنه ديباج ليكون خادما لديه وأميرا على كل العفاريت من عشيرة شماشقة، ثم انفقا على تنفيذ هجوم سريع على مملكة الهوارش بأرض كميث، حيث هجم عليها جيش بني الأحمر من الشرق؛ أما عزازيل فقد دخل عليها من البحر غربا، فاستسلمت مملكة الهوارش بسهولة، وانظم جيشهم إلى جيش عزازيل الذي زحف نحو مملكة الميامين في أرض ربله، التي انتفضت عشانرها ضد ملكهم ميمون وتحالفوا مع عزازيل، وانضموا إلى جيشه بكل عتادهم وسحرم الفتاك. استطاع عزازيل في سنوات قليلة من نزوله أن يدمر ممالك الجن الواحدة تلو الأخرى، فلم يبق له إلا مملكتنا مذهب الواقعة في أرض أشقلون القريبة من وادي هنوم، ومملكة برقان الواقعة في أرض صوعن قرب نهر النيل.

لكن عزازيل في مناورة عسكرية فضل جمع كل قواه وعتاده وسحره لمهاجمة مملكة برقان البعيدة والقوية والمدعومة من مدرسة الحكمة، أما مملكة مذهب فكان يعتبرها سهلة المنال لا تحتاج إلى كل هذه القوة. استمر حصار مملكة برقان أربعين شهرا وثلاثة وعشرين ليلة قمرية كاملة تحت إشراف ابن عزازيل المسمى دنهش والقائد الأعلى سانوخ، فكان دنهش هو عين عزازيل على المعركة والمكلف بأمر السحر والطلاسم لإبطال قوة القبة التي تحتمي بها مملكة برقان، أما سانوخ فقد

كان مشرفا على القوة العسكرية الميدانية المحاصرة للمملكة بكل أشكالها.

كان مئات الآلاف من الوحوش وجنود الجن يضربون طوقا ضخما على محيط مملكة برقان، فيما الراجمات الضخمة لم تتوقف على قصف القبة الحامية بكرات لهب النار الممزوج بطلاسم السحر والطاعون الأسود، أما المردة الطيارون فقد ظلوا يحلقون في السماء لعلمهم يكتشفون خرقا أو منفذا إلى داخل المملكة، لكن لا سبيل لذلك مادامت مدرسة الحكمة تزود برقان بأسرار لا يستطيع حتى عزازيل بكل قوته إبطالها.

من مقصورة في برج بعيد كان كل من دنهش والقائد الأعلى سانوخ يراقبان فشل محاولتهما في تحقيق أي اختراق بعد طول مدة الحصار، حيث كانت علامات الغضب باقية على وجه ابن عزازيل دنهش الذي التفت من شرفة المقصورة نحو القائد الأعلى سانوخ قائلا:

- إنه وقت طويل، ولا تقدم في الحصار.

رد سانوخ في حيرة كبيرة:

- نعم نحتاج إلى خطة بديلة أو لسحر عظيم.

دخل أحد الحراس إلى مقصورة برج المراقبة وقال:

- سيدي.

التفت إليه القائد الأعلى سانوخ مجيبا:

- ماذا هناك أيها الحارس؟

- سيدي لقد حل الأمير ديباج إلى هنا قادمًا من وادي هنوم ويريد رؤيتك.

بلهفة ممزوجة بخوف وترقب صاح القائد الأعلى:

- أدخله فور وصوله إلى هنا.

رد الحارس وهو يهم بالانصراف:

- أمرك سيدي.

قطب دنهش حاجبيه وقال في غضب شديد:

- ماذا يفعل هذا هنا؟! نحن لا نحتاجه ولا نحتاج سحره الفاشل.
- ظل سانوخ صامتا قليلا وكأنه لم يعر كلام دنهش أي اهتمام، ثم بعد لحظات دخل عليهما الأمير ديباج متبخترا في مشيته دون إلقاء التحية، فنظر إلى القائد الأعلى سانوخ ثم إلى ابن عزازيل دنهش، ثم توجه مباشرة إلى شرفة المقصورة متأملا مشهد الحصار، ثم التفت إليهما واضعا يديه خلف ظهره وقال:
- أظن أنكما قد فشلتما في هذه المهمة، وسيدي عزازيل غاضب جدا من هذا الأمر.

رد القائد الأعلى مسرعا:

- كما تعلم أيها الأمير فالقبة منيعة، وهي تعرقل تحركنا، ولولاها لكنا قد أنهينا هذا الأمر في لمح البرق.
- إبتسم ديباج ابتسامة مأكرة وقال:
- لن تظل منيعة.

ظل دنهش صامتا مقطبا حاجبيه، فرد سانوخ:

- أحقا صنعتم تعويذة تبطل مفعول القبة الحامية؟
- تحرك ديباج ببطء، وكأنه يطوف على دنهش الذي ظل متمسرا في مكانه وقال:

- أيها القائد العظيم اهتم أنت بأمر الجيوش وجهزهم جيدا واترك أمر السحر لي أنا. ههه

بينما كان ديباج يضحك بقوة وبسخرية أحس دنهش أن صلاحياته التي منحت له في هذه المعركة قد سحبت منه لصالح الأمير ديباج، وفي غضب شديد حاول دنهش الانصراف من المقصورة، لكنه قبل أن يقترب من الباب خاطبه الأمير ديباج:

- انتظر يا دنهش.

التفت دنهش نحوه وشرارة الغضب تتطاير من عينيه قائلا:

- ماذا هناك أكثر من هذا أيها..
قاطعته ديباج قانلا:
- إن أباك المعظم عزازيل سيحل قريبا.
رد دنهش في دهشة عظيمة حيث توسع بؤبؤا عينيه:
- ماذا؟ سيحل هنا؟ شخصيا!!!
ثم قال سانوخ:
- إنه أمر عظيم.
لوح الأمير ديباج بإصبعه وقال بصوت مرتفع وبغضب شديد:
- أريدكما أن تكونا على أهبة الاستعداد، فلا مزيد من التراخي،
والإطارت رقبتيكما.
- انحنى القائد الأعلى سانوخ قليلا وقال:
- مفهوم أيها الأمير.
فيما غادر دنهش المقصورة وهو يدمدم بكلام غير مفهوم.

-11-

مضى أسبوع ويراع في السجن الواقع تحت الزاقورة القريبة من القصر الملكي، جالس في زنزانة صغيرة مظلمة لا يدخلها إلا نور خافت من فوهة توجد في أعلى السقف، تتخللها قضبان حديدية سميقة تسمح بمرور الهواء، وتساعد السجن على عد الليالي والأيام الذي يقضيها هناك.

ظل متأملا في مصيره متسانلا عن سر إبقائه طيلة هذه الأيام في السجن، فلقد سمع والده مهلائيل يخبر الحراس أن يسجنوه ليلة واحدة، لكن على ما يبدو أن ليلة واحدة قد تحولت إلى ليالٍ دون أن يعيره أحد اهتماما، ماعدا بعض الحراس الذين كانوا يتناوبون على حراسته، ويمدونه بوجبة واحدة من الطعام السيء كل يوم كباقي السجناء القابعين أسفل الزاقورة.

تحت وطأة صوت والده المتردد في أذنه وأمره الجنود بإيداعه السجن، نهض يراع من سريره الخشبي ذي القاعدة المصنوعة من الطين والقصب، وضع يديه على رأسه، ثم مشى ببطء داخل الزنزانة محدثا نفسه التي كانت تلومه عن تهوره وطيشه الشديد:

"ربما قد أترك لأعوام هنا، أو قد أنسى للأبد.

ستطول إقامتي في هذا السجن ما دام أبي غاضبا من أفعالي وغير راض على سلوكي المستفز.

آه بحق إيل، لقد تسببت في قتل خالي براكيل، إنني أستحق السجن الأبدى.

مسكينة يا أمي لقد قتلت أخاك العزيز".

تذكر يراع أيام طفولته حين كان المستشار براكيل يحمله فوق كتفيه متجولا به على ضفاف نهر الفرات رفقة والده مهلائيل، وهما منجذبا الحديث عن بابل العظيمة وسبل جعلها خالدة لدى بني البشر. تذكر أيضا مع دمتين سقطتا من عينيه كيف كان براكيل يلقنه فنون الحرب

والمصارعة، وكيفية استخدام السيف وأسرار المبارزة، وكان الأهم من ذلك هو تعليمه عزة النفس وشموخها، وبأن يكون طيباً مع الآخرين وألا يظلم أحداً أو يتسبب في أذيته.

فقال بصوت مرتفع مع تنهيدة كبيرة:

- آسف أيها الخال الطيب لقد تسببت في أذيتك وظلمتك ظلماً لا يغتفر.

تحرك يراع بضغ خطوات ثم ردد:

- يا ليتني قتلت أنا.

تذكر أيضاً حين تم تأسيس مدرسة للتعلم مسماة بالمدرسة الأهلية خاصة بأبناء ذوي الرفعة البابليين، قد كان يراع كثير الفرار منها عكس إخوته يارد ومتى وراسوجيل ودانييل وديناك وأخته دانييلا، لكن براكيل كان له بالمرصاد معترضاً طريقه كلما حاول الفرار منها، مؤكداً عليه أن المعرفة هي أساس الحياة.

ظل يراع متأملاً في سلوكه المستهتر وحياته التافهة فتساءل بصوت مرتفع:

- آه إنني في عز شبابي وقوتي، أعيش بلا هدف وبلا معنى، ما الفائدة من وجودي؟

سكت قليلاً ووجه نظره صوب جحر صغير قرب سريره وقال:

- ربما هذا الفأر أحسن مني أو هذه الذبابة اللعينة التي تحلق فوق رأسي، ربما هي ذات جدوى أفضل من تافه كرس حياته لمصارعة الثيران وترويض الوحوش.

في صمت مطبق طيلة سبعة أيام من السجن تعلم يراع النظر إلى الأشياء الصغيرة كالفرنان والصراصير والذباب، فهذه المخلوقات الصغيرة كانت كفيلة بتعليمه دروساً كبيرة، كما كانت مؤنسة له في زنزاناته الانفرادية.

لكن فجأة انكسر الصمت الرهيب على دوي صراخ مرتفع وعويل كسر تداعي ذكرياته داخل رأسه، فاقترب بسرعة من البوابة الحديدية الضخمة، وحاول إخراج وجهه من بين القضبان الحديدية في نافذة على الباب لكن دون جدوى، إلا أنه لمح حارسين على مقربة من بابه فصاح:

- أيها الحارس البدين، من الذي يصرخ في الغرفة المجاورة.

رد عليه الحارس البدين بغضب شديد:

- وما دخلك أنت أيها السجين.

- ألا تعلم من أكون أنا ابن الملك مهلاي..

قاطعته الحارس الآخر:

- أصمت أيها السجين وإلا اقتلعت لسانك من حنجرتك.

تمتم يراخ بكلام خافت، وهو يبتعد من نافذة الباب:

- حسنا سأتولى أمركما حينما أخرج.

إنزوى يراخ إلى ركن على سريره، وجلس منكمشا ووضع رأسه بين ركبتيه، ويديه على أذنيه ليخفف من حدة الصراخ المنبعث من الغرفة المجاورة متسانلا:

- ربما يتم تعذيب أحدهم. هل اقترب دوري؟

تساءل مجددا وهو مغمض عينيه إنها سبعة ليالٍ في السجن قد تطول أو ينفذ في القصاص.

- آآآه.

ركض مسرعا، فتسلق ربوة صغيرة، ثم قفز من فوقها على وجه السرعة، فأكمل ركضه بتعب شديد في أرض قاحلة مستوية لا نبات فيها سوى بعض الأحرش الصغيرة المتناثرة وسط تشققات كبيرة تبطئ من

حركته، ومع هبوب ريح ساخنة كأنها منبعثة من لهيب النار لمح جدارا بعيدا مصنوعا من طوب أحمر، قد تعرضت بعض أجزائه للانهييار، تتوسطه باب ضخمة محاطة بلهيب من نار، وعلى مقربة منها يوجد شخص ضخم مجنح له أربعة وجوه، يمسك سيفا متقلبا يشع منه لهب في جميع الاتجاهات، فحاول يراع الركض نحوه لكن قواه كانت وشيكة الانهييار، وفجأة اخترق سهم أبيض رجله اليمنى فخر أرضا، ورغم كل محاولات الوقوف لم يستطع الانتصاب، فوضع يده على الأرض.

** ** *

استفاق يراع من حلمه على وقع إقدام الحراس على فتح باب الزنزانة، فخر أرضا من على سريره، وبالرغم من معاودة محاولته الوقوف على قدميه، إلا أنه لم يستطع من شدة الخوف والترقب. دخل أزيد من عشرين حارسا إلى الزنزانة واصطفوا على يمينه ويساره، فيما ظل هو جاثيا على ركبتيه وواضعا يديه على الأرض، ثم دخل القائد العام عمرام ووقف بالقرب منه وقال:

- إنهض يا يراع.

رفع يراع رأسه ببطء نحو الأعلى وقال:

- عمرام.

- إنهض يا يراع، هيا.

ببطء شديد وقف يراع على قدميه فقال القائد العام عمرام مجددا:

- ما بك يا يراع أرى وجهك شاحبا هل تأثرت بأسبوع فقط من

السجن؟

في ذهول رد:

- لا. فقط كنت أحلم حلما مزعجا، لقد شاهدت سهما يخترق رجلي

ويسقطني أرضا في ..

قاطعها القائد العام عمرام وهو يساعده على النهوض:

- حسنا يا يراع، فلنخرج من هذا المكان القدر.

- خرج الجنود من الزنزانة، واصطفوا على الحائط المقابل للباب، ثم خرج القائد العام عمرام وهو يضع يده على كتف يراع.
- قال الحارس البدين بصوت منخفض:
- آسف سيدي.
- أوما يراع برأسه ورد:
- لا عليك فأنت تؤدي عملك على ما يرام.
- التفت نحو عمرام وهما يكملان مسيرهما رفقة باقي الجنود في رواق ضيق ومظلم:
- أيها القائد لقد سمعت صراخا وعويلا قريبا من هنا، لمن يكون؟
- أزال عمرام يده عن كتف يراع ثم عقفهما خلفه، ورفع صدره إلى الأعلى وقال:
- إننا نستنطق الجن الذين أمسكناهم على قيد الحياة بأي وسيلة كانت، حتى نعرف سر هجومهم علينا، ثم بعدها نختبر قوتهم على التحمل، وفي الأخير سنقتلهم وسنشرح جثثهم حتى نكتشف الفرق بين أجسادنا وأجسادهم.
- أوما يراع برأسه فيما استرسل القائد العام عمرام في الكلام:
- يجب أن نتأكد إن كانت لهم علاقة بوفد الجن من مملكة برقان، ربما هي خطة للتجسس علينا.
- رد يراع في لهفة:
- وهل وفد مملكة برقان لازال هنا؟
- إبتسم عمرام ابتسامة مآكرة وقال:
- نعم لازالت ليلى هنا مع وفدها ولم يستقبلها الملك بعد.
- ولماذا لم يستقبلها طيلة هذا الأسبوع؟
- لقد دخل أبوك الملك في نوبة غضب كبيرة بعد مقتل المستشار براكيل، ثم انعكس غضبه على صحته فسقط مريضا بالحمى إلى أن تحسنت حالته البارحة.

خرج الجميع من باب الزاقورة، فامتطى القائد العام عمرام حصانه وقال:

- حسنا يا يراع إذهب إلى القصر الملكي، واستحم وغير ملابسك، ثم قلم لحيتك، ولا تدخل على أبيك الملك إلا مع أخيك يارد.
- وإلى أين أنت ذاهب؟
- نحو إقامة وفد الجن بحي الشريعة. لا أظن أنك تحب أن تراك ليلى بهذه الحالة الرثة.

ضحك يراع من كلام عمرام، ثم توجه ماشيا نحو قصر أبيه القريب من الزاقورة مستنشقا الهواء النقي ومتأملا في أشجار السنديان والصنوبر، وفي أحواض المياه الصغيرة التي تستعملها ساكنة بابل في أغراضها اليومية.

انتقل مزهوا وهو يراقص قدميه كأنه طفل صغير يلعب أول مرة خارج منزله، متنقلا بين الأزهار والأشجار إلى أن وصل إلى باب القصر الملكي، فلمح هناك أمه دينا سمعان وأخته دانييلا واقفتين في انتظاره، فركض مسرعا نحوهما كالمجنون وعانقهما عناقا طويلا، فقالت أمه دينا والدموع في عينيها:

- لقد كنت خائفة عليك يا بني.
مسك يراع يد أمه وقبلها وقال:
- أنا أسف يا أمي العزيزة. لقد تسببت في مقتل أخيك براكيل.
قالت أخته دانييلا:

- إن أبي مريض في فراشه منذ مقتل خالي.
رد يراع بلهجة غاضبة:
- كل هذا بسببي. يا لتهوري، أسف يا أمي، أنا حقا أسف.
قالت الأم دينا:

- لقد كنت أخشى أن أفقدكما أنتما الاثنين.
ظل يراع صامتا فتدخلت أخته دانييلا بعد أن طبعت قبلة على خذه:

- هيا اذهب للاستحمام يا يراع، فإن أخي يارد في انتظارك قرب باب قاعة العرش ليدخلك عند أبي مهلائيل.

وصل القائد العام عمرام إلى حي الشريعة حيث يوجد برج لولبي أبيض مخصص للضيوف، ففتح له الحراس الباب الضخمة على مصراعها. ترجل عن حصانه وأزال خوذته النحاسية عن رأسه، ثم توجه داخل البرج اللولبي في طريق دائرية مزينة بالتمائيل البرونزية والأواني الفخارية على طول خمسين قدما، إلى أن وصل بهوا واسعا من السيراميك يتخلله حوض ماء فسيح، في ناصيته شلال صغير منبعث ماؤه من الطابق الثاني نحو الحوض، ومن فوقه مباشرة أطلت ليلي برأسها وقالت:

- وأخيرا حل علينا القائد العام بعد سبعة أيام من الانتظار.

صعد عمرام درجا لولبيا صغيرا مباشرة إلى الطابق الثالث حيث كانت ليلي ومرافقوها الحكيم نموشالخ والحارس مودو، فقال لهم عمرام:

- باسم الملك المعظم مهلائيل نبلغكم شديد اعتذارنا على هذا التأخر، فلقد كان مولانا الملك طريح الفراش، وقد تحسنت حالته البارحة.

- أيمرض أحد والحكيم نموشالخ حاضر هنا؟

قطب القائد العام عمرام حاجبيه وقال:

- كيف؟

- لدينا حكماء عشرة يستطيعون معالجة جميع أمراض سواء الروحية أو الجسدية، إنهم يرصدون النجوم والكواكب السيارة، ويحفظون سر الحياة.

قاطعها الحكيم نموشالخ:

- أحم؛ حسنا يكفي يا ليلي، دعي السيد عمرام يكمل حديثه.

رد القائد العام عمرام:

- حسنا، حين تتوسط الشمس كبد سماء هذا اليوم سيستقبلكم الملك مهلائيل على حفلة غداء فاخرة، وخلالها يمكن مناقشة رسالة ملككم ساجي برقان.

-12-

انتهى يراع من تقليم لحيته الصغيرة، وتخليل شعره بزيت شجر الصفصاف، وبالرغم من نحافته بدأ يتأمل في بطنه الممشوقة، ثم وضع قماشاً من الكتان الأبيض على كتفه الأيمن، وأسدله على باقي جسده تاركاً ذراعه اليسرى عارية تماماً، ثم وضع حزاماً كبيراً من الجلد على خصره، ووضع أشساخ³⁵ على رأسه، ثم انحنى مرتدياً نعلاً جلدياً مرناً مربوطاً بخيوط محكمة فوق كعبيه.

خرج يراع من حمامه البخاري نحو باحة صغيرة مطلة على حدائق الياسمين، فرفع يديه إلى السماء واستنشق هواءها العليل كأنه مولود جديد، فسبعة أيام التي قضاه في السجن مع الحشرات والفئران وفضلات الطعام والبراز كانت كفيلة بتبديد كل مظاهر النعم والملذات التي عاشها طيلة حياته في قصر أبيه، وأوضحت له صعوبة العيش، وكيف ينقلب المرء في لحظة من حياة الملوك إلى الضنك والضيق.

توجه نحو ممر طويل على طول عشرين قدماً ثم عرج يمينا نحو ساحة ضخمة مزينة جدرانها بنقوش الأسود والتنانين، وبين كل نقشين وضع تمثال برونزي لجنود في وضعيات حرب، فمضى يراع في طريقه بينهم، وتفكيره منصب على ردة فعل أبيه الملك مهلائيل حين يلقاه.

في الجهة الأخرى قرب باب قاعة العرش، كان يارد يخطو خطوات بطينة ذهاباً وإياباً، وهو يفرك أصابعه من شدة الارتباك، وحين لمح أخاه يراع خارجاً من باب الممر توجه نحوه مباشرة وعانقه بشدة وقال:

- لقد كنت قلقاً عليك أخي يراع.

مسك يراع كتف يارد ورد:

- ظننت أنني سأهلك هناك.

³⁵ لباس بابلي يوضع على الرأس شبيه بشبكة صيد السمك يرمز إلى الرخاء والبركة والجود الذي يجود به البحر للصيد

إبتسم يارد وقال:

- كان إيل في رعائتك، اسمع يا يراع إن أبي مهلائيل غاضب جدا عليك، لهذا كن حذرا في كلامك.

إقتربا من باب العرش فقال يارد مرة أخرى:

- يجب أن تظهر ندمك الشديد على مقتل المستشار براكيل.

- إني حقا نادم على طيشي وتهوري.

فتح الحراس باب قاعة العرش، فدخلوا إلى وسطها، ثم تقدم يراع بسرعة نحو أبيه مهلائيل الجالس على العرش، فانحنى وقبل ثيابه، ثم رفع رأسه قليلا وقبل باطن يده وقال:

- أبي ومولاي مهلائيل العظيم إن ما وقع هو بسبب طيشي وتهوري وأنا نادم على ذلك.

لم يلتفت إليه مهلائيل وقال:

- حسنا؛ فلتجلس في مكانك.

تراجع يراع بخطوات إلى الخلف، وجلس على مائدة خماسية الأركان مصنوعة من خشب العرعار وموضوعة على قاعدة رخامية ضخمة، ظل مطأطأ الرأس وهو يرمق بنظرات خفية أباه مهلائيل؛ ملاحظا علامة المرض بادية على ملامحه وعدم قدرته على الجلوس بشكل طبيعي، لكنه مصر على فرض هيئته وسطوته الملكية، فمقاليد الحكم لا تحتاج إلى ملك مريض أو ضعيف حتى لا تغلت الأمور من بين يده، وهو يعلم أن أباه يدير كل صغيرة وكبيرة بمملكة بابل ولا تخفى عليه أصغر الأمور، متسانلا في نفس الوقت عن سبل استرداد ثقة والده فيه.

دخل أحد الحراس إلى قاعة العرش، وانحنى أمام الملك وقال:

- مولاي المعظم الملك مهلائيل، إن القائد العام عرام يستأنن

للدخول.

أشار إليه الملك بيده موافقا دون أن يبدي أية كلمة، فترجع

الحارس للخلف ودخل القائد العام عرام:

- مولاي الملك كيف حالة صحتك؟

رد الملك بحزن:

- إن ما يسقمني هو فراقي لبراكيل.

وقف القائد عمرام أمام المائدة الخماسية وقال:

- نعم سيدي إن بابل كلها حزينة لفراق المستشار براكيل.

نهض مهلائيل عن كرسي العرش، وتوجه نحو الطاولة الخماسية

وهو يتأمل كرسي المستشار براكيل الفارغ وقال:

- اجلس في مكانك يا عمرام.

صمت قليلا ثم أردف:

- أشعر أن شيئا ما نقص من ملكي على بابل؛ أخشى أن ينهار

ركن من أركان المملكة.

تدخل يارد:

- سنبذل أقصى ما في جهدنا يا مولاي لتعويض الفراغ الذي تركه

المستشار براكيل، سنعمل معك على إستئجاب الحكم وقضاء شؤون الرعية.

كان الحوار حول المستشار المقتول يربك يراع الذي ظل صامتا

ومطأطأ الرأس، فيما كان عدم مبالاة الملك مهلائيل به يزيد من حدة توتره.

التفت مهلائيل إلى القائد العام عمرام وسأله:

- أخبرني كيف تجري الأمور مع أسرى الجن هل نفذتم تعليماتي.

- نعم سيدي لقد عزلنا الأسرى كل واحد في زنزانة منفردة

ومظلمة، وهم مكبلو الأيدي والأرجل، ولمدة ستة أيام تركناهم بلا أكل ولا شرب، وقمنا بتعذيبهم واستنطاقهم.

- جميل وماذا قالوا؟

- بداية كانوا متفقين على جملة واحدة صرح بها الجميع؛ وهي

أنهم قدموا إلينا بأمر من ملك الظلام عزازيل وأن نهاية الإنس على

الأرض قريبة، أظن أن الغيلان بطينة الفهم، لكن المارد الذي تم أسره وقمنا بتعذيبه جيدا، اعترف أنهم قدموا إلينا لاعتراض مهمة وفد الملك برقان في التواصل معك سيدي.

قطب مهلائيل حاجبين وقال:

- مع كرهى لبني الجن إلا أننا يجب أن نتحالف مع مملكة برقان قبل فوات الأوان؛ اسمع يا عمرام أريدك قبل أن تقتل أسرى جنود عزازيل أن تعرف ما هي أنواعهم وحدود قوتهم، أريد أن تكتشف مكامن ضعفهم ومما يخافون.

- نعم يا مولاي لقد شرعنا في هذا بالفعل.

التفت مهلائيل إلى يارد وقال:

- اسمع يا بني أريدك أن تسهر على تجهيز قافلة لإرسالها نحو بلاد سوسة محملة بالشعير والقمح والتمر، وبعض الأسلحة، وجيشا للحماية فقد تتعرضون لهجوم مباغت، وخذ معك أخاك يراع في القافلة؛ كما أريدك أن تسلم أمير سوسة (براثيل) رسالة خاصة مني.

- بكل سرور أيها الملك العادل.

نهض الملك مهلائيل من كرسيه وقال:

- هيا بنا إلى القاعة الكبرى، فأعيان بابل ينتظروننا هناك.

توجهوا مباشرة نحو قاعة كبيرة وفسحة ذات أرضية من السيراميك، وسقف من المرمر، وجدران مزينة بالفضة والبرنز منقوش عليها رسوم الأسود والفهود، ونقوش أخرى لجنود بالرماح والسهام، تتخللها نوافذ تضم قطعا من أواني الفخار ذات الألوان القرمزية البراقة.

إنحنى جميع من كان في القاعة الكبرى احتراما لدخول الملك ملقنين

عليه التحية والتبجيل، فجلس على كرسيه وقال:

- حسنا؛ إجلسوا يا معشر النبلاء والأمراء.

جلس الجميع على كراسيهم المنفرقة على موائد طويلة تضم أشهى
المأكولات من لحوم محمرة لطيبور وأكباش وماعز تتخللها مشروبات
متنوعة، واقترب القائد العام عمار من الملك مهلائيل قائلا:

- إن وفد الجن قد وصل، هل أسمح لهم بالدخول مباشرة أم
نتركهم ينتظرون قليلا؟

- لقد انتظروا بما فيه الكفاية، فلندعهم إلى الدخول.

أشار القائد العام عمار بيده لأحد الحراس بإشارة الموافقة، فقال
الحارس وهو يدق طبلا كبيرا لافتنا انتباه الجميع:

- مولاي المعظم الملك مهلائيل ملك بابل المجيدة، السادة النبلاء
والأمراء الكرام باسم جلالة الملك نستقبل وفد مملكة بركان.

فتحت بوابة كبيرة زرقاء مصقولة بالبرونز على وقع ارتفاع دقات
طبول الحراس الذين اصطفوا على جانبي الباب، فدخل الوفد الثلاثي
تترأسه ابنة الملك ساجي بركان ليلى، وقف الجميع ترحيبا لهم وقال
الملك مهلائيل:

- مرحبا بوفد مملكة بركان.

- انه شرف لنا أيها الملك؛ أن تستقبلنا في مملكتك بابل العظيمة.

- تفضلوا بالجلوس هنا.

أشار الملك إلى ثلاثة كراس شاعرة قرب كرسيه، وقبل أن تلتف ليلى
للجلوس على مقعدها لمحت يراع وهو يشرب بعنقه كي يلفت انتباهها،
ودون شعور توجت نحوه، ومدت يدها إليه ملقية التحية:

- كيف حالك أيها البطل الشجاع، أظن اسمك يراع؛ أليس كذلك؟

حملق يراع بعينيه في عيني ليلى، بينما دب الدفاء في يديه متجها
إلى قلبه فرد:

- وكيف تنسين اسم من أنفذك من موت محقق؟

أفلتت ليلى يدها من قبضة يده، وقالت وهي تتراجع إلى الوراء
مبتسمة:

- أنا مدينة لك بحياتي يا يراع.

جلست على مقعدها بالقرب من كرسي الملك مهلائيل وبجانبها كل من الحكيم نموشالغ والحارس مودو، بالمقابل جلس أمامها يراع، ثم يارد وأخيرا القائد العام عمرام.

قالت ليلي:

- باسم مملكة برقان نتقدم لكم بتعازينا الحارة في فقدان مستشار المملكة براكيل.

وأما الملك مهلائيل برأسه في إشارة لقبوله العزاء بينما استرسلت ليلي:

- لقد كانت شجاعة منه أن يعترض كرة النار التي وجهها المردة نحوي، لقد ضحى بحياته من أجل إنقاذي.

رد الملك مهلائيل مندهشا وهو يشاهد القائد العام عمرام يحرك رأسه تأكيدا لكلامها:

- براكيل الحكيم هو أعلم لماذا ضحى بنفسه لكي ينفذك، لا بد وأن الأمر يستحق، حسنا ما هو الوضع عندكم؟ وكيف هي حروبكم ضد عزازيل؟

أحس يراع أن ثقل مسؤولية تسببه في مقتل المستشار براكيل قد خففت عنه بعد تصريح ليلي للملك مهلائيل. تدخل الحكيم نموشالغ مجيبا عن سؤال الملك:

- أيها الملك مهلائيل كما تعلم أن إيل قد اصطفى آدم الإنسي خليفة جديدا على الأرض بعد أن سفكنا نحن بني الجن فيها الدماء، وخالفنا وصايا أبينا سوميا، وكما تعلم أن عزازيل بعد أن أصبح من أقرب المقربين إلى إيل تكبر واغتر ورفض السجود لآدام فأسقطه إيل إلى العالم السفلي.

- نعم أعلم، فلقد أخبرنا أبي قينان بكل هذا.

إسترسل نموشالغ:

- عزازيل لم يستسلم، فبعد أن أصبح من المنذرين وضمن العيش لمدة طويلة، تحالف مع مملكة بني الأحمر، وكون جيشا من الظلام في العالم السفلي، ثم هجم على كل ممالك الجن، فدمرهم الواحدة تلو الأخرى، ولم يتبق له الآن إلا مملكتنا مذهب في أشقلون ومملكة برقان في أرض صوعن. إنه يهدف إلى ضم كل بني الجن تحت سيطرته، ليتفرغ لمقاتلة بني الإنس غرمانه الحقيقيين، ولهذا أرسلنا الملك برقان إليكم عارضا تحالفا ثلاثيا بين مملكة برقان ومملكتكم بابل ومملكة مذهب التي أرسل إليها وفد آخر للتفاوض.

- حسنا. نحن في بابل نملك جيشا جبارا مدريا لا يخشى أحدا، ونحن نعلم كره عزازيل لبني الإنس، حيث أنه يرانا السبب في سقوطه من السماء ولهذا فالحرب أكيدة بيننا. عقت ليلي:

- إنها حرب وشيكة، وهو يحاول السيطرة على الأرض بعد أن سيطر على العالم السفلي بأكمله، كما أنه يحاول الوصول إلى شجرة الخلد.

قاطعها الملك مهلائيل:

- شجرة الخلد التي حاول إغواء آدم للأكل منها؟

رد الحكيم:

- نعم. هي تلك، لو كان آدم قد أكل من ثمارها لصار من الخالدين، لكن عزازيل كان يغويه ليقتطف ثمرة الخلود ثم كان سيسرقها منه حتى يضمن لنفسه الخلود.

- نعم بالفعل، لكنه قطف من شجرة المعرفة، فأصبح مميزا للخير والشر ولهذا تم طرده من جنة عدن.

- لقد أوصانا أبونا سوميا بالحفاظ على سر الخلود الذي علمنا إياه حتى لا يسقط في يد الظلام إلى حين ظهور المستنير الأول لتتكلف سلالته بحماية هذا السر إلى الأبد.

- هذه نبوءة سوميا؛ لقد أخبرني والدي قينان بشيء من هذا القبيل، فهل ظهر هذا المستتير للوجود يا أيها الحكيم؟
- لا. ليس بعد، لكن ما علينا نحن في مدرسة الحكمة الخاصة ببني الجن هو أن نهيب له الأمر إلى حين ظهوره ليقود معركته ضد الظلام بنفسه.

بينما مجريات الحوار تدور حول شجرة الخلود، والسر المقدس، وكذا عن إمكانية تشكيل تحالف بين الإنس والجن لصد الظلام، كان يراعى ينظر فقط للأميرة ليلي محدثا نفسه عن جمالها الأخاذ، وفرص الظفر بها، متفحفا ملامحها من أسفل قدمها إلى أذنيها المدببتين قبل أن يقاطع تأمله أخاه يارد قائلا:

- ما هذا يا يراع!! كف عن الحملقة في رئيسة الوفد، واطهر اهتمامك بالحوار الدائر الآن.

استرسل مهلائيل في الكلام:

- ...وماذا ستقدمون لنا بالمقابل؟

- لقد أوصاني الملك برقان أن نقدم لكم عددا من المعارف التي قد تفيد مملكتكم وذريتكم من الإنس، ولقد شاهدت عندكم بناية ضخمة لا بد أنكم تراقبون أفلاك الكواكب والنجوم منها.

- نعم هي كذلك.

- ونحن نستطيع أن نمدكم بكل المعارف في الفلك والطب وغيرها.
إبتسم مهلائيل وقال:

- حسنا يمكن أن ترتب ذلك مع قائدنا العام عمرام، فنحن على وشك الانتهاء من تحنيط المستشار براكيل، وسنقيم له بعد ثلاثة أيام جنازة ضخمة، ونحب أن نشيع خبرا مفرحا للسكانة باسمه.

- وهو كذلك أيها الملك.

نهض مهلائيل من كرسیه وقال:

- هيا يا سادة إلى مائدة الطعام إنها على شرفكم، أتمنى أن تروقكم.

-13-

استلقى ساجي برقان على سرير حريري مزركش بألوان صفراء
وحمرء، ذي قاعدة تحمل نقوش الطلاسم السحرية للحماية مصنوعة
من الذهب والمرمر.

بعد أن أخذ حماما بخاريا على ضوء القمر، تمدد على ظهره مشاهدا
السماء حيث كانت غرفته بلا سقف؛ محاطة بكثير من الزجاج والمرايا
التي تعكس ضوء القمر على السرير المحاذي للحمام البخاري.

التحقت به زوجته ليليث بثوبها الأبيض الشفاف المفتوح على
الجانبيين، فأسدلت شعرها الأحمر المبلل بالبخار، واستلقت أمامه واضعة
رأسها على صدره العاري. رفعت يدها اليمنى قليلا، ووضعت ظفر
سبابتها الحاد على مقربة من حلمته، ثم بدأت تحرك ظفرها في مختلف
أنحاء صدره ببطء محاولة التسبب له بجروح خفيفة، لكن وبسبب قوته
كانت الجروح تندمل بسرعة غير تاركة أي أثر.

بينما كان يخلل أصابع يديه داخل شعرها البراق بأشعة ضوء القمر
قال:

- يا ذات الشعر الأحمر، إن ضوء القمر يزيد من شهوتي اتجاهك.
- قالت ليليث وهي تحرك يدها في أنحاء جسمه.
- نعم لضوء القمر تأثير خاص علي، إنه يزيدني جمالا وقوة.
- إبتسم ساجي برقان ووضع يديه على خصرها:
- نعم يا حبيبتي.
- ضمها بقوة نحوه، وانحنى مقبلا عنقها واسترسل:
- منذ قدومك إلى مملكتي ونار الحب متقدة في قلبي.
- إنحنت ليليث وانكشمت كأنها تذوب في حضنه العريض:

- أنا مدينة لك بحياتي، لقد أنقذتني من الأنوناكي الثالث الذين كلفوا بتعذيبى وقتلى، وبالرغم من أنهم قتلوا كل أولادى ورموني بلعنة العقم، إلا أنهم أبقوني على قيد الحياة بفضلك.
- إنهم يكونون لي الاحترام ولقد استجابوا لطلبي، وها أنت الآن زوجتي الحبيبة وأميرة الجن بمملكتي.
- تهنئت ليليث بقوة ثم استلقت على ظهرها، وأكمل ساجي برقان الكلام:
- فور أن ننتهي من هذا اللعين عزازيل سأطلب من الأنوناكي أن يزيلوا عنك كل اللعنات مكافأة لنا على دحض الظلام.
- قالت ليليث وهي تنظر إلى السماء:
- لا يكسر ضوء القمر الرائع سوى هذه المفرقات التي تظهر في السماء.
- استلقى ساجي برقان بدوره على ظهره، لكنه ظل ممسكا بيدها وقال:
- نعم، فمردة الجن التابعين لعزازيل لا يكون من قذف قبتنا الحامية ببراميل النار الممزوجة بطلاسم السحر ومرض الطاعون، لكن جهودهم تذهب سدى.
- إبتسمت ليليث ضاحكة وقالت:
- لايد أنها تعويذة عظيمة عجز عزازيل وجنوده عن إبطال مفعولها طول هذا الحصار؟
- قال ساجي برقان وعلامة الفخر بادية على وجهه:
- نعم إنها تعويذة عظيمة.
- ترى مم تتكون هذه التعويذة، يجب أن أتعلم صنع مثلها.
- إنه سر.
- نهضت ليليث وجلست على بطنه وانحنت نحو فمه، ثم أسدلت شعرها الأحمر البراق على وجهه حاجبة ضوء القمر، وغرزت أظفارها التي

تحولت إلى مخالب حيوانات مفترسة، ومررتها ببطء على سائر صدره وقالت:

- سر! أتعجل الأسرار بيني وبينك يا حبيبي.

بدأت بتقبيل فمه بشهوة كبيرة، وانحنى نحو صدره ثم إلى أسفل بطنه، بينما ظل برقان مسترخيا كأنه تحت تأثير التخدير، وقال لها وجسمه يهتز من رعشة الحب:

- إنه سر عظيم من صنع مدرسة الحكمة، وقد رفض الحكيمان فقطش وكريير إخباري به، فلا أحد يعلم بهذه التعويذة غيرهما.

استرسلت ليليث في مداعبة جسم ساجي برقان بكل تفنن متجاهلة رده عن استفسارها له، فأكملت ليلتها المليئة بالحب إلى أن ناما على ذات السرير حتى أشرقت شمس الصباح عليهما وهما عاريين.

في الصباح الباكر كان الذعر يخيم على مدرسة الحكمة، فقد توقفت السلالم المتحركة عن الدوران، وتوقفت الدراسة كذلك في كافة الفصول، واجتمع الطلاب في الساحة المركزية منتظرين حكماء المدرسة، فيما شيوخ الجن أوقفوا جميعهم خلواتهم التأملية في ملكوت الكون، والتحقوا بدورهم إلى الساحة وهم في ذهول من أمرهم.

ظل الجميع يتهامس عن سر توقيف الدراسة في مدرسة الحكمة لأول مرة منذ تأسيسها متسائلين عن خطر عزازيل واقتراجه منهم إلى أن أطل عليهم من شرفة علوية ثلاثة حكماء هم الحكمة الأم تعامة، والحكيم فقطش، ثم الحكيم كريير.

تقدم فقطش وهو الأقصر قامة بين الحكماء والأكبر سنا وقال:

- يا معشر الجن، رواد مدرسة الحكمة، أيها الطلاب النجباء، أيها الشيوخ المبجلون، والمدرسون الأفاضل.

كما تعلمون جميعا أن مدرسة الحكمة تفتح أبوابها لكل عشائر الجن وممالكهم، هدفها تقوية قدراتنا التي منحنا إياها إيل، والحفاظ على تعاليم أبنينا سوميا، وما ضعفنا إلا بعدما افترقنا بعده.

إنكأ الحكيم فقطش على صولجانه ذي الرأس البراق وأردف:

- وكما تعلمون أن مدرسة الحكمة يديرها حكماء عشرة يتم انتدابهم لهذه المهمة كل ألف سنة، والآن نحن بني الجن مرة أخرى نمر باختبار جديد، إن كنا أهلا لتحمل سر أصول الحكمة على هذه الأرض وحفظ توازنها وعدم خرق قوانينها.

مد فقطش يديه عاليا ملوحا بصولجانه في السماء مكملا بصوت غاضب:

- اللعين الساقط من السماء يدمر ممالك الجن ويضمهم تحت رايته ناشرا الظلام على الأرض، وهو قاب قوسين أو أدنى من أن ينفذ خطته الأولى ويستولي علينا جميعا ليتفرغ لمحاربة بني الإنس. وقبل هذا يريد أن يسيطر على مدرسة الحكمة وأن يسرق علومنا وأسرارنا ومعارفنا حتى يضمن لنفسه الخلود الأبدي، وينجو من لعنة إيل ضده. سيحاول أخذ قوتنا وعلما العظيم الذي لا يشبه سحره أبدا.

كما تعلمون لقد أرسلنا وفدا إلى مملكة مذهب يضم ثلاث حكماء هم طوران، ومزجل، وبزجل برئاسة الأميرة كحلة ابنة الملك ساجي برقان، ووفدا آخر إلى مملكة الإنس ببابل يضم ثلاث حكماء أيضا هم نموشالخ، ولياخيم، وطهاطيل برئاسة الأميرة ليلي ابنة برقان. إنها مهمة صعبة تهدف كبح جماح هذا الشرير عزازيل، وكنا نعلم أنها مهمة مكشوفة وخطيرة لكنها كانت ضرورية. لهذا يؤسفني أن أبلغكم..

وسط ترقب الجميع خفض الحكيم فقطش يديه وقال بنبرة حزينة:

- لقد فقدنا الحكيمين لياخيم وطهاطيل في وفد ليلي بنت برقان، وظل الحكيم نموشالخ وحده حيا من بين باقي الحكماء، أما وفد الحكماء المرسل مع كحلة يؤسفني أن أبلغكم أنهم ماتوا جميعا وفشلت مهمتهم، وقبل كل هذا فقدنا الحكيم يوشيا هنا بمملكة برقان المضيفة لنا.

في ذهول ارتفعت الوشوشة بالساحة المركزية للمدرسة، وعم الغضب الممزوج بالحزن، فيما سمعت أصوات بكاء من بين الحشود، ثم استرسل الحكيم فقطش قانلا:

- أيها الأعراء يؤسفني كذلك أن أخبركم أن مملكة مذهب قد سقطت بدورها في يد عزازيل.

كانت الصدمة قوية على رواد المدرسة؛ إنهار بعض الطلاب ممن له عشيرة في مملكة مذهب وبكى البعض الآخر. فيما ظل آخرون صامتين من هول الأخبار الحزينة، لكن الجميع كان يعلم أن مملكة برقان الأخيرة هي بدورها على وشك الزوال، وقد تزول معها مدرسة الحكمة كذلك. تراجع الحكيم فقطش تاركا الدور لتدخل الحكيم كيرير الذي اقترب أكثر إلى واجهة الشرفة وقال:

- أيها سادة لم يعد لدينا متسع من الوقت، فمدرستنا أصبحت غير آمنة على أرض صوعن، وأرواحنا مهددة بالظلام الساقط من السماء. وكما تعلمون لقد فقدنا ستة حكماء من أصل عشرة، ولم يتبق سوى نحن الثلاثة المائلون أمامكم والحكيم نموشالغ في مهمته مع ليلي بنت ساجي برقان في مملكة بابل، ونخاف أن يتم القضاء علينا نحن المتبقين وتضيع معارفنا وعلومنا وأن نخسر كل ما جمعناه من حكمة. والأخطر من هذا أن يتم خرق قوانين الطبيعة وزعزعة عناصرها الأربعة؛ النار، والهواء، والماء، والتراب.

نخاف أن يتم تدميرها فيتسبب ذلك في دمار هذه الأرض، أو أن يسقط سر زهرة الحياة في يد عزازيل ويتمكن من الوصول إلى شجرة الحياة فيأكل منها ويصير من الخالدين.

أيها السادة طيلة الليلة الماضية ونحن الحكماء الثلاثة نناقش مصير مدرستنا وتدبير أمرها في هذه المرحلة الحساسة، لذا قررنا أن ننقل من أرض صوعن جميعنا، حكماء وشيوخ ومعلمين وطلاب، سننقل كل مخطوطاتنا ومعارفنا إلى أكثر الأماكن أمانا وسرية.

لذا علينا جميعا أن نجتمع في هذه الساحة بعد ثلاثة ليالٍ حين ينتصف القمر مع كوكب عطارد، حينها سنحتاج إلى كل إيمانكم وكل طاقتكم حتى نتمكن من الاختفاء وتجاوز حصار عزازيل دون أن يشعر به.
أن لكم أن تنصرفوا معززين مكرمين ألواحا ألواحا.

استفاق ساجي برقان على أشعة الشمس الذهبية وهي تداعب وجهه، فتح عينيه ثم مرر يده اليمنى على ظهر ليليث حتى استفاقت وقالت له:
- كيف أصبحت يا مولاي؟

بتكاسل رد عليها:

- متعب، وكأنك كنت تمتصين طاقتي البارحة.

ضحكت ليليث حتى برزت أنيابها الطويلة وقالت:

- لقد كنت أمتص حبك الجميل اللذيذ.

ضحك ساجي بدوره والتفت نحوها وضمها إليه، ثم جعلها تحته

وقال:

- خذي كل الحب أيتها الشهية اللذيذة.

- لقد مللت من أجواء الحرب والرهبة. أريد أن ألهو وأن أرقص

بصخب.

- قريبا يا حبيبتي سنشهد احتفالا ضخما.

انفكت ليليث من قبضته ونهضت من السرير وقالت:

- كيف ذلك؟

- لقد كان لي اتفاق قديم مع القائد الأعلى طارش، أن نزوج ابنة

طيروش بابنتي ليلي حتى تتقوى عشيرتي بعشيرة الطوارش.

- إنها فكرة جميلة ستساعد على تقوية عضدك، فعشيرة الطوارش

عفاريت جبابرة يحسب لهم ألف حساب.

- نعم هو ذاك، سأشرع في مراسيم الزواج مباشرة بعد عودة ليلي

من مهمتها.

- استأذن أحد الحراس بالدخول إلى خلوة ساجي برقان بصوت من وراء الجدار الزجاجي العازل:
- مولاي الملك المعظم ساجي برقان أستأذنك بالدخول.
 - قال برقان وهو يعدل من جلسته:
 - تفضل أيها الحارس، ماذا هناك حتى تقطع خلوتي؟
 - سيدي إن القائد الأعلى طارش في جناحك الملكي، ويريد أن يلتقيك على وجه السرعة.
 - حسنا سأقوم إليه حالا.
 - التفت برقان نحو ليليث وقال:
 - عزيزتي سأتركك قليلا، يبدو أنه أمر مستعجل!
 - لا يا مولاي سأذهب معك، فكل ما يهمك يهمني، وأنا سندك وعضدك ومستشارتك بدل الحكيم يوشيا.
 - أمسك ساجي برقان بيدها وقال لها:
 - هيا بنا.
 - خرجا من غرفتهما على وجه السرعة، وانتقلا عبر ممر طويل يبلغ ثلاثين قدما ملكيا غاص بالحراس ذوي الثياب الحمراء، ثم التفتا نحو اليمين حيث بهو فسيح ينتهي بنافذة ضخمة تطل على الجهة الخلفية لأرض صوعن فقال ساجي برقان:
 - ماذا هناك أيها القائد الأعلى؟
 - رد طارش بعد انحناء خفيف:
 - سيدي الملك لقد فشلت مهمة ابنتك كحلة.
 - رد ساجي برقان بغضب شديد:
 - ماذا؟؟ مستحيل، ماذا وقع بالضبط؟
 - سيدي لقد قامت جيوش الظلام بقتل وفدنا كله، إلا ابنتك كحلة فقد تم الاحتفاظ بها أسيرة لدى عزازيل، كما تم غزو مملكة مذهب إثر

خيانة داخلية حيث فتحت باب المملكة بسهولة لجنود عزازيل، فسقطت مملكة مذهب على أرض أشقلون بسهولة ودون مقاومة.

قال برقان بتنهذ وحرقة:

- وماذا عن وفد ليلى؟ لا تقل لي بأن مملكة الإنس بابل سقطت بدورها.

- كلا سيدي إن ليلى استطاعت دخول بابل بعد معركة مباغته مع جند الظلام، وهم الآن يتفاوضون مع الملك مهلائيل.

فيما ليلى فضلت السكوت رد ساجي برقان وعلامة الإحباط بادية على وجهه:

- تبا لهذه الأخبار التي تعقد الأمور الأكثر.

- نعم سيدي، كما أن مدرسة الحكمة أقدمت هذا الصباح على تعليق أنشطتها وإقفال أبوابها. أنظر سيدي عبر الشرفة، إن السلاسل المتحركة معلقة في السماء.

إقترب كل من ساجي برقان وليلى من الشرفة ونظرا إلى مدرسة الحكمة التي كانت طافية في السماء على مقربة من جرف الوادي السحيق الذي لا يقربه أحد، وشاهدا كل أبوابها مغلقة، وسلاسلها المتحركة معلقة، فقال برقان:

- نعم بالفعل. لماذا أقدموا على هذا؟

- سيدي بعد أن فقدوا الحكيم يوشيا فقدوا أيضا حكيمة في مهمة ليلى، وثلاثة حكماء في مهمة كحلة، فلم يبق إلا أربعة حكماء من أصل عشرة؛ أحدهم خارج أسوار المدرسة، وهكذا فإن صلاحية الحكماء في تسيير المدرسة تقوض بعد مقتل الأغلبية، وهم مضطرون الآن وفي أجل أربعين ليلة على تجديد أنفسهم واختيار ست حكماء جدد من شيوخ المدرسة.

- حسنا فهمت، استدع الحكيم فقطش لأطلع على ما يعتزمون القيام به.

- سيدي لقد حاولت ذلك بالفعل، لقد اتصلت بالحكيم فقطش، فاعتذر عن عدم تمكنه من الحضور إلينا، كما أخبرني أنهم في اجتماع مفتوح مع كل أطيان المدرسة لاتخاذ القرارات المناسبة.
- حسنا، حاول أن تستعجله للحضور بين يدي.
- قال القائد الأعلى طارش وهو يهم بالانصراف.
- لك ذلك سيدي.

-14-

توسطت الشمس كبد السماء، ويراع لا زال يغط في نوم عميق في غرفته في علية القصر، بعد أن أمضى ليلة شيقة في الحفل الذي أقامه أبوه الملك مهلائيل على شرف وفد مملكة برقان. دخلت أمه دينا سمعان الغرفة ووجدته مستلق على سريره الصوفي، فقالت:

- انهض أيها الكسول.

فتح يراع عينيه بصعوبة:

- أمي.

- هيا انهض؛ ألا ترى الشمس إلى أين وصلت!

- أمي الحبيبة؛ سأنهض على الفور.

قالت الأم دينا وهي تخرج من الغرفة:

- حسنا، إن إخوتك مجتمعون في الغرفة السفلية يتناولون طعامهم

فلا تتأخر، إنهم مشتاقون لمجالستك.

رمى يراع قطعة ثوب أبيض من شرفته نحو غصن أحد الأشجار القريبة من المسبح السفلي، ثم وقف على حاشية الشرفة ومنها قفز مباشرة نحو بركة الماء أمام ذهول إخوته في الغرفة الأرضية المظلة على البركة. سبح سباحة خفيفة، ثم خرج من الماء وأحاط جسمه بالثوب الأبيض المعلق على غصن الشجرة، ثم دخل على إخوته المجتمعين على مائدة الطعام، فقالت أخته دانييلا:

- ماهذه القفزة الرائعة؟ لقد فاجأتنا بها.

ألقي يراع التحية على إخوته ووضع قبلة على خد أخته دانييلا وقال:

- لقد أخبرتني أمي أنكم مجتمعون في الغرفة السفلية، وطلبت

مني ألا أتأخر عليكم، لذا فضلت أن أستحم في الحوض مباشرة حتى لا أضيع فرصة مشاركتكم الطعام.

ضحك الجميع من تصرف يراع غير المتوقع، فقال يارد:

- كما عهدتك يا أخي دأما تصرفاتك غير متوقعة وغير منضبطة.

رد يراع ضاحكا:

- نعم هذا ما يميزني؛ لكن بصراحة لم أعد متهورا كما في

السابق.

قالت الأم دينا:

- اجلس أيها الشقي، فأخوتك الصغار مشتاقون إليك.

تناول الجميع وجبة الطعام وهم يتبادلون أطراف الحديث مسترجعين

ذكريات الطفولة، وشغب يراع والمشاكل التي كان يورط فيها نفسه.

بعد الانتهاء من وجبة الطعام، إنصرف الإخوة الصغار نحو المدرسة

الأهلية الواقعة بمنطقة باب الواد في الجهة الشرقية من بابل، ثم غادرت

الأخت دانييلا مع أمها دينا لتتبع حاجيات القصر، فالتفت يراع إلى أخيه

يارد وقال:

- ما رأيك لو ذهبنا عند وفد الجن لنقوم معهم بجولة في أرجاء

بابل.

- ليس لدي متسع من الوقت، فعلي أن أجهز القافلة التي سنذهب

بها نحو بلاد سوسة، ثم إننا ضربنا موعدا معهم بعد غروب الشمس،

أنسيت ذلك؟!!

- لا لم أنس؛ سأغادر أنا فلدي أشغال أخرى.

إنصرف يراع مسرعا نحو إسطنبول القصر الملكي، وإمتطى حصانه

وتوجه به مباشرة إلى منطقة حي الشريعة؛ حتى وصل إلى البرج

اللؤلبي مقر إقامة وفد الجن، فلمح الأميرة ليلى تخرج وحيدة من باب

القصر. توجه مباشرة نحوها وقال:

- إلى أين تتجه هذه الجميلة؟

التفتت ليلى خلفها، لتجد يراع يقترب منها وهو على متن فرسه

فردت:

- أهلا أيها الفارس الشجاع، لقد خرجت من البرج لتجول وأكتشف بابل الجميلة.
- وأين بقية أعضاء الوفد؟
- وقفت ليلى وقالت:
- لقد جاء عندنا القائد عمرا م صباحا، وطلب من الحكيم نموشالغ أن يرافقه ليكشف عن أسرى الجن الذين ظلوا أحياء، ولقد ذهب معهما الحارس مودو.
- هذا جميل أعت..
- قطبت ليلى حاجبيها وقاطعته قائلة:
- لا تكن متكبرا، وتخطبني من فوق حصانك.
- ضحك يراع بقوة وأجاب:
- لقد قاطعت كلامي، كنت سأقول أعتقد أنه الوقت المناسب لأخذك في جولة عبر حصاني للتعرف على أرجاء بابل.
- تفاجأت ليلى واتسعت بورتا عينيها وردت:
- ماذا؟!!!
- مد يراع يده بسرعة نحوها، فأمسكتها وهي تحاول الكشف عن كينونته الداخلية متسائلة في نفسها "كيف لا أستطيع أن ألمس أفكاره وما يدور في خاطره؟"
- قطع يراع تفكيرها وهو يحاول رفعها إليه:
- هيا اصعدي.
- قفزت بخفة خلفه وقالت:
- حسنا، ماهي وجهتنا؟
- سأعرفك على بابل العظيمة.
- رفع يراع قوائم فرسه الأمامية عاليا ليتمايلا إلى الخلف، مما اضطرها لإحاطة خصره بكلتا يديها حتى لا تقع، وتساءلت في نفسها عن الهدف من هذه الحركة، هل هي عفوية؟ أم أنه يدفعها للامساك به؟

انطلق وقال:

- نحن بالضاحية الغربية لبابل، هنا برج الضيافة بحي الشريعة، وكما تلاحظين إنه مكان فسيح وهادئ، وهذه ساحة ضخمة حيث حدائق الليمون والتوت البري تصلح للتنزه بها، كما أنها تكون أكثر جمالا في فصل الربيع.

بينما كان الفرس يتحرك ببطء أشار بيده:

- هناك خلف هذه الساحة توجد تجمعات سكنية ممتدة إلى نهاية السور الضخم المحيط بالمدينة، وفي آخره هناك بوابة ضخمة تؤدي مباشرة إلى حقول القمح والشعير.

- كم من بوابة لديكم؟

- إن بابل محصنة جيدا؛ يحيطها خندق ضخم، ثم حائط سميك محيط بكل أرجاء المملكة، وبه ثمانية أبواب متفرقة، وهي أبواب مزدوجة مرتبطة بسور آخر خلف السور الرئيسي، وبين الجدارين مسافة ثلاثين قدما توجد بها الأسود والفهود والحيوانات المفترسة، وإذا ما تم اختراق الباب الأولى تقفل الباب الثانية وتطلق الوحوش على المتسللين.

- هذا ذكاء شديد.

- طبعا هذا من تخطيط أبي مهلائيل. سأنتقل بسرعة لأعرفك على باقي المناطق.

- لاحظ أن منازلكم متشابهة؟

- نعم؛ فلا يسمح إلا ببناء طابق أرضي واحد لكل أسرة، وبين كل منزلين هناك مسافة ثلاثة أقدام. تتخللهما نافورة ماء وشجرتان عند باب كل منزل، فلقد أمر أبي الملك باستقدام كل أصناف الأشجار التي عثر عليها جنودنا وزراعتها ببابل، وبين كل تجمعين سكنيين هناك سوق يتقايض فيه البابليون منتجاتهم.

ظل الحصان منطلقا بسرعة، وظلت ليلى ممسكة بخصره وهما يتبادلان أطراف الحديث إلى أن وصلا إلى وسط بابل، حيث يقسم نهر الفرات المدينة إلى شقين شرقي وغربي، فأبطأ يراع من سرعته وقال:
 - أنظري. هذا النهر العظيم يقسم المدينة إلى شقين، وهو مصدر عيشنا وقوتنا، ويمنع دخول القوارب إليه.
 قاطعته:

- لماذا؟

- ذلك لأسباب أمنية، فلا يمكن التنقل بين الضفتين إلا عبر هذه الجسور الثلاثة الممتدة أمامنا والتي يقوم الحراس برفعها ليلا، فلا يمكن لأحد العبور إلى جهة أخرى إلا بعد شروق شمس يوم آخر.
 - صراحة أنا منبهرة بهذا التخطيط المحكم، فنحن بني الجن منا من يخلق في السماء، ومنا من يغوص في أعماق البحر وفي باطن الأرض، ولدينا قدرات كبيرة في التخفي وطى المسافات، إلا أن عمراننا مبني فقط بقدرات سحرية، ولكن أنتم يا بني الإنس تتفوقون علينا بعبقريتكم ودهانكم، وهذا ما كانت تقوله لي الحكيمة أم تعامة، والآن تأكدت منه بنفسى.

إبتسم يراع وهو يتجاوز الجسر الممدود بين الضفتين قائلا:

- أنا مزهو بهذا الاعتراف. نحن الآن بالجهة الشرقية، وهذه الساحة تسمى باب الواد، وتلك البناية الضخمة هي المدرسة الأهلية التي لا يدخلها إلا أبناء الأمراء وأسياد بابل.
 التفت نحو الشمال وتابع:

- هذا هو مسار الموكب الرئيسي يبدأ من أكبر بواباتنا وهي باب إيل التي سميت عليها اسم بابل، وينتهي مسارها إلى القصر الملكي، حيث استقبلكم أبي الملك البارحة وبقرية زاقورة ضخمة وهي مكان للتعبد ولمراقبة النجوم، وفي أسفله سجن ضخم يوضع فيه الخارجون عن حكم أبي.

قاطعته ليلى مستفهمة:

- زاقورة؟

- زاقورة بمعنى قمة الجبل، فهذه الأرض منبسطة لا تتوفر على هضاب أو جبال، وكتقرب منا لإيل قمنا بتشبيد زاقورة مدرجة للتعبد على سطحها مصطبة لتقديم الذبائح كما قدمها قبلنا هابيل.

أشارت بيدها إلى بناء ضخم قيد التشييد وقالت:

- ما هذا؟

أوقف يراع حصانه متأملا وقال بافتخار:

- هذا حلم أبي مهلائيل وكان حلم جدي قينان من قبل، وسيكون حلم من سيأتي بعدنا ليكمله، سيكون برجاً ضخماً مرتفعاً إلى عنان السماء.

تأملت ليلى بدورها في البرج وقالت:

- لماذا يجب أن يصل إلى عنان السماء؟

- ليكون جسراً بين السماء والأرض، كما سيمكننا من مراقبة النجوم بدقة.

ضحكت ليلى فقال لها:

- ما بك تضحكين؟

- نحن بني الجن متفوقون عليكم في هذا الأمر، فلدينا علوم السماء ومعارف الأرض.

أوقف يراع حصانه والتفت إليها قائلاً:

- هيا بنا نكمل جولتنا على الأقدام.

أشارت إليه برأسها بالموافقة، فقفزا من على الفرس وتوجها صوب إسطبل قريب، فقال لها:

- هذا إسطبل خاص بالخيول الملكية.

سلم حصانه لأحد الحراس، ثم أكمل المشي:

- هذا الحي يسمى بحي المعسكر؛ ولدينا في الجهة المقابلة ساحة خاصة للتدريب على القتال، وبرج للمراقبة، ومكان لإقامة الجنود، وعلى مقربة منهم يوجد مستودع يذخر فيه كل ما نقوم بإنتاجه من غذاء وكساء وأسلحة.

لكن ليلى لم تكن تعيره انتباهها، وظلت ملتفتة إلى تجمع من الناس جالسين على الأرض وبعضهم مستقلق على جنب الطريق، ينتقل بينهم عدد من المارة، فأشارت بيدها نحوهم وقالت:

- من هؤلاء يا يراع؟

- هؤلاء المرضى. فأى شخص يمرض ولا يجد علاجاً مناسباً له يجلس على هذه القارعة ويعرض مرضه على المارة، فمن كانت له خبرة في العلاج أو يعرف وصفة علاجية سمع بها أو جربها أحد من أقربائه وكانت ناجحة، فإنه يقدمها للمريض أو يدلّه عليها، وبهذه الطريقة تنتشر المعرفة بين الناس.

- لو كان معنا نموशलخ أو أي أحد من حكماننا لاستطاعوا شفاءهم جميعاً وببسر.

- وأنت؛ هل تستطيعين ذلك؟

- حقيقة أنا لا أستطيع، فأنا لا زلت مبتدئة في مدرسة الحكمة الخاصة بنا، ولكني أملك بعض الوصفات جيدة التي تعلمتها من الحكمة أم تعامة.

وضع يراع يده اليمنى على كتفها ورد:

- لا عليك، هيا بنا إلى داخل المعسكر لنشاهد تداريب الجنود.

سارا معاً نحو بناية فسيحة ممتدة على طول قارعة الطريق تضم باباً كبيرة من الحديد وجنود مصطفين على طول الجدار.

حدثت ليلى نفسها عن جرأة يراع.

"هل يحاول التقرب مني؟"

هل أنا قادرة على رده؟

أم أن الحكيمة أم تعامة محقة في هذا الحب"

على مقربة من الباب سألتها:

- ما بك شاردة الذهن يا ليلي!

أجابته بسرعة:

- لاشيء إطلاقا، فقط أتأمل المارة.

التفت إليه متأملة سحنة وجهه، فلاحظت أنه أطول منها بحوالي شبر

ملكي، ثم قالت:

- أرى أن يدك مرتاحة على كتفي يا يراع!

- صراحة أحاول أن أستغل الفرصة لأضمك.

- أبطأت ليلي من خطواتها واتسعت بورتا عينيها، فقالت وهي

تحقق فيه:

- هذا كلام جريء.

كانت بوابة المعسكر تضم تمثالين على جانبي الباب عبارة عن

أسدين مجنحين على رأس كل أسد صورة لملك بابل قينان، فأشار يراع

إليهما وقال:

- هذا فخرنا ورمز قوتنا.

فتح جنديان بوابة صغيرة تقع وسط الباب الكبرى الموصدة، فانحنى

يراع أولا ثم تبعته ليلي نحو ممر طويل يؤدي إلى ساحة التدريب، فقال

يراع أثناء تنقلهما في الممر:

- ألا تلاحظين أنهم لم يفتحوا لنا البوابة الكبرى.

- نعم، لماذا؟

وضع يراع يديه خلف ظهره وقال:

- لا بد للداخل إلى المعسكر أن ينحني تعبيرا عن احترام جنود

بابل، فالباب الكبرى لا تفتح إلا للملك أو لخروج العربات والأسلحة

الكبيرة.

- آه فهمت.

تقدما بضع خطوات إلى أن انتهى الممر، فوجدنا نفسيهما أمام ساحة كبيرة مشمسة تضم عددا من الجنود بعضهم يتبارز بالسيوف، والبعض الأخر يتصارع باليدين، وفي الجهة المقابلة يتصارعون مع بعض الحيوانات المتوحشة.

صعدا إلى منصة علوية تضم بعض قواد الجيش وهم يراقبون تداريب جنودهم، فقدم يراع لهم ضيفته ليلي بنت برقان، ثم جلسا وحدهما في شرفة منعزلة يراقبان من خلالها مبارزات الجنود.

قدم جندي لهما طبقا من اللحم المشوي وعصير قصب السكر، فشكرته ليلي ثم التفتت نحو يراع وقالت:

- يجب أن تعلم أننا بني الجن لا نأكل إلا ما كان به روح باللحوم والأسماك، ولا نأكل النبات وأشهى أطعمتنا ما كان به عظم، كما أننا نفضل اللحوم نصف نيئة.

رد يراع ضاحكا:

- حسنا أود أن أخبرك أن بعض النباتات لذيدة جدا كعصير قصب السكر والعنب المخمر.

ضحكت ليلي بدورها، ثم استرسلا في تبادل الحديث وهما يشاهدان فنون القتال والتدريب.

-15-

وضع الأمير ديباج القليل من أعشاب اللبان الذكري، والحرمل، والمقل الأزرق على إناء كبير مملوء بالماء، وبدأ يردد تعويذته السرية في إيقاد التوابع والقرائن التي تدب في الهواء كالريح وتلج نفوس الأشخاص المستهدفين لوسوستهم وزرع وصايا عزازيل في نفوسهم.

- أيتها الأرواح الشريرة المسخرة بأمر عزازيل دب الرعب في نفوس سكان مملكة مذهب في أرض أشقلون حتى يأتوا خاضعين ذليلين مبايعين لسيدي عزازيل، ومن رفض فاصرعه أرضا واتعبوه في جسده حتى ينهار ويخر. ألواحا ألواحا الساعة الساعة العجل العجل.

أضاف ديباج القليل من الكبريت الأحمر في الإناء المملوء بالماء فتشكلت فيه سحب سوداء تخللها وميض كشرارة البرق، ثم ارتفعت كتلة السحب السوداء عاليا في السماء وانطلقت بسرعة شرقا في اتجاه أرض أشقلون المنهارة.

كانت الشمس على وشك الغروب فيما كان ديباج واقفا على ريوه صغيرة تقع بين الأشجار يمارس طقوسه السحرية التي رفض أن يشاركه فيها أحد، فحتى ابن عزازيل دنهش والقائد الأعلى سانوخ لم يقتربا منه، وظلا يرقبانه من بعيد مع عدد من الحراس حيث أمرهم بالبقاء بعيدا حتى يفرغ نهانيا من ممارسة تعويذته السرية. التفت إلى إنائه شبه الفارغ وقال:

- سيدي ومولاي المعظم عزازيل لقد نفذت وصيتك التي أمرتني بها، وأرسلت التوابع والقرائن لتسيطر على نفوس المهزومين في مملكة مذهب حتى يأتوك خاضعين مستسلمين.

تشكلت صورة عزازيل داخل الإناء السحري يحيط بها قوس ذهبي فخاطبه صوت عزازيل:

- أحسنت أيها الأمير ديباج لقد سحقتنا مملكة مذهب، وسأقتل كل من لم يأتي خاضعا ذليلا. أما أنت فراقب الوضع جيدا في مملكة برقان إلى حين قدومي إليها، فأنا الذي سأخربها بيدي.
تقهقر عزازيل ضاحكا، وأشاح بيده في اتجاه مرآة مرصعة بقوس ذهبي، فاختمى وجه الأمير ديباج منها.

كان انهيار مملكة مذهب متوقعا نظرا لموقعها القريب من وادي هنوم، وضعف جيشها وعدم قدرته على المواجهة، حيث ظل الملك مذهب متحصنا داخل مملكته إلى أن حل وفد الأميرة كحلة بنت برقان، فكانت المفاجأة بوجود خيانة داخلية تتحين الفرصة المناسبة لفتح باب المملكة أمام جيوش الظلام الذين دخلوها كالطوفان مدمرين كل ما يعترض طريقهم، فتمكنوا من قتل وفد الجن المرسل من طرف الملك برقان والاحتفاظ بابنته الأميرة كحلة كأسيرة، كما تم إلقاء القبض على الملك مذهب وقتل كل من عثر عليه من أولاده وزوجاته.
أشار عزازيل مرة أخرى إلى المرآة السحرية فظهرت صورة مملكة مذهب تحترق، ثم قال:

- أيها الغولم، أيتها الأرواح الستة مئة وستة وستون نفخة، يا من صنعتكم بيدي، أبيدوا ما تبقى من هذه المملكة واحرقوا الأشجار وخرّبوا البيوت واغتصبوا النساء والأطفال واصلبوا الرجال؛ كل من واجهكم ابعثوا لي رأسه أزين به عالمي السفلي؛ إلا من أعلن الخضوع لي فألبسوه دروعكم وسموه بعلامة الظلام وأرسلوه إلى أرض صوعن عند الأمير دنهش.

بينما كان عزازيل يتلو وصاياه لكانات الغولم، كانت النار تزداد لهيبا حارقة كل شيء، وتحت أصوات العويل والصراخ أمسك القاندان العسكريان طيش وطوش بالملك مذهب وانهاالا عليه بالضرب، ونزعا منه تاجه الماسي، ثم أمسكا به جيدا وطارا به بسرعة البرق من أشقلون حتى حطا به بين رجلي عزازيل في قصر هنوم.

انقضت الأفاعي الثمانية المحيطة بعرش عزازيل ناثرة سمومها الحارقة، إلا أن عزازيل أشار إليهم بالتراجع عن مهاجمة الملك مذهب، ثم نهض عن كرسيه وطار قليلا متجاوزا أخدود ماء السموم المحيط بكرسيه، ثم نزل على مقربة منه وهو جاثيا على ركبتيه، فاقترب القائد العسكري طيش من عزازيل؛ انحنى قليلا وسلمه التاج الماسي المزركش بعدد من الطلاسم والرموز.

نظر عزازيل بتمعن في التاج ثم رمى به في البركة المائية المحيطة بكرسيه، فتبخر التاج على الفور بفعل قوة لعاب الأفاعي الثمانية الحارقة لكل شيء، ثم التفت إلى مذهب وقال:

- لا حاجة لك بهذا التاج بعد اليوم يا مذهب، صراحة لقد كنت أنتظر هذا اليوم بفارغ الصبر.

رفع الملك مذهب رأسه، فبدت عيناه غائرتان وشعره أشعث متسخ، وآثار الضرب بادية عليه بعد أن أمضى ليلة كاملة تحت تعذيب الغولم له لاستنزاف قوته، قبل أن يتم إرساله إلى وادي هنوم، فقال مذهب:

- تبا لك أيها الساقط من السماء.

ضحك عزازيل بقوة واقترب أكثر من الملك وأجاب:

- عزيزي مذهب، لازلت عنيدا كما عرفتك من قبل.

رجعت الذاكرة بمذهب إلى صباه؛ متذكرا يوم الذبح العظيم وهو يوم من السنة تقدم فيه القرابين إلى معبد إيل، حيث يقدم كل جني وصل سن الرشد ذبيحة للكهنة الأكبر سوميا بالمقابل يقوم سوميا بمباركته ومنحه لقباً لاستعماله مدى الحياة.

كان المعبد يستقبل كل اليافعين الصغار الذين يأتون مع آبائهم ليتطوعوا في خدمة الكهنوتية داخل المعبد. تذكر أن سوميا هو الذي سماه مذهب وتمنى له أن يكون ذا شأن عظيم، تذكر كذلك يافعا أخرًا كان يقف في الصف وحده بلا والدين فتقدم نحوه سوميا وناداه باسم (عزائيل)، وقال له ستكون قوة عظيمة على الأرض واصطفاه ليكون

خادمه في المعبد، ومن ذلك اليوم أصبح مذهب وعزائيل صديقين حميمين يقومان بخدمة سوميا ونشر وصاياها بين بني الجن.

وبابتسامة منهكة رفع مذهب رأسه عاليا وقال:

- أيها الحقير لم تعد عزائيل الذي عرفته. أنت فقط سلطانايل³⁶ تحول نورك إلى ظلام.

بينما القانندان طيش وطوش ممسكين بيدي مذهب رفع عزائيل يده عاليا ولطم وجهه، ثم ركله على صدره فطرحه بعيدا، وقال:

- حسنا يا مذهب من أجل الأيام الخوالي التي قضيناها مع بعض، أدعوك بأن تسلمني روحك، وسأضمن لك العيش المديد وتصيح من جنودي المقربين.

حاول مذهب النهوض لكن القاندين طيش وطوش منعاه من ذلك، بعد أن أحكما إمساكهما ليديه رغم مقاومته، ثم استرسل عزائيل في الكلام:

- هيا اسجد لي لتكون من الناجين؛ هيا.

- أنا لا أسجد إلا لإيل.

صرخ عزائيل صرخة قوية سمعت في كل أرجاء العالم السفلي، ثم اقترب من مذهب ووضع كف يده اليسرى على رأسه ثم أمسك يده اليمنى وعرز ظفر أبهامه تحت ظفر إبهام مذهب، وبدأ يمتص طاقته ببطء وبلذة.

حاول مذهب مقاومة عزائيل لكن دون جدوى، حيث بدأت قوته تنهار، وبدأت تنبثق منه شرارة ضوئية كأنها فقاعات ذات اللونين الأبيض والأحمر، تنتزع من جسده لتذهب إلى جسد عزائيل، وفجأة تحول مذهب إلى كومة رماد سرعان ما تبخرت في الهواء كأنه اللاشيء؛ فيما بدا جسد عزائيل أكثر انتعاشة وقوة بعد أن امتصت كل طاقة مذهب.

³⁶ مصطلح ورد في العهد الجديد يعني خصم الله

- حسنا أيها القانطان طيش وطوش إرجعا إلى أشقلون ودمراها،
لا تتركها فيها حجرا ولا شجرا. أقتلا كل من عصاني ورفض منحي
روحه.

انحنى القانطان طيش وطوش على ركبتيهما وردا:

- السمع والطاعة.
ثم حلقا بعيدا كريح سوداء نحو أشقلون.

-16-

على مقربة من باب القصر الملكي، وتحت شجرة التوت وقفت ليلى
وقالت:

- شكرا لك يراع، لقد أمضيت معك يوما جميلا.

إقترب يراع أكثر من ليلى، ووضع يده على شجرة التوت وقال:

- أتمنى أن تكون بابل قد أعجبتك، فوالدي الملك مهلائيل يتفنن
في بنائها.

ظل يراع يراقب انعكاس ضوء القمر على وجه ليلى وقال في نفسه
"يا لها من جنية جميلة" فردت عليه بصوت عالٍ:

- ماذا قلت؟ لقد حاولت أن أقرأ أفكارك.

قطب يراع حاجبيه ورد متعجبا:

- وهل تستطيعين ذلك؟

- هم يستطيعون، أما أنا فأحاول قدر المستطاع أن أتعلم كيف
أسبر أفكار الآخرين.

- هذا شي مثير للاهتمام، ولكن كيف لي الخلاص من ذلك؟

إقتربت ليلى أكثر من وجه يراع وهمست في أذنه بصوت منخفض:

- حاول أن تتحكم في أفكارك، وأن تفكر عميقا في قرارة نفسك،

ثم حاول أن تحمي هالتك من الاختراق.

إنحني يراع بدوره على أذن ليلى المدببة وهمس:

- وما هي هذه الهالة؟

- هو ضوء منبعث منك ويلف جسدك كاملا. قل لي إذن؛ فيم كنت تفكر؟
- قلت إنك تبدين جميلة جدا وجذابة تحت ضوء القمر، ووجنتاك تتوهجان نورا.
- ابتسمت ليلى، وأمسكت يد يراع وقالت:
- لهذا لقيت بليلي تيمنا بالليل، وبضوء القمر يزيدني جمالا ونورا. لأخفيك سرا حتى أنت تبدو وسيما تحت ضوء القمر.
- رد يراع مع ابتسامة قوية:
- لا؛ أنا وسيم كذلك حتى تحت أشعة الشمس.
- تبادلا الضحكات، ثم سكتا قليلا، فبدأ كل واحد يتأمل في أعين الآخر.
- رفع يراع يده اليسرى وخللها بين شعر ليلى المتوهج، ثم اقترب منها أكثر، وانحنى ببطء نحو شفثيها حيث ظلت ليلى مستسلمة بين يديه، فقالت في نفسها "يبدو أن كلام أم تعامة يتحقق، ألهذا الإنسي الجذاب خفق قلبي! لطفك يا إيل".
- كاد يراع أن يقبل شفثي ليلى لولا إقدام الحراس على فتح باب القصر الملكي، فخرج منه كل من القائد العام عمرام ويارد والحكيم نموشالخ والحارس مودو.
- تراجع يراع إلى الخلف قليلا؛ ترك يد ليلى وقال لها:
- كنت أتمنى أن أقبلك بكل صدق؛ لقد خفق قلبي بحبك.
- ردت ليلى مسرعة:
- إنه ليس الوقت المناسب لمناقشة هذا الأمر، لكن أؤكد لك أن قلبي خفق لك كذلك، بل منذ أن رأيتك أول مرة في ساحة المعركة.
- التفت القائد العام عمرام إلى يارد وقال:

- أليس هذا يراع مع ابنة الملك برقان المسماة ليلي.
- بلى إنهما معا. لقد سبق أن أخبرني بأنه سيحضر الاجتماع، لكن ربما كانت له خطط أخرى.
- خرج عمرام ورفاقه من باب القصر الملكي، وتوجهوا صوب شجرة التوت القريبة، نحو ليلي ويراع اللذان لم يبرحا مكانهما وقال:
- أهلا بالهاريين. لقد انتظرناكما لحضور الاجتماع المتفق عليه، لكن ربما قد كانت لكما اهتمامات أخرى.
- أهلا بالقائد عمرام؛ لقد كنت طيلة اليوم مع يراع في جولة لأتعرف على أرجاء بابل.
- قال يارد:
- أتمنى أن يكون يراع قد وفق في اطلاعك على عظمة بابل، ففيها من الأسرار ما يذهل العقول.
- نعم هي كذلك، ما كنت أظن أن بني الإنس بمقدورهم بناء هذه الصروح دون اللجوء إلى السحر.
- تدخل يراع محاولا تغيير مسار الحديث بعد أن شعر بالإحراج من القائد عمرام الذي لم يفارقه بنظرات الترقب، وقال:
- كيف مر الاجتماع؟
- هل أنت متلهف لمعرفة ما كنا نناقش؟
- أوما يراع برأس:
- طبعا.
- وضع عمرام يده اليمنى على كتفه وقال:
- كما تعلم؛ بعد غد ستكون جنازة المستشار براكيل، ستكون قد مرت عشرة أيام على مقتله لذا ستكون جنازة مهيبّة، وقد انتهينا تقريبا من تخنيطه وسيدفن في مقبرة الملوك، ولهذا سينادي المنادي غدا

مخبرا كل سكان بابل بأن يجتمعوا قرب المقبرة الملكية ليشهدوا دفن هذا البطل العظيم.

تدخل يارد:

- لقد اقترح والدي أن يجعل هذا اليوم خالدا لكل من سيأتي بعدنا، حيث سنعلن فيه عن تقويمنا السنوي الجديد الذي أعدناه بفضل مساعدة الحكيم نموشالخ والذي يضم ثلاث مئة وستين يوما.
- هذا جميل.

إنبرى القائد العام عمرام موجهها الكلام للحكيم:

- أيها الحكيم لماذا لا تشاركنا الحديث، فقد تغيرت أحوالك منذ المساء.

رفع الحكيم نموشالخ عينيه نحو السماء، وجمع كلتي يديه وقال:

- لقد التمست السماء، فوجدت فيها أخبارا حزينة.
ردت ليلى مفزوعة:

- ماذا هناك أيها الحكيم لقد أفرعتني، هل حدث مكروه لأبي الملك.
قطب الحكيم نموشالخ حاجبيه، وزم على شفته قليلا، ثم نطق بصوت يغلب عليه التشنج وقال:

- لقد سقطت مملكة مذهب في أرض أشقلون، وقتل الملك مذهب وسقط تاجه.

عم الذهول وجوه الجميع من أثر الصدمة، وسيطر الصمت والسكون إلى أن تدخلت ليلى:

- هل هناك أخبار عن أختي كحلة وبقية الوفد المرسل إليهم.
- ربما قد هلكوا جميعا.

إنهارت ليلى بالبكاء وخرت على الأرض، فأنحنى يراع بسرعة من أجل مساعدتها على الوقوف وقال:

- تبا لهذا المسمى عزازيل، ستكون نهايته على يدي.
تدخل القائد عمرام:

- ليس بهذه السهولة يا يراع، إنه يقترب أكثر فأكثر وقوته تتعاضم لذا يجب أن نعد له العدة جيدا، ثم التفت نحو الحكيم وقال:

- ما رأيك في عقد اجتماع آخر غدا نناقش فيه سبل التصدي لعزازيل.

- نعم من الضروري أن نعقد هذا الاجتماع غدا صباحا نلتقي مجددا.

- حسنا.

التفت عمرام نحو يراع وأضاف:

- خذ عربتين ملكيتين وعددا من الجنود، وأوصل الوفد إلى قصر الضيافة.

رد يراع وهو ممسك بليلى:

- وهو كذلك.

- رافقتكم السلامة.

-17-

أحس دنهش بالغيرة وهو يشاهد الأمير ديباج مسيطرا على كل شيء منذ قدومه إلى معسكر الظلام بأرض صوعن، حتى القائد العام سانوخ خاضع لرغباته ولا يستطيع التحرك إلا بمشورته.
حدث نفسه بصوت خافت:

- كيف تمكن ديباج بأن يتقرب من أبي عزازيل أكثر مني أنا، لا يعقل أن يتمتع بكل هذه الصلاحيات ويتم تهميشي أنا. تباله.
نهض من سريره وهو عاري الجسد، ووضع ثوبا أحمر حريريا على كتفه، ثم توجه إلى شرفته الواقعة في مقصورة مبنية على تل خلف المعسكر المحاصر لمملكة برقان.

أمسك بكأس ذهبي مرصع بالجواهر ونقوش الجماجم وهيكل حيوانات برية منقوشة بدقة، فسكب فيه سانلا أحمر اللون عبارة عن دماء بشرية قتلت غدرا ممزوجة بطلمس سحري من صنع عزازيل، ثم ارتشف منه بنشوة وهو يتأمل في القبة الحامية التي ضربت طوقا منيعا على مملكة برقان، تحيطها كبلورة كبيرة من مقدمتها حيث معسكر الظلام إلى خلفها الواقع على جرف وادي الموت الذي لا يمكن اختراقه بدوره فقال:

- آه لو تمكنت من فك سر هذه التعويذة اللعينة، وخلقت فجوة فيها لأصبحت المفضل لدى والدي عزازيل، ولسحقت ديباج وخططه الماكرة ولتمكنت من استرجاع أختي منه بكل سهولة.
خلف بوابة المقصورة قال أحد الحراس:
- سيدي دنهش لقد حضر القائد الأعلى سانوخ.
- دعه يدخل.

دخل سانوخ مرتديا درعا حديديا، ومتأبطا خوذته تحت ذراعه اليسرى، فالتفت إليه دنهش وقال:

- أهلا بالقائد سانوخ.

توجه سانوخ نحو أريكة جلدية ورد:

- أراك قد استفتت من النوم للتو، والشمس قد وصلت لكبد السماء.

صب كأسا أخرى من الدماء البشرية المغدورة وتوجه بها نحو سانوخ، ثم جلس على الأريكة المقابلة له وقال:

- لا لم أنم قط، ليست لي رغبة لا في نوم ولا في الأكل ولا حتى في الخروج من هذه المقصورة اللعينة.

ضحك سانوخ ضحكة ماعرة أباتت عن أنيابه:

- أظن أنك لا تطيق أن تجتمع مع ديباج في مكان واحد.

- لا أريد حتى سماع اسمه. أخبرني لماذا ترتدي درعك الحربي هل تستعد لغارة ما؟

قطب سانوخ حاجبيه، ورد بنظرة غاضبة:

- لا أخفيك سرا منذ قدوم الأمير ديباج وأنا في حالة تأهب؛ إنه صارم جدا.

سكب دنهش كأسا أخرى لنفسه ورد:

- أتمنى أن أجد خطة للقضاء عليه.

إقترب أكثر من سانوخ واسترسل في الكلام وهو يصب له الشراب مرة أخرى:

- من الممكن أن نتحالف نحن الاثنان ونسقطه، وأعدك بأن تصبح القائد الأكبر لكافة جيوش الظلام بدون منازع.

وضع يده اليمنى على كتفه وأكمل موضعا:

- لو أحكمنا خطة ناجحة للقضاء عليه لصرت أنت القائد الأكبر لجيوش الظلام، وأنا الحاكم على العفاريت كلها، وأختي لاقيس الحاكمة

على المردة الطيارين، وأنا متأكد أن القاندين التوأمين طيش وطوش سيكونان معنا ولن يتمردا علينا.

وقف سانوخ متخلصا من يد دنهش الموضوععة على كتفه، بعد أن أحس بوسوسته المحرضة على الانقلاب على الأمير ديباج، فاستدار نحوه وقال:

- لقد جئت إلى هنا كي أخبرك أن موكب أختك لاقيس قد حل عندنا، والآن هي في جناح الأمير ديباج وقد استدعتك لتحضر إليها.

إحمرت عينا دنهش، وأصبح بؤبؤاهما أكثر حدة، وبزغت منهما شرارة الغضب، فأمسك قارورة الشراب وضربها على الأرض وقال:

- هذا مالم أكن أريد حدوثه. كيف تفعلين بي هذا يا لاقيس!
سكت قليلا؛ والتفت نحو سانوخ واسترسل:

- هذه العاهرة تعلم أنني أحبها وأني أخوها الأحق بها. لكنها ترتمي في حضن هذا الحقير.

- لا عليك. تعرف أنها متقلبة المزاج تارة معك وتارة مع ديباج؛ لكن أخشى أن يقع بسببها ما وقع بين بني الإنس أبناء آدم هابيل وقايين.

وضع دنهش يده اليمنى على كتف سانوخ مرة أخرى وقال:

- أؤكد لك أن هذا ما سيحدث ونهايته ستكون على يدي، لذا يجب عليك من الآن الاختيار بين معسكري ومعسكره.

قال القائد الأعلى سانوخ وهو يهم بالخروج:

- هذا ليس الوقت المناسب لمناقشة هذا الكلام. هيا اخرج معي من المقصورة وحافظ على رباطة جأشك.

ارتدى دنهش درعه الذهبي وخرج مع القائد الأعلى دنهش نحو خيمة كبيرة سوداء تتخللها خطوط برونزية وعدد من الطلاسم والتعويذات لحماية من بداخلها.

قال دنهش بانفعال شديد:

- آه، لو وجدنا منفذا لإختراق القبة سواء من تحت الأرض أو من جهة وادي الموت، لما وصلنا إلى هذه الحالة.
- إنها قبة حامية من كل الجهات، أما جرف الوادي فكل سرايانا هلكت فيه ولم تتمكن من اختراقه، لقد فكرت في الالتفاف من الخلف لكن دون جدوى، إنه عمل منيع.
- وصلا إلى باب الخيمة، فأذن لهما الحارس الشخصي لديباج بالدخول، ومباشرة بعد تجاوز عتبة الباب وجدا بهوا طويلا مظلما يؤدي مباشرة إلى ساحة عظيمة؛ وكأنهما دخلا إلى عالم جديد حيث السماء بدت في الأفق منصوبة على جدران ضخمة تربطها أعمدة شاهقة مع الأرض.
- كان كل من دنهش والقائد الأعلى سانوخ يعلمان أنه لا مكان لهذه السماء ولا للأعمدة المنصوبة، فهي مجرد تعويذات أطلقها ديباج ليثير الأميرة لاقيس ويبرز مهارته في استخدام السحر.
- لمحا لاقيس وهي عارية تماما تففز داخل بركة مائية ذات بخار كثيف، وترتمي في حوض الأمير ديباج، فلم يتمالك دنهش نفسه وركض مسرعا نحوها فيما القائد الأعلى سانوخ خلفه يحاول إمساكه لكن دون جدوى.
- قبل ديباج عنق لاقيس بانتشاء كبير مستفزا أخاها دنهش الذي وقف أمام البركة، وظل يرقب بصمت سلوك أخته ضامًا قبضة يده بقوة. شاهدته لاقيس، فضحكت ثم أفلتت من ديباج وتوجهت نحوه سابحة ببطء.
- ظل دنهش صامتا متأملا سلوك أخته التي اقتربت منه وقالت:
- أهلا بأخي دنهش.
- حرك دنهش سبابته بغضب في وجهها ورد:
- لو كنت أخاك لما كنت الآن تسبحين مع هذا الهجين.
- شعر الأمير ديباج بالغضب من إهانة دنهش، ثم سبح نحو لاقيس وقال:

- أيها المعتوه. إخرس وإلا قطعت لسانك، فلدي كل الصلاحيات لفعل ما أشاء في هذا المعسكر.
- قاطعه لاقيس بعد أن وضعت يدها على فمه، ثم خرجت من البركة عارية، واقتربت من أخيها الذي بدأ يقلل من حدة غضبه وقالت:
- مابك أيها المجنون؟
- خفض دنهش صوته ورد:
- أنت تخرقين القوانين، لقد ولدنا أنا وأنت في بيضة واحدة، وبالتالي فأنت لي ولا يحق لك الارتداء في حضن آخر.
- ضحكت لاقيس بقوة، وبدأت بالالتفاف حول أخيها كأنها تشم رائحته وقالت:
- القوانين!!
- ضحكت مرة أخرى واسترسلت في الكلام:
- أية قوانين!!؟ فلتعلم أن لي الحرية في أن أفعل ما أشاء مع من أشاء، وأنا متمردة على كل القوانين.
- وضعت ذقنها على كتف أخيها وأكملت بصوت خافت:
- نعم أنت أخي وأنا أحبك. لكنك طول حياتك لم تكن بقوة الأمير ديباج وعظمته، أنت أجبن من مواجهته.
- زمجر ديباج صارخا وقال:
- كفى من هذا العبث.
- نظر إلى سانوخ الذي لم يحرك ساكنا وأردف:
- أيها الأبله خذ صديقك وانتظراني في قاعة الاجتماع.
- إنحنى سانوخ قليلا ورد:
- أمرك سيدي.
- إقترب القائد الأعلى سانوخ من دنهش وأمسكه من يده، ثم غادرا البركة صوب قاعة الاجتماعات التي نصبت قرب أحد الأعمدة وقال:
- حسنا، ها أنا بدوري أخذت إهانة من ديباج بسببك يا دنهش.

- أيامه باتت معدودة.

من خلفهما صرخ الأمير ديباج، وهو يخرج من البركة البخارية:

- لا تنس يا أنني أسمعكما فأنتما داخل خيمتي أيها المعتوهان، أما أنت يا دنهش أيامك هي التي صارت معدودة ونهايتك ستكون حتما على يدي.

أدار سانوخ رأسه قليلا، فيما بدا على دنهش عدم الاهتمام بصوت الأمير ديباج القادم من البركة المائية، فدخل خيمة صغيرة مزينة برفوف جانبية تحتوي على كرات بلورية براقّة، وقوارير زجاجية تضم أرواح التوابع والقرانن، وفي وسط الخيمة نصبت بلورة كبيرة الحجم ومتغيرة اللون، اقترب منها دنهش ليشاهد بداخلها خريطة بلاد صوعن كاملة بالقبة الحامية لها، وكتائب جنود الظلام المرابطين حولها. كأن البلورة ترسم مشهد العسكري من فوق السماء.

دخل الأمير ديباج الخيمة الصغيرة، وتبعته لا قيس وهي ترتدي ملابسها فقال:

- لقد استدعيتكما هنا من أجل أن ترفعا حالة التأهب في الجيش، أريد أن يكون كل شيء جاهزا للهجوم الكبير.

رد سانوخ:

- هل وجدت طريقة لنتفادي القبة الحامية؟

قالت لا قيس:

- نعم؛ لقد أعدنا خطة محكمة، ولقد وافق عليها أبي عزازيل.

رفع ديباج سبابته في وجه سانوخ:

- اسمع يا سانوخ بعد ثلاثة أيام سيحل سيد الظلام عزازيل إلى هنا ليباشر الهجوم بنفسه، حيث سيكون كسوف الشمس، وستكون قبتهم ضعيفة يسهل اختراقها. كل ما عليك أيها القائد هو أن تعد الجيش للهجوم الكبير.

وأما سانوخ برأسه:

- نعم أيها الأمير.
- التفت ديباج إلى دنهش وقال
- هيا انصرفا.

-18-

اجتمع كل من الملك مهلائيل وابنيه يراع ويارد والقائد العام عمرام مع وفد الجن في قاعة الاجتماعات داخل القصر الملكي لإعداد خطة محكمة ضد جيش الظلام، ومع طول الاجتماع الذي بدأ مع شروق الشمس أحس يراع بالتعب الشديد، فبدأ بالتناوب وبتحريك كلتا يديه عاليا مما أثار غضب الملك مهلائيل، فقال يراع:

- ما رأيكم أن نأخذ استراحة خفيفة، فنحن من الصبح منكبون على هذا العمل. يجب أن نستريح حتى نستطيع التفكير جيدا.
أجاب الملك:

- لاوقت لدينا للراحة، فنحن أمام أمر جلل كبير والمصائب تتربص بنا من كل جانب. لكن إذا كنت تشعر بالتعب فيمكنك الانصراف.
أدار الملك مهلائيل وجهه نحو باقي الحضور، فنهض يراع عن كرسيه منصرفا نحو الباب وهو يشعر بالإحراج قائلا:

- سأخرج.
تدخل القائد العام عمرام:

- حسنا. لقد أصبحت المسلة جاهزة لنصبها قرب المقبرة الملكية بعد أن نقشنا فيها التقويم الجديد.
وضع مهلائيل يده على لحيته، وحركها قليلا وقال:

- أريد لهذا اليوم أن يصبح يوما تحتفل به بابل كل سنة حتى يبقى اسم المستشار العظيم براكيل خالدا في ذهن الجميع.
قال الحكيم نموشالخ:

- والجميل في الأمر أنه يوم مميز يتساوى فيه الليل مع النهار.
 - إذن فلنجعله بداية للسنة البابلية.
- تدخل يارد:

- نشكر وقد مملكة برفان على كل هذه المعلومات التي حصلنا عليها من خلالهم، خاصة حركة النجوم والشمس والقمر والكواكب السيارة إنه لشيء عظيم.

ردت ليلى :

- إنه من دواعي سرورنا أن نمدكم بكل هذه المعلومات، كما أنني أعتقد أن الزاقورات التي تملكونها ستساعدكم على مراقبة السماء.

بينما الجميع يومئ برأسه، تدخل نموشالخ قائلاً:

- أعتقد أنه ينبغي أن تظل علوم السماء طي الكتمان بين خاصة الإنس حتى لا يتم توظيفها من طرف العامة في أمور سيئة، فهذا ما وقع لنا نحن بني الجن حين صار الجميع له قدرة على قراءة السماء، فظهر الشر بيننا وسفكنا دماء بعضنا البعض.

رد مهلائيل:

- نعم. أعتقد أن كلامك صحيح. سأحرص على تدوين كل شيء، وأجعله مخبأ في مكان سري لا يطلع عليه أحد إلا بعد موافقتي.

- هذا جيد.

تدخل القائد العام عرام :

- لقد سبق لنا أن أسرنا ماردا وغولا وعددا من الجن جنود عزازيل أثناء محاولتهم الفاشلة في الهجوم علينا، وقد حاولنا أن نعرف تكوينهم الداخلي وقوتهم البدنية، وقد اطلع الحكيم نموشالخ عليهم؛ هل من الممكن أيها الحكيم أن تمدنا بمعلومات أكثر عن أصنافكم وأنواعكم؟

دخل يراع بخطوات بطيئة كأنه غير مهتم بمسار الاجتماع، كاسرا الخشوع الذي كان يسيطر على القاعة، فنظر إليه الملك مهلائيل بنظرة ينبعث منها الغضب قائلا:

- ما بك؟

- لا شيء على الإطلاق، لقد عدت لأكمل الاجتماع.

تنفس الملك مهلائيل بعمق وقال:

- حسنا أيها الطائش، إجلس مكانك إذا كنت تود متابعة الاجتماع.

التفت الملك إلى الحكيم نموشالغ وقال:

- أستسمح أيها الحكيم على هذه المقاطعة، تفضل بالكلام.

بينما كان يراع يأخذ مكانه على مقعده، نهض الحكيم نموشالغ وصمت قليلا، ثم نظر نظرة خاطفة إلى كل الحاضرين وقال:

- نحن بني الجن نتكون من فصائل كثيرة، فمن العفاريت والمردة

والغيلان، ثم الجن العادي الذين نطلق عليهم اسم عمار الأرض.

فأما العفاريت فهم أقوى مخلوقات الجن وأكثرهم ذكاءً، وغالبا يكون منهم الملوك والأمراء وقواد الجيوش، هم لا يستطيعون الطيران في السماء، لكنهم قادرون على القفز مسافات طويلة والغطس في أعماق المياه المظلمة.

أما المردة فأغلبهم طيارون في السماء يتحركون بسرعة وانسيابية،

ولكن قوتهم تضعف كلما اقتربوا من سطح الأرض، وهم أكثر عنادا وقسوة لكنهم ليسوا بقوة العفاريت، فعفريت واحد يتساوى قوة مع عشر مردة.

تحرك نموشالغ من مقعده وكأنه يطوف على الجالسين الذين ظلوا

مركزين على كلامه، وأردف قائلا:

- أما الغيلان فبالرغم من قوتها البدنية وحجمها الضخم، فهي تظل بطيئة الفهم وبليدة ولا يمكنها أن تستوعب أمرين في آن واحد، لكنها مهمة في المعركة التي تحتاج إلى قوة جسدية، وفي قضاء أمور السخرة وأمور أخرى.

أما العمار فهم من عوام الجن، تجدهم بكثرة يعيشون على سطح الأرض أو في الكهوف والوديان، فهم لا يستطيعون الطيران، ولا الغوص العميق في المياه المظلمة، وقوة عشرة من العمار تساوي قوة مارء واحد، لكن مقارنة كذلك معكم فإن قوة العامر الواحد تساوي عشرة أشخاص من بني الإنس.

وكذلك أريد أن أحيظكم علما، أن عزازيل تمكن من صنع التوابع والقرائن يرسلها خفية لبني الجن وبني الإنس على حد السواء مهمتها الوسوسة وزرع وصاياهم في نفوسهم، وكذا مراقبة تحركهم في كل حركة يقومون بها.

كما أن عزازيل جمع طاقة كبيرة امتصها من ضحاياها مكنته من صنع مخلوقات الغولم.

قال يراع:

- وما الغولم وما هي مهمته؟
 - الغولم مخلوق متشكل من التراب اللازب، لا يمكن القضاء عليه أبدا، فإذا تم تدميره يتم تشكيله من جديد.
 قال القائد العام عمرام:

- وما الحل إذن؟

- الحل لا يبصره إلا المتبصرون في العلم، حيث أن كل غولم مكتوب على جبينه اسم (الحياة) ومن أجل القضاء عليه يجب أن تتحول الكلمة إلى (الموت) فينهار الغولم ويموت³⁷
رجع نموشالغ إلى مقعده، جلس وأردف قائلاً:

- عموماً يمكن لكل شخص من بني الجن أن يطور قدراته وقوته، فقد نجد الجني الواحد من العمار يستطيع القضاء على عشر عفاريت بضربة واحدة، ومن أجل تطوير قوتنا فإننا أمام طريقتين لا تلتقيان أبداً، إما الاعتماد على الحكمة، وإما على السحر.
قال يارد:

- هذا شيء مثير للاهتمام، وكيف السبيل لكل طريقة؟
- حسناً أما طريق السحر فهو معروف. يجب أن تبني روحك لعزازيل سيد الظلام وتصبح خادمه، فيمدك بطلاسم السحر الأسود الفتاك، فكلما ازداد قلبك سواداً ازدادت قوته.
أما طريق الحكمة فهو صعب، يحتاج أولاً إلى ضبط النفس وترويضها على ألا تزغ، بعدها يجب أن تفهم أسرار الطبيعة وما تقدمه لنا من الحياة، فإذا فهمت عناصر الكون؛ النار، والهواء، والماء، والتراب، ستفهم لا محال العنصر الخامس ألا وهو الروح وستتغير نظرتك للحياة وتصبح أكثر ميلاً للسلام والهدوء والانعزال كذلك، وكلما اقتربت من الحكمة ازدادت قوتك التي هي مناهضة لقوى الظلام.

فالقوة سواء كانت منبعثة من الظلام أو من النور، فإنها تطيل عمر صاحبها حتى يصير أقرب للخلود، أما الضعف فهو يؤدي إلى الموت لا محال.

³⁷باللغة العبرية تكتب على جبين الغولم (أليف، ميم، يا، تاف، ن، م، ن) وهي كلمة "إميت" وتعني "الحقيقة"، ولقتل الغولم يجب محو حرف (أليف) وترك الأحرف (ميم، تاف - م، ن) ويتشكل منها كلمة "ميت" والتي تعني "الموت"

- أنا فعلا أشعر بالإحباط، فكيف لنا مقاتلة هذه المخلوقات فلا قبل لنا بها، ويجب أن نفوقهم عددا بأضعاف مضاعفة.

- أنا هنا لا أريد أن أتسبب لكم بالإحباط، فأنتم بني الإنس تتمتعون بمهارات كثيرة. أنتم أكثر ذكاءً ويزداد تميزكم كلما اندمجتم مع الطبيعة وفهمتم أسرارها، عندئذ ستصبحون أكثر قوة وستتحكمون في الهالات التي تحيط بأجسامكم، والهالات هي ضوء نراه نحن فيكم لكن لا يستطيع جلکم مشاهدتها.

تدخلت ليلي:

- كما أن بني الإنس وبني الجن يكملون بعضهم البعض، فالجن يميل إلى النار والهواء أما الإنس فيميلون إلى الماء والتراب، وهذه هي العناصر الأربعة التي تمثل الطبيعة.

حملق نموشالخ بإعجاب في عيون ليلي مع ابتسامة خفيفة، فنظرت إليه ورفعت كنفها قليلا كأنها تستفسره عن سر تلك النظرة والابتسامة، فقال الحكيم نموشالخ:

- من أين تعلمت هذا يا ليلي؟
ردت عليه بابتسامة مماثلة:

- أم تعامة؛ يعود الفضل للحكيمة أم تعامة في تعليمي بعض الأشياء عن العناصر الأربعة، وإن كانت دروسا خارج ما هو مقرر لي في مدرسة الحكمة.

- حسنا؛ يبدو أنك كنت تبين البلاء الحسن في هذا الجانب.

صمت الجميع قليلا، وظلت ليلي ترقب بعينيها يراع الذي بدا شارداً الذهن غير مبالي بالنقاش الدائر أمامه، فتساءلت في نفسها فيما يفكر هذا الإنسي الجميل. حاولت قراءة أفكاره من خلال اختراق هالته الجسدية، فأوقفت تفكيرها ودققت النظر في جسمه حتى ظهر لها ضوء خفيف يحيط به، اخترقته بنظراتها ثم حاولت بعثرته، فركزت في جذعه حيث

تمركز هناك ضوء أحمر، ثم ارتفعت قليلا بنظرتها نحو حوضه فتغير اللون إلى البرتقالي، ثم تحول اللون إلى الأصفر عند سرتة، واللون الأخضر على مستوى قلبه، فصعدت قليلا حيث وجدت اللون الأزرق عند حنجرتة، و التي سرعان ما تحولت إلى لون بنفسجي يشع من بين عينيه، لتختتم الألوان باللون الأبيض الفاتح المنبعث من رأسه.

قالت في نفسها مجددا "بحق السماء لم أستطع اختراقه إن شاكرا³⁸ متراصة، وألوانه مكتملة لا يغلب بعضها على البعض الآخر، إنه مميز كما قالت لي أم تعامة".

حاولت ليلي إعادة التجربة لكن الحكيم نموشالغ هاتفها عن طريق التخاطر بالأ تعيد التجربة مجددا "ليلي لا تحاولي إعادة التجربة؛ هذا خطر عليك. إذا فشل أي جني في اختراق الشاكرات الضوئية للإنسان، فإنه يهلك أو تنهار قوته فلا تستهيني بالأمر، لقد اكتشفت أنه منبع بفضل هالته المتوازنة، فأصرفي النظر عن المحاولة".

إسترسل مهلائيل في الكلام:

- أشكرك أيها الحكيم على كل هذه التوضيحات المهمة بالنسبة لنا، لكن كيف السبيل لمحاربة قوى الظلام وهم أكثر منا قوة وعددا؟
- سأخبرك بسر. مهما عظمت قوة الظلام فإن شعلة صغيرة من النور تستطيع أن تقضي عليه، لقد أصبح لعزازيل عدو جديد غيرنا. إنهم أنتم بنو الإنس عدوه الجديد والأزلي، أنتم من تستطيعون محاربته، فإما أن يهزمكم أو تهزمونه ولا خيار ثالث بينهما. عزازيل يستخدم الكثير من السحر الذي لم يشهده العالم من قبل لكن وحده الإيمان يستطيع أن يبدد كل هذا الظلام.

³⁸ شاكرا باللغة السنسكريتية تعني العجلة أو الدوران تقابلها باللغة العربية "المقامات" وهي دوامات أثرية يعتقد أنها تحيط بكل الأجسام الحية

- أشكرك أيها الحكيم، وأشكر الملك برفان الذي أرسلكم لهذه المهمة النبيلة نحن نعرف ما ينتظر البشرية من محك خطير وسنكون له بالمرصاد. أظن أنه حان الوقت أن ننهي الاجتماع وأن نتوجه إلى مأدبة العشاء، فغدا ينتظرنا يوم حافل؛ هيا بنا.

-19-

ركض مسرعا، فتسلق ربوة صغيرة، ثم قفز من فوقها على وجه السرعة، فأكمل ركضه بتعب شديد في أرض قاحلة مستوية لا نبات فيها سوى بعض الأحرش الصغيرة المتناثرة وسط تشققات كبيرة تبطئ من حركته، ومع هبوب ريح ساخنة كأنها منبعثة من لهيب النار لمح جدارا بعيدا مصنوعا من طوب أحمر تعرضت بعض أجزائه للانهييار، تتوسطه باب ضخمة محاطة بلهيب من نار، وعلى مقربة منها يوجد شخص ضخم مجنح له أربعة وجوه، يمسك سيفا متقلبا يشع منه لهب في جميع الاتجاهات، فحاول يراع الركض نحوه لكن قواه كانت وشيكة الانهييار، وفجأة اخترق سهم أبيض رجله اليمنى، فخر على الأرض ورغم كل محاولات الوقوف لم يستطع الانتصاب، وكان الظلام يقترب منه أكثر فأكثر، كأنه سحابة سوداء يتبعها صوت شبيهه بطنين النحل يلتف به، لكنه لا يقوى على الهرب.

استفاق يراع من كابوسه وهو يشهق بقوة وقطرات العرق تتصبب من جبينه، نهض مسرعا من سريره لكنه أحس بشد عضلي في فخذه تسبب في سقوطه أرضا، تفحص قدمه فلم يعثر على أي أثر عكس ما كان يتوقع بعد كابوسه المزعج، ثم أعاد الوقوف مجددا ومسح قطرات العرق عن جبينه، وقال بصوت مسموع:

- بحق إيل ما هذا الكابوس الذي يتكرر، يبدو أن السماء تشعرني بأني سأواجه أياما عصبية في حياتي.

توجه مباشرة إلى قارورة ماء طينية موضوعة على طاولة خشبية في ركن الغرفة فشرب منها، ثم توجه إلى الغرفة المقابلة لغرفته الخاصة بالاستحمام. نزع كل ملابسه ووقف أمام المغسل، وسحب حبالا

طويلا تسبب في انهيار الماء البارد عليه، ثم ذهن جسمه بعجينة رطبة ممزوجة بزيت الزيتون وعصارة بعض النباتات، ثم سحب الحبل مجددا، فانهمرت مياه جديدة عليه.

ارتدى ملابس الحريرية وخرج مهرولا مباشرة إلى خارج القصر الملكي، حيث امتطى حصانه الأسود، وركض به مسرعا نحو زاقورة شلومو بالمصلى الرئيسي، حتى وصل إلى باب الواد فاعترض طريقه مجموعة من الجنود مما اضطره إلى التوقف وقال:

- ما بكم تمنعونني من التقدم؟

رد عليه رئيس الكتيبة:

- سيدي يمنع مرور الحيوانات إلى الضفة الثانية، فلنترجل من حصانك لو سمحت.

- ومن اتخذ هذا القرار؟

- سيدي إنها أوامر القائد العام عمرا.

- حسنا بما أنها أوامر القائد عمرا بنفسه سأترجل.

ترجل يراع عن حصانه، فرد رئيس الكتيبة:

- لقد قال إنه يوم عظيم يمنع فيه دخول الحيوانات إلى المصلى،

إلا ما سيتم ذبحه في المعبد.

سلم يراع حصانه لرئيس الكتيبة، وقال:

- فليرجعه أحد جنودك إلى الإسطبل الملكي.

- حسنا سيدي.

عبر يراع الجسر المعلق الرابط بين الضفتين مهرولا بين الحشود المتجهة صوب المصلى، حيث وجد صعوبة في اختراق الناس الذين لبوا نداء الملك، فالتفت إلى كوكبة من الجنود يسهرون على تنظيم الحشود الغفيرة، ثم توجه نحوهم بسرعة وقال:

- أنا ابن الملك مهلائيل، أريدكم أن تساعدوني في الوصول إلى

المنصة الملكية بسرعة قبل بداية المراسيم.

رد أحد الجنود:

- حسنا سيدي.

توجه الجندي إلى باقي زملائه وأمر:

- افتحوا الطريق لابن سيدنا الملك حتى يصل إلى المنصة الملكية في زاقورة شلومو.

تمكن يراع من المرور السلس بين الحشود المكتظة والمتزينة بأحلى الحلل وبأفضل الملابس إلى أن وصل إلى زاقورة شلومو، ثم صعد أدراجها بسرعة إلى أن وصل إلى المنصة الملكية حيث وجد نفسه آخر من التحقق بها، فقال الملك مهلائيل:

- ما هذا التأخر يا يراع؟

مرر يراع عينيه بسرعة على الجالسين وهو يقترب من أبيه الملك، فقبل يده وقال:

- لقد كانت ليلة عصبية شاهدت فيها كاب...

قاطعته الملك:

- حسنا، اختر مكانا لتجلس فيه.

أحس يراع بالإحراج الشديد بعد معاملة والده الملك له، خاصة بعد أن لمح عيني ليلي وهي تنظر إليه، فتدخلت الأم دينا لتتقذ الموقف وقالت:

- تعالى يا بني اجلس أمامي فأنا مشتاقة إليك.

ألقي تحية خفيفة على الحاضرين، ثم جلس على كرسي جلدي بين أمه وأخيه يارد وعينيه ظلتا تلمحان ليلي التي كانت وسط المنصة قرب أبيه، فقال:

- تبا لهذا التوقيت السيئ، فالحظ لا يسعفني أبدا.

رد يارد:

- لقد تأخرت كثيرا.

- سأخبرك سرا لم أتناول وجبة الفطور بعد.

ضحك يارد وقال:

- أنت شخص مجنون.

تبادلا الضحكات

- تراجع برأسك إلى الخلف قليلا، فإنك تحجب رؤية عني.

- ألهذا الحد أنت معجب بليلي، فلا تستطيع أن تزيل نظرك عنها؟

- نعم إن قلبي مفتون بها.

عض يارد على شفته بحسرة وقال:

- إني أشفق على قلبك الصغير سينفطر من الألم، أولا تعلم أنها

من الجن ونحن من الإنس؛ فكيف سيجتمع قلبكما؟ ثم إنها سترحل قريبا بعد انتهاء مهمتها وستظل معلقا بها هنا.

- هذا ما يحزنني لكنه يثيرني كذلك، سأدخل غمار هذا الحب

المجنون، فإني أجد ممارسة الحب بين بني الإنس أمرا مبتذلا.

- لكن الحب بين إنسي وجنية يعد أمرا شاذا.

ضحك يراع:

- إسمع يا أخي، كثير من عاداتنا كانت في البدء أمورا شاذة

تطبعنا معها مع مرور الوقت فلا داعي للقلق من هذا الأمر.

إنحني يارد وقال:

- تعلم إنني دائما كنت أدمك، لكن.. في هذا القرار سأدعمك

كذلك، فما بيدي حيلة أخرى.

- أنا متأكد من هذا، فأنت أخي الأكبر، ولطالما قلت لي إن الأسرة

أولا.

إنحني مهلائيل قليلا برأسه في اتجاه القائد العام عمرام وقال:

- لقد أخبرتني يا عمرام أن يراع قد تغير سلوكه، لكنني ألاحظ أنه

لا زال طائش الفكر ومتهور السلوك كما كان في السابق.

- سيدي. إن التغيير لن يأتي بين ليلة وضحاها لكنه أصبح أكثر

اتزاناً من ذي قبل.

حرك مهلائيل رأسه قليلا وقال:

- لقد تسبب في مقتل المستشار براكيل، فكان عليه أن يكون أول الحاضرين إلى هنا تعبيرا عن ندمه وليس آخر الملتحقين.

- نعم يا سيدي أتفق معك في هذا.

قطب مهلائيل حاجبيه وقال بصرامة:

- عموما أنا لا أعول عليه في اتخاذ القرارات الصعبة، لا زال

أمامه الكثير لينضج وكما تعلم فإننا سنواجه أياما عصبية مع جيش الظلام ولا أريده أن يفسد خططي.

تعجب عمرام وقال:

- وكيف ذلك!!

- كما تعلم فإني قد أمرت بتجهيز المؤونة لإرسالها إلى مملكتي

في بلاد سوس، وقد أشرف يارد على تجهيزها، سأرسل أخاه يراع معه إلى إمارة سوس وسيمكث هناك مع الأمير برائيل فيما يارد سيعود إلى هنا.

حرك عمرام رأسه قائلا:

- لا تريده أن يتدخل في شؤون الحرب التي نحن مقبلون عليها.

- يكفي أنه تسبب في مقتل المستشار براكيل، وكاد أن يتسبب في

تقويض حكمي.

- نعم يا سيدي؛ أنا أتفق معك.

وقف مهلائيل وتوجه إلى رأس المنصة، ثم أعطى إشارة للجنود كي

يعم الصمت في المصلى، فتوقف الجميع عن تلاوة التراتيل الدينية، وقال بصوت جهوري:

- أيها الشعب البابلي العظيم.

يا من تجندتم لبناء مملكتكم، الفلاح يُكمل البناء، والبناء يكمل الحداد،

القوي يكمل الضعيف، والغني يكمل الفقير.

يا أبناء آدم، إننا اليوم نجتمع لتوديع رجل عظيم ساهم في بناء هذه المملكة بحكمته وبعد نظره، لقد كان لي خير سند، وقد ضحى بنفسه من أجلكم، فآن له أن يرتاح من جديد وأن يعود جسده للتراب كما عاد هابيل بعد مقتله من قبل.

أيها الشعب البابلي.

أريد أن يتذكر العالم هذا اليوم، وأن يحتفل بذكراه كل سنة، فالיום يتساوى الليل مع النهار، ويحل الدفاء وتبدأ الشتاء بالانحصار، ويحل الربيع وتثمر الأزهار، فلنجعل من هذا اليوم يوم عيد نطلق عليه اسم أكييتو³⁹

أيها البابلي لقد أحدثنا تقويما جديدا بعد فشل التقويمات السابقة وما شابها من أخطاء.

رفع مهلائيل يده مشيرا للجنود كي يزيلوا ثوب الكتان المنصوب على مسلة كبيرة نصبت وسط المصلى، فأزالها الجنود على الفور وهو ما دفع بالحشود المجتمعة في المصلى لتغيير نظرتهم في اتجاهها، ثم استرسل في الكلام.

- سيكون مثل هذا اليوم هو رأس السنة البابلية، وسيكون عيدا ممتدا لاثني عشر يوما؛ تجدد فيه العهود وتكتب فيه الألواح، وتقدم فيه القرابين، وسنقسم السنة إلى ثلاثة أقسام كما هو موضح على المسلة هناك، والتي سيكون مثلها موزعا على كل أرجاء المملكة.

القسم الأول سيسمى (رش شاتي) أما الثاني سيسمى (ميشيل شاتي) أما الأخير سيسمى (كيت شاتي)

وسينقسم كل قسم إلى أربعة شهور سيسمون في القسم الأول كالتالي:

³⁹ أكييتو بمعنى الحج وهو عيد بابلي احتفل به أول مرة سنة 4750 سنة ق.م وتنتوي الاحتفال به إلى اليوم كل فاتح أبريل/ نيسان من كل سنة وكان يصادف يوم 21 من مارس حيث يكون الليل والنهار متساويان

الشهر الأول ب (أراخ نيسانو) وهو شهر الملجأ، أما الشهر الثاني سيسمى (أراخ أرو)، وهو شهر الثور، أما الشهر الثالث سيسمى (أراخ سيمانو)، والرابع سيسمى (أراخ دوموزو) وهو شهر الراعي أما القسم الثاني سيسمى الأول فيه (أراخ أبو)، أما الثاني سيسمى (أراخ أولولو)، والثالث سيسمى (أراخ تشريتوم)، وهو شهر بداية النصف الثاني من السنة، والشهر الرابع سنسميه (أراخ سمننا).

أم القسم الأخير سيسمى الشهر الأول فيه (أراخ كسليمو)، والثاني (أراخ تيبيتوم) وهو شهر قدوم الماء، والثالث (أراخ شباطو) والشهر الأخير (أراخ أدارو)، وبعدها سنحتفل بعيد اكيثو مجددا.

هللت الحشود الواقعة في المصلى "النصر لك يا مهلائيل العظيم"

رفع مهلائيل يده فسكت الجميع، ثم استرسل في الكلام:

- سنبني بابل العظيمة، سنبني الزاقورات للعبادة، وبرجا عظيما يربط بين السماء والأرض هذا كان حلم براكيل ولن نتخلى عن أحلامه، سنحققه ذات يوم نحن أو من سيأتي من بعدنا، فلن يتوقف فيه البناء حتى يصل لعنان السماء.

أن لبراكيل أن يستريح للأبد، فهيا بنا نودعه أحسن توديع، وندفنه دفنا يليق به.

أعطى الملك مهلائيل إشارة بيده للجنود، ففتحوا طريقا طويلة بين الحشود، تربط بين المنصة المنصوبة على مسطحة الزاقورة والمقبرة الملكية، ثم التفت نحو الحاضرين في المنصة وقال:

- هيا بنا نكرم هذا البطل الذي ضحى بحياته من أجلنا.

وقفت ليلي وقالت:

- نعم، وضحى بحياته من أجلي أنا بالخصوص. أنا مدينة له بحياتي، شكرا لك أيها الملك العظيم.

نهض الجميع من المنصة واصطفوا مثني مثني خلف مهلائيل، فأسرع يراع للوقوف بجانب ليلي، ثم نزل الملك مهلائيل من أدراج

زاقورة شلومو، وخلفه كل من القائد العام عمرام والحكيم نموشالخ،
وخلفهم كل من الحارس مودو ويارد، ثم من بعدهم كل من ليلي ويراغ،
وباقى أعيان مملكة بابل.

قال يراغ:

- كيف حالك يا ليلي؟
ردت بعد ابتسامة خفيفة:

- أنا بخير، وأنت؟
- أنا مشتاق إليك كثيرا، أريد فرصة أن أجلس معك على انفراد.
- لماذا؟
- لأحدثك عن أمر هام.

إبتسمت:

- يمكنك أن تحدثني فيه الآن.
- اسمعي يا ليلي أنا معجب بك كثيرا، وأخشى أن ينفطر قلبي
بسببك.

تنهدت ليلي بعمق معاتبة نفسها بأنها هي التي سينفطر قلبها بسببه،
ثم قالت بصوت مرتفع:

- أخشى أننا سنفترق غدا، فلقد انتهت مهمتي هنا بمملككم، ولقد
أن الأوان أن أعود إلى موطني.
- وأنا أيضا سأغادر في قافلة إلى مملكتنا في سوسة لتوصيل
بعض المؤن الضرورية.
- أتمنى أن نلتقي مجددا.

نظر يراغ إلى وجهها نظرة يعترئها الوجوم، مسك يدها اليمنى وتنهد
بعمق ثم أطلق زفيراً قويا فقالت ليلي مجددا:

- ما بك؟ لقد شق الحزن وجهك.
 - أشعر أنني قوي من الخارج لكنني في الحقيقة هش من الداخل،
 أخشى ما أخشاه أن ينفطر قلبي المسكين.
 ردت ليلى بحرقة:

- ألهذا الحد أنت معجب بي!!
 - نعم، وأكثر.
 - إذن هذا اسمه الحب، إنه أعلى درجة من الإعجاب.
 تنهد مرة أخرى:

- سمه ما شئت. لا أخفيك سرا، فأنت من خفق لها قلبي وارتعش.
 - إنه حب واعتراف في آخر اللحظات، لقد أمضيت معكم عشرة
 أيام فلم تعترف لي بحبك إلا في اليوم الأخير.
 ظل يراغ صامتا، وسحب يده من يد ليلى، ثم رفع رأسه، فاسترسلت
 ليلى قائلة:

- بدوري سأعترف لك بسر.
 - ماهو؟
 التفت إليه، ثم رمقته بنظرة طويلة وعميقة، وقالت:

- لا
 - ماذا؟!
 - لا؛ لا أمانع في أن ألتقي بك هذه الليلة، فانا معجبة بك كذلك إلى
 درجة الحب، وأريد أن أتحدث معك بدوري لكي أكتشف مكنونك.
 تنفس يراغ بعمق وقال:

- شكرا لك، أنا متشوق للمساء.
 نزل الجميع من مدرجات زاقورة شلومو، فأخرج الجنود نعشا ذهبيا
 به جثة المستشار براكيل محنطة، ومغطاة بثوب حريري موشح بحلي

ذهبية، ثم وضع النعش على عربة تجرها أربعة خيول ملكية، فاقرب منها الملك مهلائيل وقال:

- وداعا أيها الغالي.

ثم نظر الملك إلى جنوده واسترسل:

- هيا انطلقوا بسلام.

انطلقت العربة ببطاء، وخلفها الملك مهلائيل وأعيان بابل، فيما احتشدت الساكنة على جانبي المصلى، بعضهم يبكي والبعض الآخر يرمي الزهور على العربة، مرددين ترانيم جنازية توديعا للمستشار براكيل.

استمرت قافلة الموكب متقدمة بين الحشود إلى أن وصلت للمقبرة الملكية، فأخرج الجنود النعش الذهبي من العربة، ووضعوه في تابوت حجري ضخم مغروس في الأرض وممتلئ بالذهب والفضة وكل أنواع الأحجار الكريمة، فوضعت جثة براكيل المحنطة بينهم وهي على وضعية القرفصاء.

التفتت ليلي نحو يراع وقالت:

- لماذا تم تحنيط براكيل بهذه الوضعية؟ ألم يكن من الأجدر تحنيطه بشكل مستقيم؟

- هذه وضعية القرفصاء، إنها تشبه وضعية الجنين في بطن المرأة.

- ولماذا اتخذتم هذه الوضعية؟

- نحن خلقنا من تراب وإليه سنعود، والأرض بمثابة أم لنا خرجنا من رحمها، لهذا ندفن أمواتنا العظام على هذه الوضعية حتى تستقبلهم الأرض كما تستقبل الأم طفلها.

- حسنا فهمت.

رمى مهلائيل باقة من الزهور الأقحوانية داخل التابوت وأمر الجنود بإغلاقه، فدفن ثمانية جنود حجرة صلبة نحو التابوت إلى أن تم إغلاقه نهائياً، ثم التفت مهلائيل إلى القائد العام عمرام وقال:

- ابن هنا صرحا عظيما كي يظل ذكرى لا تنسى بين بني البشر.
التفت مجددا نحو الحشود المجتمعة وقال:

- أن لكم أن تذبخوا كل القرابين التي أدخلتموها إلى هنا، اذبخوا كما ذبح هابيل قربانه تقربا إلى إيل، وأطعموا كافة أهل بابل بطعامكم صدقة باسم براكيل لعل إيل يتقبله في ملكوته العلي.

-20-

كانت حالة التوتر سائدة في أرض صوعن، فمردة عزازيل لم يتوقفوا عن قذف القبة الحامية للمملكة بشهب الطاعون، أملين في إحداث شق يمكنهم من العبور إلى الداخل، وطوال الوقت ظل الملك برقان يطل من شرفته الدائرية المعلقة في قمة قصره، مراقبا عن قرب كل تحركات المملكة وأحوالها، فسمع صوت حارس الباب يقول:

- مولاي الملك المعظم، إن القائد الأعلى طارش يود الدخول إليك.
- حسنا دعه يدخل.

دخل القائد الأعلى طارش وأحنى ركبتيه قليلا، ثم استقام وقال:

- سيدي الملك.

التفت ساجي نحوه وقال:

- هل هناك أخبار جديدة يا طارش؟

- سيدي الملك ساجي برقان. إن شعبك في حالة توتر تام ونفسياتهم قريبة من الانهيار، أخشى أن يتمردوا عليك أو أن يعلنوا الاستسلام لجنود الظلام.

قطب الملك حاجبيه الكثيفين ورد:

- ماذا تقترح إذن؟

- أقترح يا مولاي الملك أن تنظم زيارة تفقدية لأرجاء المملكة، فبنزولك إليهم ستهدئ من روع الساكنة وسترفع همة الجنود.

وضع برقان يده على ذقنه وأجاب:

- لا، ليس الآن. ليس قبل أن أجلس مع حكماء المدرسة وأطلع على ما يخفون، فمئذ تعليقهم للسلام المتحركة وأنا أعيش كذلك حالة من التوتر النفسي. يجب أن أعطي للشعب إجابات شافية.
- حسنا يا مولاي.

- سأجرب الآن، إن هم لبوا ندائي.
- توجه برقان نحو المرأة الكبيرة المعلقة على جدار حائط ذهبي، وقال تعويذته الخاصة بتحضير الحكيم فقطش:
- شلش شلوش شهبوش شاموش شاهوش شالوش أستدعيك يا فقطش ألواحا ألواحا الساعة الساعة العجل العجل.
- ظلت المرأة على حالها حتى كاد ساجي برقان يفقد الأمل في استجابة فقطش، وقبيل عزمه على مغادرة المرأة رش بعض الحرمل في مبخرتة الذهبية، فتشكلت سحابة سوداء داخل المرأة، ثم بدأت بالتموج، فظهرت صورة الحكيم فقطش عليها.
- قال برقان بلهفة:
- الحكيم فقطش، وأخيرا.
- رد عليه فقطش من خلف المرأة:
- الملك المعظم ساجي برقان نحن متأسفون على هذا الانقطاع.
- هل بإمكانك الاستئصال إلى هنا؟
- لهنيهة فقط.

أخرج الحكيم فقطش رجله اليمنى من المرأة ليرتفع معه صوت كطين النحل والذي لم ينتهي إلا بخروجه الكامل، فقال القائد الأعلى طارش:

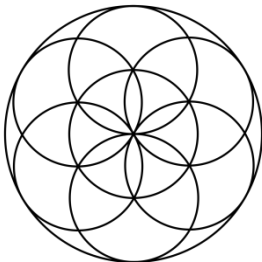
- ما هذا الصوت الذي كاد أن يخطف سمعي أثناء استئصالك إلى هنا، لأول مرة يحدث هذا الأمر؟

أجابه الحكيم فقطش وعلامة الجد ظاهرة على حاجبيه الكثيفين:

- إنها ترنيمة المغادرة.

أشار الحكيم بيده اليمنى نحو المرأة وقال:

- أنظرا



نظر كل من الملك ساجي برقان والقائد الأعلى طارش نحو المرأة، فانكشفت صورة لمدرسة الحكمة وكل روادها مجتمعون في الساحة الكبرى، مشكلين لدوائر متداخلة فيما بينهم وهم يرددون ترنيمة المغادرة.

بدا الغضب على ملامح وجه ساجي برقان وقال:

- ما هذا؟ هل تهمون بالمغادرة؟

- يؤسفني أن أبلغك أننا نستعمل هذا الطقس لكي نحشد القوة الكافية للمغادرة دون أن يتعقبنا عزازيل، فمدرسة الحكمة باتت مهددة بالزوال.

- وإلى أين تنوون المغادرة؟

- أسف أيها الملك لا أستطيع إخبارك، فلا أحد يعلم الوجهة إلا الحكيمة أم تعامة المخول لها تحديد المكان الجديد الذي ستستقر فيه مدرسة الحكمة، ولكن على العموم سنكون قريبين من بلاد صوعن، حيث يجب أن نجدد مجلس الحكماء، ثم بعدها يقرر المجلس الوجهة الجديدة للاستقرار.

تراجع الملك ساجي برقان بخطوات إلى الخلف وجلس على مقعده وقال:

- برحيلكم ستنهار مملكتي فقد تنهار حتى القبة الحامية تحت بطش جيش الظلام الملتف على رقبتنا.

- أسف أيها الملك العظيم لكن الوضع ليس آمنا حتى هنا وبداخل هذا القصر، لقد لاحظت كيف تمكنوا من الحكيم يوشيا. لا بد أن من قتله يملك سحرا خطيرا مستمدا من عزازيل نفسه.

- نعم. هناك خائن قريب مني خاصة أن غرفة يوشيا كانت قريبة من غرفتي، لكن لا أحد لمح القاتل أو انتبه إليه.

- لهذا؛ وحفاظا على أرواح الحكماء المتبقيين وأسرارنا التي ورثناها عن سوميا، وخوفا من سقوطها في يد عزازيل قررنا أن نغادر الليلة.
- ظل الملك ساجي برقان والقائد الأعلى طارش صامتين، ثم أردف الحكيم في كلامه بعد أن لاحظ صدمتها:
- لكن لا تقلقا لن ينتبه أحد لمغادرتنا، وسيظل العماليق الأربعة يحملون القبة، وسنحرك السلالم المعلقة على مدرسة الحكمة وكأنها عادت للاشتغال من جديد مما سيريح نفسية الساكنة، فإن استطعتم الإفلات من كسوف الغد، فلن يستطيع عزازيل اختراق هذه القبة إلى الأبد وسيندحر جيشه ويفر.
- حسنا أيها الحكيم، أتمنى لكم حظا موفقا ومغادرة آمنة دون أن يشعر بها ذاك الحقيير عزازيل.
- ودعهما الحكيم فقطش، ثم اختفى داخل المرآة السحرية.
- قال الملك ساجي برقان:
- أيها القائد الأعلى طارش لقد سمعت ماقال الحكيم فقطش.
- نعم يا مولاي.
- إذن هيا بنا نقوم بجولة في أرجاء المملكة ونطمئن الساكنة ونرفع من همة الجنود، فأمامنا مساء حافل بالأشغال وغدا سيكون الكسوف، لذا يجب أن نكون على أهبة الاستعداد لكل طارئ محتمل.
- نعم يا مولاي أقترح أن نبدأ جولتنا بزيارة فرقة المردة الطيارين، ثم كتائب العفاريت، بعدها نقوم بجولة استعراضية داخل أرجاء المملكة.
- حسنا إنها فكرة ممتازة، وما رأيك يا طارش لو استدعينا ليليث معنا في هذه الجولة؟
- سيدي لا أحبذ هذه الفكرة، فأنت تعلم أن معظم ساكنة مملكتك لا يطبقونها خاصة أنها دخيلة على عشايرهم.

ضحك ساجي برقان وقال:

- لا أعلم كيف صرت فجأة أسير حبها، وتخلّيت عن كل زوجاتي في سبيلها.

- إنه الحب ياسيدي، وهو يعمي القلوب والأبصار.

سكت الملك برقان قليلا ثم استرسل:

- هيا بنا.

ارتدى القائد الأعلى خوذته الذهبية فيما وضع الملك رداءه الأحمر على كتفه، وأمسك رمحه وغادرا القصر.

كانت ليليث تستحم في حمامها البخاري، نهضت من مغسلها عارية، وأطلقت شعرها الأحمر الوهاج، ثم توجهت نحو قنينة زجاجية صبت منها مشروبها السحري المصنوع من الدماء البشرية المقتولة غدرا، ارتشفت منه قليلا وقالت:

- ما ألد هذا المشروب المحرم في هذه المملكة البنيسة، كم أنا تواقفة إلى الدماء البشرية اللذيذة.

ارتدت ثوبا حريريا طويلا مفتوحا على ساقيه، وخرجت تتمايل في مشيتها نحو بهو القصر، فلمحت شابا قوية البنية حليق الرأس يضع حلقات في أذنه وأنفه، ويلف نفسه بسلاسل مربوطة بفأسين معلقين على خصره، فقالت له:

- أيها الشاب الوسيم؛ إقترب.

إقترب منها وقال:

- نعم سيدتي.

- هل أنت ابن القائد الأعلى طارش؟

- نعم، أنا طيروش رئيس كتيبة العفاريت.

أمسكت ليليث يد طيروش اليسرى، فأحس بدفء كبير يسري في عروقه، فقالت:

- سمعت أنك تنوي الزواج بليلى بنت ساجي برقان.

تمتم طيروش قانلا:

- نعم؛ أقصد هذا ما يريدون مني عمله، فلقد اتفق أبي مع الملك
ساجي برفان على..

قاطعته:

- أريد أن أحدثك على إنفراد؛ لو سمحت طبعاً.

- بكل سرور سيدتي.

قالت بصوت عذب وهي تقترب من وجهه:

- ليليث، فقط نادني باسم ليليث.

- إنه اسم جذاب يا ليليث.

- هيا معي إلى غرفتي المجاورة، أريد أن أناقش معك أمراً هاماً.

تحت تأثيرها قال:

- هيا بنا.

دخلت الغرفة المجاورة للحمام، وأقفلت ليليث الباب بطلمس سحري
حتى لا يتمكن أحد من فتحه أو التنصت على ما يدور داخل الغرفة من
حديث.

جلس طيروش على أريكة جلدية، ووقفت ليليث أمامه تتمايل وتحرك
خصلات شعرها الوهاج بيديها مما أتاح له الاستمتاع برؤية جسدها شبه
العاري إلا من قطعة قماش أبيض شفاف.

جلست بمحاذاته وقالت:

- أخبرني بأحوال الجنود.

ظل طيروش صامتاً برهة من الوقت وهو يتأمل في فخذها العاري،
وقد كانت ليليث تستطيع سماع دقات قلبه الولهان وهو يسارع أنفاسه
في الرد عليها قانلا:

- إنهم خائفون.

مررت ليليث يدها خلف طيروش ووضعتها قرب خصره، ثم صعدت
ببطء تتلمس فقرات ظهره إلى أن وضعت يدها على الكتف القريب منها.

تشجع طيروش ووضع كف يده على فخذها العاري ومرره ببطء على جسمها الناعم؛ فقالت:

- أيها الشقي.

رفع طيروش نظره في وجه ليليث التي اقتربت منه أكثر وأكملت:

- أيها الشقي؛ أنت ستتزوج بليلى وتتلمس جسدي.

- ليلى؛ لا أظن، إنه مجرد اقتراح من والدي طارش.

لم يستطع طيروش الإفلات من نظرات ليليث الساحرة، فبدأ بتقبيل فمها بسرعة ولهفة قبلة طويلة تجاوبت معها ليليث، فوضع طيروش يده على خصرها وأحكمها بقوة.

فجأة خرجت مادة بخارية رمادية اللون من فمها ودخلت مباشرة إلى فمه وهو يقبلها دون إنتباه، حتى صارت عيناه حمراوتان.

حين انتهت المادة الدخانية من ولوج جسده دفعته ليليث بقوة، وانتفضت من بين يديه، ونهضت من الأريكة الجلدية، فظل طيروش مصدوما من ردة فعلها غير قادر على الكلام.

تحركت ليليث في الغرفة ذهابا وإيابا إلى أن تكلم طيروش قائلا:

- ليليث؟

نظرت نحوه، ثم اقتربت وقالت:

- لكن أنت تعلم أن أي اقتراح بين أبيك طارش وزوجي برقان هو

أمر سينفذ لا محال.

خر طيروش على ركبتيه وأمسك بيديها قائلا:

- لا لا، أنا أريدك أنت فقط.

- وهل تستطيع مجاراتي وتنفيذ كل ما أقوله لك.

كاد طيروش يجهش بالبكاء:

- سيدتي أنت مولاتي، افعلي بي ما شئت، وأطلبني ما شئت، فقط

أريد أن أبقى بجانبك.

ضحكت ليليث بقوة وقالت:

- حسنا إنهض أيها الشقي.
- وقف طيروش مسرعا فقبلته بقوة وأردفت قائلة:
- يجب أن نتخلص منهما معا.
- صمتت قليلا وبعدها رأت تجاوبا في عينيه، استرسلت:
- ستصبح أنت ملك أرض صوعن، وأنا زوجتك وعشيقتك الأبدية.
- أسقطت ثوبها الأبيض الشفاف في الأرض وأعدت تقبيله قبلا خفيفة،
- فأقدم طيروش على إزالة كل السلاسل التي لفت جسمه مع الفأسين،
- وتعانقا مع بعضهما البعض وارتميا على الأريكة الجلدية.

-21-

وقف كل من القائد العام عمرام والحكيم نموشالخ وليلى بنت برقان مع يراع ويارد والحارس مودو قرب قصر الضيافة اللولبي بحي الشريعة، فقال عمرام:

- باسم الملك مهلائيل، وباسم بابل نشكركم على ماقدمتم لنا من معرفة، نحن متأكدون من أنها ستساهم في تطوير قدراتنا.

رد الحكيم نموشالخ:

- هذا واجب أخلاقي، فالخطر يهددنا معا.

تدخلت ليلى:

- لقد كانت توصيات والدي ساجي برقان بأن نقدم لكم الدعم الكامل حتى تستطيعوا مجابهة عزازيل وجنوده.

قال عمرام:

- لقد كان يوما شاقا أيها الحكيم شيعنا فيه المستشار براكيل، لذا سنترككم تستريحون قليلا.

- غدا سنغادر بابل مبكرا قبل شروق الشمس.

تدخل يارد:

- ونحن كذلك سنغادر في قافلة نحو سوسة لمدهم ببعض المؤونة والعتاد.

إغرورقت عينا يراع بالدموع، لكن كبريائه منعه من البكاء كالطفل على محبوبته ليلى، فهمس بصوت خافت:

- أظن أنه الفراق.

تدخلت ليلى قائلة:

- ما رأيكم أن نسافر مع بعض، قد نوفر لكم الحماية إلى أن تصلوا إلى بلاد سوسة.

رد القائد العام عمرام مسرعا:

- إنها فكرة ممتازة، على الأقل سنكون مطمئنين على وصول القافلة بأمان.
- أردفت ليلى:
- ما رأيك أيها الحكيم في هذا المقترح؟
- إنه مقترح جيد لكن ما يقلقني هو كسوف شمس يوم غد، سيختفي النور وسيحل الظلام على كل العالم.
- قال يراع:
- كيف ذلك أيها الحكيم؟
- مسك الحكيم نموشالخ لحبته ورفع عينه إلى السماء وأجاب:
- سنتحرك غدا بسرعة، لكن قبل الكسوف يجب أن نتوقف عن أي حركة، ويجب أن نضرب فوق القافلة طوق الحماية حتى نفلت من تعقب عزازيل، وإلا صرنا هدفا سهلا لجنوده.
- رد القائد العام عمرام:
- أوضح لنا أكثر أيها الحكيم!!
- بسبب كسوف الشمس سيكون عزازيل في أوج قوته، أما نحن في مدرسة الحكمة سنكون في حالة ضعف شديد. أتمنى أن يمر يوم غد بسلام.
- صمت الجميع؛ ثم استرسل الحكيم في كلامه:
- سأترككم الآن وسأصعد إلى سطح هذا القصر اللولبي، لعلني ألتصم أخبار السماء فهي محجوبة عني من هنا.
- رد القائد العام عمرام:
- أتمنى لك ليلة سعيدة.
- غادر الحكيم نموشالخ وحارسه مودو نحو القصر اللولبي، فقال يارد لليلى:
- أرى أن الحارس الذي يرافقكم لا يتكلم أبدا، إنه غامض ومخيف.

- إنه موكل بخدمة سيده الحكيم نموشالغ، ولا يحق له الأخذ في النقاشات والقرارات.
- آه، حسنا فهمت.
- تدخل القائد العام عمرام:
- آنستي، سنترك لك ترتاحي قليلا وسنصرف الآن؛ هيا بنا.
- بينما هم عمرام بالانصراف مع يارد قال يراع:
- سابقى هنا قليلا أيها القائد، فلدي كلام خاص مع ليلي.
- حسنا لا تتأخر، فأنت تعلم أن الجسور ترفع مع غروب الشمس، فإذا تأخرت قليلا ستعلق في هذه الضفة.
- كن مطمئنا، شكرا لك.
- انصرف القائد عمرام ويارد مع بعضهما البعض فقال يارد:
- أخشى على هذا المسكين، سينفطر قلبه.
- ضحك عمرام:
- هذا الفتى غريب الأطوار وعجائبي، أظنه مغرما بهذه الفتاة الجنية.
- نعم كثيرا، لقد باح لي بحبه لها، وطول الوقت يحاول أن يثير إعجابها.
- ألم أقل لك إنه غريب الأطوار، فنحن نفكر في الحرب وهو يفكر في الحب.
- أمسك يراع بيدي ليلي، فنظرت إليه نظرة حزينة وقالت:
- ما بك يراع؟ أرى اضطرابات في هالتك الضونية.
- أولا ترين الاضطرابات الحاصلة في قلبي المنفطر!!!
- نظرت إلى عينيه المغرورقتين بالدموع، ثم أرتمت على صدره، فضمها إليه بحرارة، ثم انحنى نحو شفثها فقبلها قبلة طويلة جعلتها مستسلمة بين ذراعيه، ثم تراجعت إلى الخلف قليلا فقال:
- ما بك؟

- أرخت ليلى حاجبيها، وبدت عليها علامة الاستسلام، وقالت:
- أحس أن قلبي يرتعش وجسمي ينتفض، إنه شعور غريب لم أكن أتوقع أن تكون أول قبلة لي في الحياة بهذه الحدة.
 - أول قبلة حقا!
- قطبت ليلى حاجبيها مجددا وقالت:
- نعم إنها أول قبلة لي وما كنت أتوقع أن تكون مع بني الإنس.
 - وأنا لم أكن أتوقع يوما أن أقع في غرام فتاة من بني الجن.
 - يا له من أمر عجيب وشاذ.
- أمسك يراع بيدها مجددا وقال:
- كم من أمر شاذ اليوم سيصبح مألوفا غدا.
- قبلها قبلة خفيفة، فرفعت ليلى يدها ووضعتها على شفته وردت:
- إنه أمر غير عادي أن تنشأ علاقة حب بين إنسي وجنية، لقد أخبرتني الحكيمة أم تعامة عن هذا الحب، وقالت إنه حب صعب سينشأ تحت وميض السيف، ويوم التقينا واعترضت ضربة عفريت الظلام بسيفك أصابتنى شرارة أشعلت قلبي وهو الآن متوهج بحبك ولن ينطفئ أبدا.
- مسك يراع يد ليلى التي على شفته، وقبلها قبلة خفيفة وقال:
- منذ رأيك أول مرة واقفة قرب بابل شعرت بشيء غريب ينبض داخلي، عرفت أنه الحب، فتمنيت له الاستمرار.
 - لقد صدقت أم تعامة.
 - وماذا قالت أم تعامة هذه؟
 - لقد حذرنتي من هذا الحب. قالت إنه عجيب، وحين سألتها عن مواصفات حبيبي المستقبلي، قالت إنه شيء مختلف، إنها محقة دائما.
 - صمتت قليلا ورفعت وجهها في وجه يراع، فقال:
 - ماذا قالت كذلك؟ أكملني.
 - تنهدت وأخرجت زفيرا قويا، ثم أردفت قائلة:

- قالت إنه في ليلة مظلمة ساكون مخيرة في هذا الحب، بأن أرفضه وألا أتورط فيه، أو أخوض غماره وأتحمل عواقبه، ثم قالت إذا خضت في أي طريق لا يمكنني التراجع منه أبدا.
- قطب يراع حاجبيه وقال:
- إذن؟
- إذن، أظن أنها الليلة التي سأختار فيها الطريق.
- تحركت ليلى ماشية يمينا ويسارا كأنها تحاول إقناع نفسها بالموقف الصائب، وظل يراع صامتا مترقبا وهو يراها تتوجه نحو شجرة التوت وتضع يدها عليها وتقول:
- يراع تعالى إلى هنا.
- إقترب يراع ببطء شديد كأنه خائف من سماع قرار ليلى النهائي، مقرا في نفسه استحالة نشوء علاقة حب بين جنسين مختلفين، فوقف أمامها وقال:
- حسنا، هل قررت التوقف أم المضي في هذا الحب المجنون؟
- أغمضت ليلى عينيها بقوة، وقالت بصوت متقطع:
- من المستحيل أن أتخلى عن هذا الحب حتى أرى آخره بماذا سينتهي.
- ضمها يراع بين ذراعيه، فأجهشت بالبكاء على كتفه وأكملت:
- أنا خائفة. أخاف أن نفشل في هذه العلاقة.
- خلل يراع أصابع يديه بين خصلات شعرها الأشقر ثم قال:
- أعدك أن أظل مخلصا لهذا الحب ولو ضحيت بنفسي من أجله.
- رفعت ليلى رأسها نحو عينيه وقالت:
- وأنا أعاهدك أيضا بأن أحارب العالم كله من أجل هذا الحب.
- تبادلا القبلات تحت شجرة التوت حتى توقف يراع وقال:
- فلنجعل هذه الشجرة شاهدة على ميلاد حبنا العظيم.
- نعم، أنظر إلى هذا التوت الأبيض.

رفع يراع رأسه نحو الشجرة، فاسترسلت ليلى بكلام خافت غير مفهوم حتى تحول التوت من أبيض إلى اللون الأحمر الناضج، وقالت:

- هذا عربون حبنا.

قطفت بعضا من التوت وتناولاه مع بعض فقال يراع:

- كيف فعلت هذا؟

- هذا ما علمتني إياه الحكمة أم تعامة في مدرسة الحكمة.

طبع يراع قبلة أخرى على خذها ورد:

- أنا متشوق للتعرف على هذه الحكمة.

- هي إحدى حكماء مدرسة الحكمة تحضى بوقار الجميع، فبعد

وفاة أمي هي من قامت بتربيتي خاصة حينما تزوج أبي الملك بركان من

جنية جاءت طريفة إلى مملكتنا اسمها ليليث، فلم أكن أطيعها ولم تكن

تطيعني، لذلك قررت أن أقضي بقية أيامي داخل مدرسة الحكمة، فلا

أغادرها إلا للضرورة، بالمناسبة لقد أخبرتني أن أعطي لحبيبي هذا

السوار.

نزعت ليلى من يدها السوار الذهبي المرصع بخيوط الياقوت الأحمر

ووضعتة في يده اليسرى، فنظر يراع إليه بتمعن وقال:

- هل هذه زهرة الأقحوان التي تتوسط السوار.

- لا إنها صورة لزهرة الحياة وهي رمز لمدرسة الحكمة.

- إنه جميل، سيظل هذا السوار معلقا في يدي ما حييت.

- أيها الشقي إذهب بسرعة، فالجسور المعلقة ستكون قد رفعت

وستنزل عالقا هنا إلى الصباح.

- أتمنى أن أظل عالقا للأبد معك يا حبيبتي.

قالت ليلى وهي تطبع قبلة خفيفة على خذه:

- حسنا اذهب فغدا صباحا أماننا مشوار طويل.

- ستكون الجسور قد علفت بالفعل ومن المستحيل أن أعبّر للضفة

الأخرى، لذا سأمضي الليلة هنا معك بالقصر اللولبي.

- حسنا هيا بنا ندخل إلى القصر لكن سنتام أنت في غرفة وأنا في غرفة أخرى.
 أو ما يراع برأسه موافقا، وأمسك بيدها، ثم دخلا القصر، وجلسا أمام الحوض المائي.
 وضعت ليلي رأسها على كتفه، ثم بدأت في الحديث عن ممالك الجن وحياتهم وحروبهم مع بعضهم البعض، كما تحدث يراع عن جنسه بني الإنس وما سمع من قصص على آدم وأبنائه وباقي سلالته، وبعد سمر طويل ناما بجانب بعضها البعض.
 بدأ شعاع النور يلج بهو القصر مخترقا مرايا متعددة الألوان، فنزل الحكيم نموشالغ من السلالم وتوجه صوب ليلي ويراع وهما نائمان
 فقال:

- استيقا إنه الصباح.
- فتح يراع عينيه ثم تلتته ليلي التي قالت:
- صباح الخير أيها الحكيم لقد غفونا هنا ليلة البارحة.
- لا عليك بنيتي.
- إلى أين أنت ذاهب؟
- لقد صنعت طلسم الحماية وطي المسافات وسأذهب إلى القافلة لأحصنها من سحر الظلام.
- حسنا سنلتحق بك.
- لا تتأخرا.
- إنصرف الحكيم نموشالغ مسرعا، فنهض يراع وليلي واستحما في الحوض المائي ثم التحقا بالقافلة المتمركزة قرب باب إيل المخرج الرئيسي لبابل.
- ألقت ليلي التحية على الجميع وقالت:
- هل كل شيء جاهز؟
- رد القائد العام عمرا:

- نعم القافلة جاهزة للانطلاق، أتمنى أن تمر رحلتكم بسلام.
- إلتفت نحو يراع ويارد وأردف قائلا:
- وأنتما يريد والدكما أن توصلا هذه الرسالة إلى الأمير براتيل.
- تسلم يارد صندوقا خشبيا يضم ختما أسطوانيا وقال:
- كان إيل في رعايتنا.
- إمتطى الجميع أحصنتهم وتبادلوا التحية مع القائد العام عمام، ثم
- انطلقوا عبر البوابة الرئيسة للمدينة في رحلتهم شرقا نحو بلاد سوسة.

-22-

حُجبت الشمس في بلاد صوعن بكثرة الشهب السوداء المحملة بشرارات نارية مكثفة والمتجهة صوب معسكر الظلام، حطت الشهب في غابة قرب جرف الوادي العميق لمملكة برقان، وانتشر دخان أبيض كثيف سرعان ما اختفى ليظهر عزازيل واقفا بشموخ، كان عاري البطن لا يرتدي إلا سروالا أسودا، وبالقرب منه تواجدت أفعى كبيرة ذات ثمانية رؤوس وهي تتحرك حوله هانجة كأنها تحاول إتهام شيء ما، وخلفهما جنود الغولم الست مئة وستة وستون وهم ضخام البنية كأنهم كتل من الحجر المتحرك.

وقف القائد الأعلى سانوخ وخلفه كل من الأمير ديباج وأولاد عزازيل وعدد من قواد الجيش في انتظار عزازيل، وفور اختفاء الدخان خر الجميع سجدا حتى أمرهم عزازيل بالنهوض، فاستقاموا واقترب الأمير ديباج من عزازيل وقال:

- مرحبا بسيدنا عزازيل.

لم يلتفت إليه عزازيل الذي توجه مباشرة نحو القائد الأعلى سانوخ وقال:

- كيف هي الأوضاع هنا أيها القائد الأعلى سانوخ؟

- الأوضاع تحت السيطرة سيدي، وجنودك ينتظرون اختراق القبة الحامية لينهشوا مملكة برقان وينكلوا بها شر تنكيل.

أحس الأمير ديباج بغصة في حلقه بعد عدم اهتمام عزازيل به، فبالرغم من أنه كان السباق في إلقاء تحية الترحيب إلا أن عزازيل لم يلتفت نحوه ووجه سؤاله مباشرة إلى القائد الأعلى سانوخ.

رفع الأمير ديباج عينيه في اتجاه دنهش، فوجده راسما على وجهه ابتساماة عريضة توحى بالتشفي، ثم قال في نفسه "لا بأس، كان على

سانوخ أن يسبق للتحية فهو القائد الأعلى والمكلف الرسمي بإدارة هذه المعركة"

قال دنهش:

- أبي المعظم إن القبة الح..

قاطععه عزازيل قاتلا:

- اخرس أنت، لولا أنك من صلبي لقت بصلبك في هذه الساحة.
انكمش دنهش وانحنى لأبيه عزازيل، فيما ديباج تنفس الصعداء وأحس بنشوة السعادة، ثم نظر إلى لاقيس نظرة إعجاب فبادلته بعض البسمات.

ظل عزازيل يتجول في المعسكر المحيط بالقبة الحامية لمملكة برقان، فيما بدا الجنود كلهم على أهبة الاستعداد، فالتفت إلى القائد الأعلى سانوخ وقال:

- أيها القائد، أريدك أن تعزل العفاريت لوحدهم وأن تجعل الغيلان في المقدمة، وخلف الغيلان ضع كتيبتين من مشاة الجن، أما السماء فأريدها ممتلئة بالمردة وأعطهم أمرا مباشرا بعد اختفاء القبة الحامية أن يمتطروا مملكة برقان بشهب الطاعون في قصف واحد، هل هذا مفهوم؟

- نعم سيدي مفهوم، لكن العمالقة الأربعة الحاملين للقبة السحرية كيف سنواجههم؟

- أترك أمرهم للغولم، فهم سينقضون عليهم من زواياهم الأربعة.

- حسنا سيدي.

- هيا نفذ الأمر يا سانوخ فإن الكسوف قد اقترب، أما أنت يا ديباج فستكون قائدا للعفاريت، وأنت يا لاقيس ستكونين قائدة المردة الطيارين.

نظر نظرة مطولة إلى ابنه دنهش وقال:

- أما أنت فرافق القائد الأعلى سانوخ. هيا انصرفوا.

وقف عزازيل وحيدا أمام القبة الحامية، ثم رفع رأسه نحو السماء عاليا، ونظر إلى الشمس وهي تميل نحو الغروب. وضع صولجانه على الأرض، ثم رسم نجمة خماسية مقلوبة، ووقف في وسطها، ثم أحاط نفسه بدائرة مرت على الأطراف الخمسة للنجمة، ثم رفع صولجانه وأرسل بريقا نحو عنان السماء وقال:

- أيتها الهامة حان الوقت لكي تتمردى على برقان.

كانت ليليث تتحرك بسرعة في قصر برقان لعلمها اقتراب موعد الكسوف، وفور تلقيها هاتفا من طرف عزازيل توجهت إلى غرفة العرش حيث يجتمع الملك ساجي برقان مع القائد طارش وباقي قواد الجيوش وزعماء عشائر أرض صوعن.

وقفت أمام باب الغرفة فقال أحد الحراس:

- عفوا سيدتي لا يمكنك الدخول.

ردت باستغراب:

- ومن يمنعني!

- إنها أوامر الملك ساجي برقان.

- آها، وهل قال ألا أدخل أنا بالخصوص؟

- لا سيدتي، ولكن قال ألا يدخل أحد بصفة نهائية.

قطبت حاجبيها، وقالت:

- حسنا أيها الحارس أخبره أنني هنا.

- لا سيدتي يمنع علي الدخول أيضا.

استشاطت غاضبة وقالت:

- سأحرص على اقتلاع لسانك أيها الغبي.

توجهت بعيدا عن باب الغرفة، فقد كانت تشعر بالتوتر الشديد وقالت

في نفسها "لا وقت لدي، فالكسوف قد اقترب ويجب أن أنفذ الخطة".

عادت ليليث بسرعة نحو باب غرفة العرش، فحاول الحراس منعها لكنها دفعتهم بيدها دفعة واحدة، فأسقطتهم جميعا، ثم فتحت الباب على مصراعيه.

تفاجأ ساجي برقان ومن معه من الجنود برد فعل ليليث فقال:

- ما بك يا ليليث؟

قالت وهي تتوجه بسرعة نحو كرسي العرش:

- كيف تأمر الحراس بمنعي من الدخول؟

نهض ساجي برقان من مكانه:

- أنا أسف عزيزتي لا بد أن هناك سوء فهم كبير.

قبلها على خذها وأردف:

- كيف لي أن أمنع هذا الجمال من دخول عرشي.

ضحكت ليليث ثم أكمل برقان:

- لحظة حبيبتي، فلقد انتهينا من الاجتماع.

توجه إلى مجلس الاجتماع وقال:

- أشكركم يا ذوي الرفعة أرجو أن تكون الخطة واضحة.

هتف الجميع "نعم سيدي، فنحن جميعا على أهبة الاستعداد" ثم

نهضوا من مجلسهم وغادروا الغرفة وأثناء انصرافهم قال برقان:

- أيها القائد الأعلى طارش كما أوصيتك لا أريد أن يظل أحدا في

مملكتي غير مسلح، وأريد أن يختبئ الباقي في السرداب حتى ينتهي

الكسوف.

رد طارش بعد أن نظر في عيني ليليث:

- نعم سيدي.

انصرف الجميع من قاعة العرش، فقالت ليليث بعد أن ضمت ساجي

برقان:

- حبيبي ومولاي هيا بنا نستحم قليلا فلقد أعددت حماما بخاريا

رائعا.

مسك برقان يدها وقال:

- حبيبتي يجب أن أكون على أهبة الاستعداد، أنت تعلمين أن الكسوف قد أوشك وستكون القبة الحامية ضعيفة لذا يجب أن يكون الجيش على أتم الاستعداد.

- وفي أي سرداب خبأت الساكنة.

- تعلمين أنني لا أحب أن يؤدي أحد من شعبي، لقد أمرت طارش أن يجمع كل من لا يحمل سلاحا خاصة الجنيات الحوامل والأطفال الصغار في السرداب الشرقي تحت المعبد قرب الجرف. قبلته ليليث وقالت:

- كم أنت طيب أيها الملك الشهم، وهل مدرسة الحكمة لازالت هنا في صوعن.

- نعم، لا زالوا هنا ولقد أنزلوا سلالهم المتحركة.

- ألا تريد حماما بخاريا خفيفا تستعيد به عزمك ونشاطك قبل الكسوف فلقد أعددت لك مفاجأة عظيمة.

نظر برقان في عيني ليليث وقال:

- حسنا حبيبتي، ولكن يجب أن ننتهي قبل الكسوف، فأنا أستحق دلعا خاصا. هيا بنا.

مسكت ليليث بيده وتوجهت به بسرعة نحو المغسل البخاري، حيث سبق لها أن أعدت حماما بخاريا أحاطته بطلاسم سحرية خاصة.

نزع الملك ساجي برقان رداءه الأحمر ووضع تاجه فوق منضدة رخامية، واستلقت ليليث على صدره، ثم بدأت بمداعبة جسده حتى أحس باسترخاء شديد وهو يستنشق البخار الممزوج بتعاويذ سحرية سرية من صنع عزازيل بنفسه.

على مقربة من القصر الملكي كانت مدرسة الحكمة تستعد للمغادرة، فوقفت أم تعامة في المنصة الشرفية إلى جانب الحكيمين كرير وفقطش وقالت:

- إن كل شيء جاهز لقد حان وقت المغادرة.
رد عليها الحكيم كيرير:
- نعم فلقد أصبحت لنا الطاقة الكافية لمغادرة أرض صوعن دون أن ينتبه إلينا عزازيل.
قال فقطش:
- ليس قبل أن نخبر الملك بركان بمغادرتنا وأن نحذره من أن عزازيل قد حل بالمعسكر، ويستعد للهجوم الكبير مع الكسوف الكامل للشمس.
ردت الحكيمة أم تعامة:
- نعم أوافقك الرأي.
رسم الحكيم فقطش بصولجانه دائرة في السماء وقال:
- أهيه أشر أهيه، أجب أيها الملك بركان. أهيه أشر أهيه، أجب أيها الملك بركان ألواحا الساعة الساعة العجل العجل.
التفت الحكيم فقطش إلى كل من الحكيمة أم تعامة والحكيم كيرير وقال:
- إنه لا يجيب ربما فات الأوان.
قالت الحكيمة أم تعامة:
- ألا يجدر بنا أخلاقيا أن نظل هنا فهم بأمس الحاجة إلينا، وانسحابنا يعني انهيار آخر ممالك الجن؟
نعم، ولكن أنت تعلمين جيدا أن انهيار القبة الحامية مسألة وقت، ولقد صمدت بما فيه الكفاية واليوم ستكون ضعيفة جدا.
تدخل الحكيم كيرير أيضا وقال:
- إن مغادرتنا لا تعني أننا نهرب من المعركة، وإنما نحمي أسرار الحكمة، فلو سقطت أسرارنا في يد عزازيل لعم الظلام كل العالم الأرضي.
أغمضت الحكيمة أم تعامة عينيها وقالت:

- مسكينة أنت يا ليلي، مسكين أنت يا برقان.

فتحتهما ورفعت رأسها إلى السماء وأكملت قائلة:

- هيا بنا نغادر.

طار الحكماء الثلاثة عاليا، وحلقوا فوق الدوائر الطلابية المتراصة،

فرفعوا صولجاناتهم في السماء، ثم أطلقوا حزمة ضوء قوي نحو الأعلى

فقال الحكيم فقطش:

- هيا الآن.

رددوا بصوت واحد:

- إهية أشير إهية أدوناي صباووت إيل شداي.

إنبعث عمود من ضوء أحمر قوي إلى السماء، وتحولت الدوائر

الطلابية إلى كتل ضوئية، ومع ارتفاع وميضها تلاشى الجميع، ثم اختفوا

جميعا في لمح البصر وعم السكون في مدرسة الحكمة التي لم يتبق منها

إلا الجدران الفارغة من كل شيء.

-23-

حبس معسكر الظلام أنفاسه مع اقتراب الكسوف الكامل للشمس، إلى أن بدأ قرصها بالاختفاء تدريجياً لتتحول السماء إلى اللون الأحمر القرمزي، كأنها تؤذن بغروب اليوم قبل نهايته.

وضع عزازيل تاج النيس على رأسه وامتطى الأفعى الضخمة ذات الثمانية رؤوس، واصطف خلفه ثمانية مرده حاملين لرايات سود تتوسط كل راية نجمة خماسية مقلوبة الأضلاع، تيمنا برأس النيس ذي القرنين العالين.

تقدم أربعة غيلان في مقدمة الجيش نحو القبة الحامية، وهم يدقون طبولا ضخمة معلقة على أجسادهم، تتسارع إيقاعاتها كلما اقترب قرص الشمس من الاختفاء في كنف الظلام.

حل الظلام الدامس على أرض صوعن، فأطلق عزازيل صرخة قوية سمعت في كل أرجاء المعسكر، مؤذنا بانطلاق الهجوم الكبير على مملكة برقان، فانبثقت أضواء قوية من النجوم المنقلبة على الرايات السود مشكلة هالات بيضاء في سماء المعسكر، كأنها كرات ضوئية كبيرة تتطاير شراراتها، فرفعت إلى السماء عالياً بإشارة من يد عزازيل، ثم قذف بها مباشرة نحو القبة الحامية التي استطاعت امتصاص القذيفة الضوئية بكل سهولة.

ردد عزازيل تعويذته سرية ورفع يديه عالياً نحو السماء، فانبعثت بينهما شرارة متموجة الألوان، أرسلها نحو القبة الحامية، ثم أتبعها بسبع كرات لهب متطاير، اصطدمت جميعها بالقبة محدثة بها انفجاراً ضخماً ودويا كالرعد المزمجر، حيث ظهرت على القبة تشققات كثيرة، ثم تلاها انفجار ضخم مسبباً إنهارها وسقوطها على رؤوس ساكنة أرض صوعن كحبات الثلج الأبيض.

قال عزازيل للقائد الأعلى سانوخ:

- هيا؛ فلتنطلق المعركة.

رفع سانوخ يده عاليا نحو المردة المحلقين في السماء، معطيا إياهم إشارة الانطلاق حيث عملوا على امطار أرض صوعن بوابل من شهب الطاعون الحارق، مثيرين الفزع في صفوف ساكنة المملكة التي حاولت الاحتماء بارتداء معاطفها الحامية التي تحمل تعويذة الحكيم يوشيا. في نفس الوقت وعبر الزوايا الأربعة للمملكة، انقض الغولم على العمالقة الذين يحملون المشاعل الأربعة المكونة للقبّة الحامية، فأسقطوهم أرضا ومزقوا أجسادهم.

نظر عزازيل إلى ابنه دنهش وقال:

- هيا؛ قد أنت الغيلان وتوجه بهم وسط المملكة، ودمروا كل شيء تصادفونه.

ركب دنهش على ظهر أحد الغيلان وقال:

- هيا نزرع الظلام.

قال عزازيل مرة أخرى للأمير ديباج:

- هل أنت مستعد؟

- نعم سيدي.

- حسنا، انطلق.

قفز ديباج وكتيبة من العفاريت بقوة كبيرة، والتحموا مع المردة في السماء، فطاروا بهم بعيدا لإسقاطهم وسط بلاد صوعن.

كان عزازيل في نشوة كبيرة مع اختفاء قرص الشمس، فالتفت إلى ابنته لاقيس وقال:

- لقد جاء دورك، توجهي مباشرة إلى مدرسة الحكمة، فأنا أريدهم أحياء.

- وهو كذلك.

طارت لاقيس مع كتيبة لها نحو الجهة الشرقية للمملكة، حيث نصبت السلالم المتحركة لمدرسة الحكمة، وعلى مقربة منها كان قصر الملك

ساجي برقان يتعرض لوابل من قذائف شهب الطاعون، فدعا القائد العام طارش كتيبة من المردة للتخليق عاليا لصد هجوم مردة الظلام. كان كل جنود مملكة برقان يرتدون دروعا حامية تقيهم من تعويذات عزازيل، ومن الشهب النارية الممزوجة بالطاعون الأسود، لكن تلك الشهب كانت تفتك بالمباني وبالجزر المعلقة التي بدأت تهوي على رؤوس الجميع.

ظلت عفاريت مملكة برقان تحاول صد توغل جيش الغيلان بقيادة دنهش شمالا، ليسقط خلفهم جيش العفاريت بقيادة ديباج مما أربك صفوفهم خاصة مع غياب قائدهم طيروش.

كان القائد الأعلى طارش يوجه تعليماته لقيادة جيشه بضرورة سد جميع المنافذ المؤدية إلى القصر الملكي، ثم سأل عن ابنه طيروش، فأجابه قائد المردة بأنه قد غادر معسكر العفاريت فور انهيار القبة الحامية دون تحديد وجهته، ثم تساءل عن الملك برقان فأجابه قائد المردة أن الملك برقان لم يخرج من قصره أبدا.

قال القائد الأعلى طارش:

- إذن سأطير بسرعة إلى القصر الملكي لأستطلع أمر الملك البرقان، أما أنت يا قائد المردة، فتول زمام المعركة واحرص على ألا يتم اختراق خطوطنا إلى أن أعود.

حلق القائد الأعلى طارش بسرعة نحو القصر الملكي، الذي وجده قد تعرض إلى وابل من قذائف شهب الطاعون، فتوجه مباشرة إلى قاعة العرش حيث وجدها فارغة تماما، ثم بدأ في البحث في الغرف المجاورة إلى أن سمع صوتا في غرفة المغسل، فحاول فتح بابها لكن دون جدوى. رفع طارش سيفه مرددا تعويذة إبطال السحر، وضرب مقبض الباب ليكتشف أن الملك ساجي برقان ملقى على الأرض وهو عارٍ بدون ملابس، وبالقرب منه زوجته ليليث وهي تخرج من فمها حبالا سحرية

شبيهة بخيوط العنكبوت تلفها بجسم الملك الذي بدا كأنه في غيبوبة تامة.

قطعت ليليث الحبال السحرية من فمها، وقذفت كرة نار بسرعة صوب القائد الأعلى طارش الذي اعترضها بمعطفه الحامي، وليقذفها بدوره بشرارة برق أشلت حركتها وأسقطتها أرضا.
إقترب منها وقال:

- ما دفعك إلى هذا أيتها الخائنة، فلقد كنت معززة مكرمة مع الملك ساجي برقان.

صرخت ليليث صرخة قويا مظهرة أنيابها الحادة، ثم حاولت صنع كرة نار جديدة، إلا أن طارش قذفها بكرة ضوئية سببت لها رعشة قوية وحروقا في مختلف أنحاء جسمها؛ ثم أخرج كرة ضوء ذات لون أخضر وهاج، فقذف بها الملك ساجي برقان ليفك كل قيوده ويخلصه من تأثير السحر.

رفع برقان عينيه نحو القائد الأعلى طارش وقال بصعوبة:

- طارش، تخلص من هذه اللعينة الخائنة.

إقترب طارش من ليليث ورفع سيفه عاليا وقال:

- إنها نهايتك أيت..ها.

فجأة عجز طارش عن مواصلة الكلام، وهو يشاهد فأسا حديديا يخرج من صدره بعد أن اخترق ظهره في غفلة منه.

حاول طارش أن يلتفت بصعوبة إلى الخلف بعينيه الشاخصتين، ليسمع ابنه طيروش يقول:

- إنها نهايتك أنت.

خر طارش جاثيا قرب الملك ساجي برقان الذي قال:

- لا مستحيل كيف يعقل هذا! كلكم خونة.

وقفت ليليث مبتسمة وقالت:

- حبيبي تخلص منه لتصبح ملكا على صوعن.

قال طيروش وهو يضع قدمه اليمنى على كتف أبيه طارش:
- ولتصبحي أنت ملكتي.

سل فأسه من ظهر أبيه، ثم رفع الفأسين معا وضرب بهما في حركة مزدوجة رأسه ففصله عن جسده، ثم حمله وتوجه به نحو ليليث وقال:

- حبيبتي تقبلي هذه الهدية عربونا على حبي لك.
إرتمت ليليث على صدره، وقبلته قبلة خفيفة وقالت:

- حسنا، ساعدني على تكبيل هذا العجوز، قبل أن يسترد قوته بعد انتهاء الكسوف.

قفزت لاقيس نحو السلام المتحركة لمدرسة الحكمة، وتبعها كتيبته المكونة من نخبة من المقاتلين العفاريت والمردة، حيث كانت مهمتها واضحة وهي مداومة المدرسة ومصادرة كل ما فيها من مواد، واعتقال الطلاب أحياء إن أمكن ذلك، وقتل كل من استعصى عليها أمر اعتقاله، فعزازيل يريد أن يضع يده على سر الحكمة حتى يضمن لنفسه الخلود الأبدي والقوة القاهرة لجميع مخلوقات الأرض.

تقدمت لاقيس ببطء داخل مدرسة الحكمة حيث كان الهدوء يخيم على المكان، كانت متوجسة من أي حركة قد ينفذها طلاب المدرسة، لكنها لم تجد سوى مرايا على طول الممرات المتشابكة.
قالت:

- أيها الجنود لا تنظروا إلى المرايا وإلا امتصتكم عندها.
لمحت بعض الطلاب وهم يهرولون نحو إحدى الغرف فقامت بتعقبهم لكنها لم تجد أثرا لهم، ثم ظهرت لها مجموعة أخرى في رواق مقابل لكن كلما اقتربت منهم إلا واختفوا، كان هذا حال كل أفراد كتيبته فكما هم أحدهم إلى اعتقال طالب ما إلا واختفى من بين يديه، فقالت مجددا:
- ما هذا السحر!!!"

بدأ الكسوف بالانحصار لتظهر أشعة الشمس من جديد وهي تسدل
خيوطها على المرايا العاكسة في مدرسة الحكمة، فسمع صوت قوي كأنه
بركان على وشك الانفجار يهتز أسفل البناية.
ركضت لاقيس بسرعة نحو باب المدرسة وهي تصرخ في وجه
كتيبتها:

- هيا، فليانسحب الجميع؛ نحن في خطر شديد.

رد أحد أفراد الكتيبة:

- وطلاب المدرسة؟

أجابت لاقيس بعد أن أطلقت جناحيها عاليا وطارت فوق كتيبتها:

- إنها مجرد صور وهمية تعكسها المرايا السحرية، فلا يوجد أحد
هنا. هيا انسحاب.

-24-

طارت لاقيس ومن معها من المردة نحو باب الخروج، وهم يحاولون الفرار من الأبواب الحديدية التي انبعثت من جدران الممرات بشكل مفاجئ كأنها مصيدة تحاول احتجاز كل من بداخلها. وصلت إلى الباب وقبل خروجها وقع انفجار قوي داخل المدرسة، فاشتعلت النيران وانهارت المدرسة بالكامل قرب قصر الملك ساجي برقان.

ارتمت لاقيس خارج أسوار المدرسة المنهارة لوحدها، ثم التفتت خلفها لتجد كتيبتها قد هلكت كلها، نهضت مسرعة وواصل الطيران في اتجاه قصر الملك برقان القريب إلى أن وصلت إلى بهو حديقة القصر، فسقطت أرضا متأثرة بجراحها.

شاهدتها ليليث فتوجهت نحوها مسرعة وقالت:

- لاقيس!!

رفعت لاقيس رأسها ببطء وقالت:

- لا شك أنك السيدة ليليث؟!!

أومأت ليليث برأسها:

- نعم.

ردت لاقيس وهي تحاول الوقوف:

- سمعتك تسبقك في كل أرجاء العالم السفلي، أنت سيدة عظيمة

وأبي دائما يحدثني عنك؛ بالمناسبة أنا لاقيس ابنة عزازيل.

- عزازيل ذاك الشقي لم أراه منذ زمن طويل، بالمناسبة أيضا قد لا

تتذكريني لكنك قد تربيت على يدي.

- ومن هذا الفتى الوسيم معك؟

ضحكت ليليث ومسكت ذراع طيروش الصلبة وقالت:

- هذا طيروش، ولكن لا دخل لك به.
- كان القائدان طيش وطوش يحملان الملك برقان ويدخلونه في قفص سحري حتى لا يتمكن من الفرار فقالت لهما ليليث:
- أين أجد القائد الأعلى للهجوم؟ أحتاجه في أمر.
- رد طيش:
- دعيني سيدتي أخلق بعيدا في السماء حتى أحدد مكانه.
- لك ذلك.
- خلق طيش بسرعة في السماء بين الدخان الكثيف، وأعمدة النار المشتعلة في بنايات المملكة، ثم عاد بسرعة وقال:
- إن القائد الأعلى سانوخ ودهنش بن عزازيل على مقربة من هنا، ولقد أخبرتهما بالقدوم فورا قرب قصر برقان، أما الأمير ديباج فوجدته بعيدا بعض الشيء فمعركته لم تنته بعد ضد عفاريت برقان، لكنني هاتفته كي يحضر إلى هنا فور انتهائه، ولقد أخبرتهم جميعا أننا تمكنا من أسر الملك برقان حيا.
- جميل، أحسنت صنعا.
- إنحني طيش على ركبته، ثم استرسلت ليليث قانلة:
- حسنا، خذا هذا العجوز إلى عزازيل.
- كان ساجي برقان يستعيد عافيته بسرعة بعد انتهاء الكسوف ويعالج جسمه من أثر سحر ليليث التي انتبهت للأمر وقذفته بكرات نارية حتى أغمي عليه.
- التحق بساحة القصر الملكي كل من دهنش والقائد الأعلى سانوخ، فأخبرتهما ليليث بأنها مكلفة من طرف عزازيل بوضع خطة لإسقاط مملكة برقان من الداخل، ولقد نجحت مهمتها في أن يبقى ساجي برقان حيا حتى يتم سلب كل طاقته منه، وكذا كل المعلومات السرية التي بداخله.

- التحق أخيرا الأمير ديباج بالساحة، حيث وجد الجميع يحيط بالعربة السحرية التي تضم ملك صوعن ساجي برقان فقال:
- يبدو أنني آخر من التحق.
- سارعت لاقيس إلى معانقته مما أثار غضب دنهش وقالت:
- لا عليك يا حبيبي، فقد كانت مهمتك صعبة، وبفضل السيدة ليليث تمكنا من أسر الملك برقان حيا، وقتل طارش القائد الأعلى لجيوشه.
- إذن، لهذا السبب انتهت المعركة بسرعة.
- قالت ليليث:
- بما أن الجميع هنا فيجب أن تنفذوا مهمة أخيرة.
- قالت لاقيس:
- وما هي هذه المهمة؟
- أرسلوا كتيبة نحو شرق صوعن، فعلى مقربة من جرف الوادي يوجد معبد كبير تحته سرداب يخفي أتباع برقان، سيدلكم عليه القائد طيروش إنهم غير مسلحين لهذا حاولوا أن تمسكهم أحياء حتى يستفيد عزازيل منهم.
- قاطعها القائد الأعلى سانوخ وأشار بسبابته نحوها:
- ومن أنت كي توجهي لنا هذا الكلام!! فأنا هنا من يوزع الأوامر ولا أتلقاها إلا من عزازيل نفسه، هل فهمت!
- أخرج طيروش فأسه وحاول الهجوم على سانوخ قائلا:
- كيف تجرؤ على مخاطبة مولاتي هكذا؟!!!
- مدت ليليث ذراعها واعترضت تقدم طيروش وقالت:
- من أنت؟ ذكرني باسمك.
- نفخ سانوخ صدره عاليا، ومرر لمحة سريعة على الجميع ثم قال:
- أنا سانوخ زعيم قبيلة المرامرة، والقائد الأعلى لجميع جيوش الظلام، والقائد على العفاريت والمردة وعلى من يغوصون في أعماق

البحر وعلى من يطيطرون في أعالي السماء، لا أتلقى الأوامر إلا من سيدي عزازيل، وأنا يده اليمنى وقبضته القوية ورمحه الوهاج. ابتسمت ليليث ابتسامة مأكرة تدل على الاستهتار بالقائد الأعلى سانوخ وقالت:

- حسنا يا سانوخ، سأحرص على قطع رقبتك في أقرب مناسبة. توسع بؤبؤا عيني سانوخ واختفى منهما اللون الأحمر من وقع مفاجأته برد ليليث البارد والمستهزئ ثم قال بعد صمت:
- ماذا!!!

تدخلت لاقيس وقالت:

- نحن آسفون سيدتي، يبدو أن القائد الأعلى لا يعرفك جيدا، لهذا أرجو أن تتفهمي جهله.
قال الأمير ديباج:

- عذرا أيها القائد الأعلى، أظن أنه يجب أن نرسل كتيبة إلى الشرق نحو جرف الوادي، وعموما فإن الحرب قد انتهت ويجب أن نتحرك من هنا.

أوما دنهش برأسه في إشارة لسانوخ على الموافقة، فقال القائد الأعلى سانوخ:

- حسنا يا دنهش قد أنت كتيبة المردة الطيارين، أما أنا فسايطير مباشرة إلى الشرق لملاقاتك هناك.
ردت ليليث:

- سيرافكم طيروش ليحدد لكم المكان، أما أنا سأرافق القاندين طيش وطوش مع برقان لملاقة عزازيل.

حلفت كتيبة المردة عاليا في سماء صوعن، أما العفاريت الذين لا يمكنهم الطيران فقد تكلف بعض المردة بالالتحام بأجسادهم وحملهم عاليا نحو الشرق.

بين الدخان الكثيف، والمباني المنهارة، والجزر المعلقة التي بدأت تتهاوى على الأرض، حلق جيش الظلام إلى أن وصل قرب جرف الوادي، فنزلوا أرضاً ثم اقتربوا ببطء من المعبد.

وقف طيروش قرب باب المعبد، فخطا عشر خطوات إلى يمين الجدار، ثم توقف وأزال الأحرش العالقة، ورفع رأسه عالياً، ثم بدأ بتكسير الحائط حتى ظهر له سرداب سري مظلم. قال:

- عبر هذا السرداب سنجد قاعة سرية يختبئ فيها الجميع، تذكروا نريدكم أحياء، هذا أمر سيدتي ليليث لكن من قاوم فاقتلوه.
رد أعضاء كتيبة المردة:

- نعم سيدي.

- لكن هناك باب خلفي يطل على الجرف المائي لو تمكنوا من الفرار منه فلن نستطيع تعقبهم مجدداً.
قالت لاقيس:

- كيف هذا؟ هل مياه هذا النهر مقدسة حتى لا نتمكن من تعقبهم؟
- لا، إنه جرف الموت، فلقد كان بركان يرمي هناك كل من خالف حكمه فلا يعودون إلى الحياة، لكنني أخشى أن يفروا من الباب الخلفي للمعبد المؤدي إلى الغابة، ففيها من الأنفاق والدهاليز الكثيرة ما يساعدهم على الاختفاء عن أعيننا.

قال الأمير ديباج:

- كيف نتمكن من الوصول إلى هذا الباب الخلفي؟ حتى نعترض طريقهم أثناء الهرب.

- أدخل من باب المعبد، ثم توجه يمينا ستجد ممرا نصف دائري مزينا بتمائيل فضية وذهبية، سينتهي الممر أمام مرآة ضخمة خماسية الأضلاع، في الحقيقة تلك ليست مرآة بل هي باب مؤدية إلى القاعة السرية من الجهة الأخرى، فإذا خرجوا من هناك سيجدون أنفسهم قرب الباب الخلفية للمعبد، وعبرها سيتمكنون من الاختفاء في الأنفاق

والدهاليز وسيضيعون من قبضتنا، أما من سقط منهم في الجرف فسيموت بالتأكيد.

- حسنا سأتوجه أنا والقائد الأعلى سانوخ إلى هناك.
 - كل ما عليك فعله هو تكسير المرأة الخماسية.
- قال دنهش:
- سأذهب معكما.

وأما الأمير ديباج برأسه في إشارة على الموافقة، ثم نظر إلى لاقيس فقالت:

- أنا سأظل هنا قرب هذا الباب لأحرسه.
- قال طيروش:
- هيا بنا.

دخل طيروش نحو السرداب، وتبعته كتيبة المردة والعفاريت، وظلت لاقيس واقفة أمام الباب وهي تشاهد الأمير ديباج والقائد الأعلى سانوخ يدخلان باب المعبد وخلفهما أخوها دنهش يتبعهما ببطء.

ركض ديباج مسرعا في الممر الضيق متجاوزا تماثيل أبو الجن سوميا المصنوعة من الذهب والفضة، رافضا النظر إليها حتى لا تذكره بالماضي الذي كان فيه الأمير ديباج اليد اليمنى له.

تذكر الأمير يوم كان جالسا في حضرة الأب سوميا وهو يخاطبه "تعالى يا ديباج، لقد كنت مقربا إلي، وجعلت منك ذا شأن عظيم، وها أنت الآن زعيم لقبيلة الشماشقة، ووليتك أميرا على كل العفاريت، فإني أوصيك بابني ميظطرون قدم له الحماية والدعم"

قال ديباج في قرارة نفسه "مات سوميا وختت ميظطرون".

قطع تفكيره القائد الأعلى سانوخ وهو يقول:

- أنظر هناك، إنها المرأة التي وصفها لنا طيروش.
- نعم، إنها هي.

انطلق ديباج نحوها مسرعا، وفجأة انبعثت كرة نار قوية ذات شرر وضربت ظهره بقوة حتى سقط على الأرض متألما من شدتها.
التفت بصعوبة، فوجد دنهش يعد كرة نار جديدة فقال ديباج:

- ماذا تفعل؟ هل جننت!!

- حاولت سرقة لاقيس مني، كان عليك أن تنتظر عقابي.

نظر دنهش إلى القائد الأعلى سانوخ الذي ظل متمسرا في مكانه وقال:

- هيا ساعدني في القضاء عليه، هيا.

أرسل دنهش وابلا من القذائف النارية التي لم يستطع ديباج الإفلات منها، وفي محاولة منه الفرار أخرج سانوخ سيفه وعرزه في ظهره، التفت إليه وقال:

- حتى أنت يا سانوخ، تبا لك أيها الخائن.

رد سانوخ وهو يسحب سيفه من ظهره:

- هيا مت أيها اللعين.

شعر ديباج أنه لا سبيل له من مقاومة دنهش وسانوخ معا، وقبل أن تستنزف كل قوته بدأ بترديد تعويذة الاختفاء التي تتطلب قوة كبيرة، كان دنهش يضحك بقوة ويصنع كرة نار أكبر حجما رفعها عاليا ثم قذف بها ديباج وقال:

- مت أيها الحقير.

لكن ديباج اختفى بسرعة عن الوجود، وتحول إلى سحابة دخانية سوداء حلقت في الممر وتوجهت مباشرة نحو الباب الخلفي للمعبد، فكسرتة ثم خرجت إلى الغابة.

ركض سانوخ مسرعا خلف السحابة الدخانية وقبل أن تتلاشى وسط الغابة رفع سيفه السحري ورماه نحوها ليسقط ديباج على الأرض مرتميا على هيئته الأصلية والسيف مغروز في ظهره.

رفع ديباج عينيه ببطء ليجد نفسه مرميا قرب رجلي لاقيس فقال
وهو يمد يده:

- ساعديني يا لاقيس.

تأملت لاقيس جروحه والحروق التي على جسمه، ثم رفعت عينها
نحو الباب الخلفي للمعبد، مشاهدة القائد الأعلى سانوخ وأخاها دنهش
وهما يركضان نحوه فقالت له باشمنزاز:

- أنا لا أحب الضعفاء.

نزع سانوخ سيفه من كتف ديباج، أما دنهش فقد ركله بقوة على
وجهه وقال ضاحكا:

- ما كنت تنتظر هذه النهاية أيها.. الأمير.

ردت لاقيس:

- فلتخلصا منه وبسرعة قبل أن ينكشف أمركما.

تحول ديباج مجددا إلا كتلة دخانية سوداء وحلق عاليا هاربا نحو
السماء، إلا أن دنهش وسانوخ أسرعوا بقصفه بشاررات برق، ليتحول
مجددا على هيئته الأصلية ويسقط في الجرف والنار تشتعل في جسمه.

قالت لاقيس:

- كيف نتأكد أنه مات؟

رد دنهش وهو يقبل أخته بقوة:

- لا أحد ينجو سواء من قذافي السحرية أو من جرف هذا

الوادي.

بادلته العناق وقالت:

- الآن أصبحت بطلا في عيني.

قال القائد الأعلى سانوخ:

- هيا ننسحب إلى الداخل قبل أن ينكشف أمرنا.

-25-

توقفت القافلة بين الأشجار الكثيفة، ونصب الحكيم نموشالخ بمساعدة حارسه مودو قبة حامية وحاجبة لأعين الظلام المتربصة بالسماء.

إنتهى الكسوف، وأوقف الحكيم نموشالخ طلسم التخفي، فخر الحارس مودو على الأرض من شدة التعب. ركضت ليلي نحوه مسرعة ورفعت رأسه قليلا.

قال الحكيم نموشالخ:

- مسكين أنت أيها الحارس لقد أبليت أكثر من جهدك، وأنت لا طاقة لك بهذا الطلسم العظيم.
رد مودو بصوت متقطع:

- سيدي الحكيم، أنا مستعد أن أفني حياتي مقابل نجاح مهمتك. وضعت ليلي يدها على جبينه تمتص تعبه، فقال الحكيم نموشالخ:

- ليلي أنت دائما تفاجئيني بمهارتك.

- هذا بفضل الحكمة أم تعامة، فقد كنت لا أفقه الكثير مما كنتم تدرسونه في مدرسة الحكمة، لكنها بالمقابل علمتني أشياء لا يتم تدريسها إلا للنخبة هناك.

- إذن، هي كانت تعدك لمثل هذه المواقف الحرجة.
قال الحارس مودو:

- أنا ممتن لك أيتها الأميرة.

- لا عليك، استرح قليلا.

انفتحت ليلي نحو الحكيم نموشالخ وقالت:

- إنه غروب غريب؛ السماء أكثر حمرة كأنها تبكي دما.

ظل الحكيم نموشالخ صامتا ورافعا عينيه إلى السماء فقالت ليلي

مجددا:

- ماذا تقول السماء؟ هل من أخبار عن مملكتنا؟
- لا أستطيع الآن، فلقد ضربت حراسة شديدة على مقاعد السماء.
- خرج كل من يراع ويارد من خيمتهما التي نصبها مع باقي الجنود، وتوجها نحو الحكيم نموشالخ فقال يارد:
- متى سننطلق أيها الحكيم؟
- سننطلق مع بداية نزول الليل، وسنصل إلى بلاد سوسة فجرا.
- حل الظلام بسرعة ورفع الجنود خيمتهم وأعدوا قافلتهم للانطلاق، فكانت الأرض تطوى من تحت أقدام الخيول المتجهة بسرعة نحو الشرق.
- إقتربت ليلى بحصانها من يراع وظلت صامتة، فانطلق يارد بحصانه مسرعا نحو مقدمة القافلة حتى يفسح لليلي الحديث بحرية مع يراع الذي كان وجهه شاحبا، تأملت حزنه وقالت:
- إذن، إنه الفراق.
- يعلم إيل أن قلبي يعترض، أنا حزين جدا.
- أنا مؤمنة بهذا الحب العظيم لا يمكن أن تكون نهايته بهذا الشكل. أنا متأكدة بأننا سنلتقي من جديد.
- إذن كيف سنتواصل مجددا؟
- خفضت ليلى رأسها قليلا وقالت:
- دع هذا للمستقبل.
- أشهد إيل أني سأظل أحبك إلى الأبد، ومستعد لخوض كل الحروب من أجلك يا حبيبتي.
- إبتسمت ليلى وقالت:
- وأنا كذلك أشهد إيل بأنني أحبك، وسأظل أحبك إلى الأبد، وسأضحى بحياتي من أجلك يا حبيبي.
- ظلت القافلة تتقدم بسرعة كأنها ريح شرقية مخترفة التلال والغابات إلى أن وصلت إلى هضبة تطل على مدينة سوسة، فتوقفت القافلة.

نظر الحكيم نموشالخ إلى يارد وقال:

- لقد وصلنا.

- نعم إنها سوسة.

كانت مدينة سوسة مبنية على سفح جبل كبير، يحيط بها جدار نصف دائري يربط المدينة بسفحي الجبل، وتتوسطها قلعة كبيرة، وكانت تبدو أقل حجما من مدينة بابل، فسكانها لا يتعدون ألفي شخص جلهم ممن تم ترحيلهم من بابل.

ترجل الجميع عن أحصنتهم فقالت ليلي:

- أهذه سوسة؟

رد يراع:

- نعم إنها بلاد تابعة لبابل يشرف عليها أخ أمي الأمير براثيل.

- تبدو جميلة، لكن بابل أجمل منها.

- لا أرى جمالا إلا وأرى فيه صورتك.

أمسك بيديها وأردف قائلا:

- أنت أجمل ما في الوجود، أنت نور وهاج أضاء قلبي.

ارتمت ليلي في حضنه وبدأت بالبكاء، فضمها إليه بقوة وبدأ بمداعبة

شعرها وقال:

- لدينا عادة في بابل يقوم بها كل حبيبين خشية الفراق، هل أنت

مستعدة لتفعلي ذلك معي؟

أومأت ليلي برأسها موافقة، فأخرج يراع سكيئا صغيرا من جيب

سرواله وجرح كف يده اليمنى وقال:

- كل حبيبين يجرحان يديهما، ثم يضعان يدهما على يد البعض

حتى يختلط الدم بالدم ويصبحان شريكين في كل شيء.

سلم يراع السكين لليلى، فبدأت تنظر إلى يده التي تنزف دما وإلى

السكين وقالت:

- يجب أن تعلم أن دم الجني ليس مثل دم الإنسي.

- ماذا؟

- دمنا كأنه بخار كثيف لدرجة اللزوجة، وقاتم يميل إلى اللون الأسود لكن مع ذلك أنا سعيدة لأن دمنا سيختلط.

جرحت كف يدها اليمنى كذلك ومسكت كف يراع، ثم بدأت بترديد تعويذة بصوت منخفض وهي تنظر في عينيه.

أحس يراع أن دم ليلى يخترق جسمه، فنظر إلى يده ليشاهد دخول دمها في كف يده ودمه في كفها. فجأة أحس بدوار شديد وكأنه سيسقط على الأرض، فارتدى في حضنها إلى أن استرجع وعيه فقالت:

- يراع هل أنت بخير؟

- نعم، ماذا حدث لي؟

- لقد تبادلنا كل ذكرياتنا لقد منحتك حياتي بكل أسرارها، بالمقابل

حصلت على كل ذكرياتك بكل أسرارها.

- أشعر بالسعادة، وكأنني أعرفك منذ الطفولة.

- يا له من قلب صاف طيب، ما أسعدني بك.

قبلت ليلى يراع قبلة طويلة، وظلا متعانقين إلى أن اقترب منهما

الحكيم نموشالخ الذي قال:

- حسنا يا ليلى يجب أن تغادر.

توقفت ليلى عن عناق يراع، ثم مسكت كفه فمررت إصبعها على

الجرح فاخفتي تماما، ثم نظرت إلى الحكيم نموشالخ وقالت:

- هيا بنا نحو أرض صوعن.

- لا سنذهب إلى أرض أخرى، سنذهب إلى تل العمارنة لأن

مدرسة الحكمة قد استقرت هناك بعد مغادرتها لمملكتم.

- ماذا تعني!!! هل سقطت مملكة أبي برقان؟

- لا أستطيع الجزم بذلك؛ ما علينا الآن إلا المغادرة قبل شروق

الشمس.

- حسنا ليكن إيل في عوننا.

توجه نموشالغ نحو شجرتين ورسم بينهما خطوطا طويلة على الأرض برأس صولجانها، فتوهجت النقوش نارا على الأرض مضيئة المكان.

☆ و ع ه |||| # م ||| ☆

قال له يراع:

- ما هذا؟

- إنه طلسم للمغادرة الآمنة والسريعة.

- فليرعاكم إيل.

مسك الحكيم نموشالغ بيدي ليلي والحارس مودو ثم قال:

- إهيه أشر إهيه أدوناي صباؤوت إيل شداي.

ظهرت زوبعة ريح قوية قرب القافلة والتفت بأجسام وفد الجن مما دفع الجميع إلى الابتعاد عنهم، ما عدا يراع الذي ظل واقفا قربهم كأنه يتمنى المغادرة معهم، وفجأة انبعث وميض ضوئي في أجسامهم وبدأوا بالتلاشي حتى اختفوا جميعا.

قال يارد:

- أخي، لا تترك أرجوك.

لملم يراع دموعه بسرعة وقال:

- هيا بنا يا أخي إلى بلاد سوسة.

-26-

دخل عزازيل إلى قصر برقان منتشيا بالفوز العظيم، وسقوط آخر ممالك الجن التي قاومتها، فاصطف جنود الظلام على جنبات الممر المؤدي إلى قاعة العرش، وخلفه قواد الجيوش وزعماء قبائل الجن المبايعة له.

وقف أمام باب القاعة الكبرى للعرش ثم قال:

- لبيب الجميع واقفين هنا، أريد فقط دنهش ولاقيس وسانوخ معي.

أشار إليهم عزازيل بيده، فتبعوه ركضا إلى الداخل، ووقفت ليليث مع باقي الجنود أمام باب القاعة الذي أقفل بطلمس سحري حاجبا الحوار الذي يجري داخل القاعة.

توجه عزازيل نحو الشرفة وقال:

- إنه منظر جميل، كم كنت أتمنى أن أرى أرض صوعن وهي محترقة ومنهارة هكذا.

توجه إلى المرأة الضخمة المعلقة وأخرج سيفه البراق، فضربها ضربة واحدة لتتهار، ثم توجه إلى كرسي العرش فجلس عليه وقال:

- هل تظنون أنني لا أعلم ما اقترفت أيديكم!!

ظل الجميع صامتا فاسترسل:

- ماذا لو علمت عفاريت الظلام بأنكم من قتلتم ديباج!!؟ سيتمرّدون علي وكذلك قبيلة الشماشقة فهو زعيمها وهم يكونون له الولاء أكثر مني.

رد سانوخ:

- أنا أسف يا مولاي لكن دنهش..

قاطعته عزازيل:

- نعم أعلم أن دنهش هو الذي أغواك، وأخيرا أصبح هذا الفتى قادرا على فعل شيء مفيد.
- رفع دنهش رأسه فقال عزازيل مرة أخرى:
- لا أريد لأي كان أن يعلم بهذا الأمر، وإلا تمرد علينا الكثيرون، هل فهمتم؟!!!
- أوما الجميع برؤوسهم وقالوا:
- نعم.
- صرخ عزازيل بصوت عال:
- أيها الحراس افتحوا الأبواب، وليدخل الجميع.
- غصت قاعة العرش بجنود الظلام من قواد المعارك، وممثلي قبائل الجن وفصائلهم، نهض عزازيل عن كرسي العرش، واقترب من ليليث وأمسك يدها ثم تقدم بها نحو كرسي العرش وقال:
- اجلسي بجانبني.
- ابتسمت ليليث، وجلست بالقرب منه فقال:
- أيها السادة أريد أن أعرفكم بالأميرة ليليث فمن لم يكن يعرفها، فالأكيد قد وصله صيتها فهي من كانت لها الجرأة في مواجهة الأتوناكي النازلين من السماء، وبسبب هذا فقد خسرت كل أبنائها وأصيبت بلعنة العقم.
- ليليث كان لها الفضل في قتل الحكيم يوشيا وهو أحد الحكماء العشرة ومستشار برقان، مما تسبب في رعب كبير داخل صوعن، وكان لها الفضل في قتل قائد جيوش برقان المسمى طارش، وبالتالي تفكك جيشهم وفقدانه القدرة على المواجهة، وها هو الملك برقان بين أيدينا حيا بفضل ليليث.
- يا معشر الظلام إن مملكة برقان سقطت بفضل هذه السيدة.
- رفع عزازيل يدها وصرخ عاليا:
- هيا رحبوا بليليث أميرة وسيدة عليكم جميعا.

وقفت ليليث، فبدأ الجميع يهتف بحياتها، ثم أشار إليهم عزازيل بالسكوت، فسكت الجميع وأردف قائلاً:

- أدخلوا لي برقان.

أدخل جنود الظلام قفصاً نارياً بداخله الملك برقان، أوماً إليه عزازيل فكسره، ثم أخرج من يده اليمنى حبلاً طويلاً لفه على عنقه وسحبه نحوه ثم قال:

- أخيراً ها نحن وجها لوجه.

- لقد سبق أن كنا وجها لوجه، وكنت تتوسلني بأن أعفو عنك.

رفع عزازيل يده، وصفع برقان بقوة ورد:

- باختصار شديد سلمني روحك، وسأضمن لك أن تموت بدون عذاب.

- أنت تعرف جوابي أيها اللقيط، هيا افعلها أيها الجبان.

وضع عزازيل كفه على جبين الملك برقان وتلا تعويذته الخاصة بجذب الطاقة حتى ظهرت على جسمه شرارة ضوء حمراء امتصها عزازيل بكل نشوة وسط صراخ الملك الذي استسلم في الأخير وتحول جسده إلى كومة رماد تبعثرت على الأرض بسرعة.

إقترب عزازيل من ليليث وقال:

- يا له من شعور رائع، كلما امتصت روح أحدهم إلا وازددت

قوة، ولملوك الجن قوة لا تضاهيها قوة أحد.

- نعم يا مولاي، ها نحن قد انتهينا من ممالك الجن، ولقد جاء

الدور على بني الإنس، وإن فيهم طاقة ستزيد من قوتك يا مولاي.

- لقد أعددت خطة لهم، لكن ما يهمني هو ألا يصلوا إلى سر

شجرة الحياة قبلي.

- نعم يا سيدي، لقد سمعت الحكيم فقطش يقول بأنهم متمكنون من

أسرار العناصر الأربعة: النار، والهواء، والتراب، والماء، لكنهم

عاجزون عن الوصول إلى العنصر الخامس، وهو الأثير المؤدي إلى بعث زهرة الحياة.

- إن زهرة الحياة هي مفتاح شجرة الحياة، والطريق نحو الخلود، لو وصلنا إلى شجرة الخلد وأكلنا من ثمرها أنا وأنت سنصير خالدين وسنتحرر من كل اللعنات.

تذكر عزازيل يوم كان خادما في معبد إيل، حين أخبره الأب سوميا أنه ينوي تأسيس مجلس للحكماء من أجل حفظ وصاياه ونقل تعليماته حتى يظهر المستنير المكلف بخلق توازن الأرض وحماية عناصرها، ثم تحول من بعدها المجلس إلى مدرسة للحكمة تستقطب نخبة بني الجن لتعليمهم وصايا سوميا، كان هذا قبل ظهور بني الإنس بألفي عام؛ وتساءل في قرارة نفسه "هل يمكن أن يكون المستنير من بني الإنس؟" نهض عزازيل عن عرشه وقال:

- معشر الجن يوسفني ما حدث للأمير ديباج، لقد مات بشجاعة وهو يدافع عن جند الظلام، وها نحن قد انتقمنا له بقتلنا الملك بركان، وإنها لمناسبة أن أمنح القائد دنهش الصلاحيات التي كان يتمتع بها الأمير ديباج كما أعينه أميرا على كل عفاريت.

هتف الجميع بحياة القائد دنهش، ثم توجه عزازيل نحو القائد الأعلى سانوخ وقال:

- أيها القائد الأعلى سانوخ أدخل لي كل الأسرى الذين أسرتهم ووقت ليليث وقالت:

- سيدي عزازيل لدي طلب صغير.

- أطلبني ما شئت أيتها الأميرة.

- أريد أن أذبح كل أطفال مملكة بركان وأن أشرب من دمهم.

- بكل سرور.

مسكت ليليث يد طيروش، وتقدمت به نحو عزازيل وقالت:

- مولاي عزازيل أقدم لك هذا العفريت البطل الذي يعود له الفضل في سقوط أرض صوعن، وتحقيق هذا النصر العظيم.

- هيا أسجد تحت قدمي لأباركك.

جثا طيروش على ركبتيه، ثم وضع رأسه على الأرض، فابتسم عزازيل وظهرت على وجهه نشوة كبيرة، فأفضل اللحظات عنده هي حين تخر الكائنات تحت قدميه خوفاً. رفع سيفه البراق الضخم المتوهج بالنار الحمئة ووضعه على كتفه، فختم عليه ختم الظلام الشبيه برأس التيس.

قال عزازيل مرة أخرى:

- انهض يا طيروش من الآن أعينك حاكما على أرض صوعن، وكل من عليها من سكان الجن.

في الساحة الكبيرة قرب القصر، كان جنود الظلام يهينون الأسرى الذين تم القبض عليهم، فتم توزيعهم على مجموعات، وضع المردة في المقدمة والعمارة في الخلف، وبينهما الأسرى الذين كانوا متحصنين تحت المعبد الشرقي، أما أطفال الجن فقد وضعوا لوحدهم في ساحة أخرى قريبة من الساحة الأولى لا يفصل بينهما سوى سور ضخم وبعض أشجار التوت البري.

نزل عزازيل ومن معه من القصر على وقع دقات الطبول ونفخ المزامير ابتهاجا بانتصار الظلام، فتوجهوا إلى الساحة الخلفية، حيث أطفال أرض صوعن مقيدون من أيديهم وأرجلهم، فنزع عزازيل رداءه الأسود المخطط بالأحمر ووضعه على كتف ليليث وقال:

- هذه هديتي لك.

مسكت ليليث خنجرا ذهبيا صغير الحجم وتوجهت نحو الأطفال المقيدون، وبدأت تذبحهم الواحد تلو الآخر، وتفصل رؤوسهم عن أجسادهم، ووسط ارتفاع دقات الطبول بدأت ليليث تبكي وتصرخ بكل

قوتها، وتلطخ جسدها بدماء الأطفال ذات اللون الأحمر القاتم المائل للسواد.

كانت ليليث وهي تجز رؤوس الأطفال تتذكر كيف أقدم الأتوناكي على قتل كل أطفالها المنة أمام أعينها، وكيف أصابوها بلعنة العقم فلا يكون لها نسل جديد، كانت كلما غاصت في ذكرياتها كلما اشتد صراخها وعويلها، ففي لحظات تبكي وفي لحظات أخرى تطلق ضحكات طويلة، حتى قضت على جميع أطفال صوعن، ثم طلبت من أحد الحراس أن يملأ الدماء السائلة في قوارير لتشربها من وقت لآخر.

توجه عزازيل ومن معه إلى الجهة الأخرى، حيث كان فيها كل من ظل على قيد الحياة على أرض صوعن وهم بالأغلال التي تربط أجسامهم بأيديهم وأعناقهم.

قال عزازيل:

- يا سكان صوعن يا من كنتم تحت إمرة برقان، إن برقان قد مات وانتهى عصره، فالיום أنتم أمام عصر جديد، فإما أن تسجدوا لي وتمنحوني روحكم بالمقابل أضمن لكم العيش الطويل، أو أن أسحق جماجمكم وأمنحكم الموت السريع؛ فماذا تقرررون؟

إنحنى مرده الجن بسرعة مقدمين الولاء للظلام، ثم تبعهم العفاريت وباقي أصناف الجن، فضحك عزازيل بقوة وأمسك سيفه وبدأ يختم طابع الظلام على أجسادهم، وحين انتهى قال:

- لقد وليت عليكم القائد طيروش أميرا، فكل من عصى أمره فمصيره الهلاك.

-27-

استقبل الأمير برائيل قافلة بابل بضرب الطبول فرحا بقدم ابني أخته وكذا بقدم السلاح والطعام، فالموسم الفلاحي كان ضعيفا وأكياس الطعام القادمة من بابل قد تساعد على فك الضيق التي تعيشه بلاد سوسة، فقد ضمت القافلة أكياسا من الشعير والقمح والتمر، وبراميل خشبية من الزيوت، وبعضا من أكياس الأعشاب التي تستعمل في العلاج الطبي.

إخترقت القافلة الباب الرئيسي لجدار المدينة، معرجة يمينا بين الأكواخ المبنية من القش والخشب المهترئ، حيث تجمع عدد من ساكنة سوسة بثيابهم المتسخة وأوجههم الشاحبة على جنبي الطريق وهم يلوحون بأيديهم فرحا بما وصلهم من غذاء.

أفرغ الجنود حمولة القافلة في إسطلب كبير، وتوجه كل من يارد ويراع رفقة الوفد المستقبل لهم نحو باب القلعة، حيث كان هناك كل من الأمير برائيل وابنه يانيل وابنته فايا في استقبالهم، فتبادلوا العناق الحار، ثم قال برائيل:

- مرحبا، مرحبا بابني أختي يارد ويراع لقد كبرتما.
رد يارد:

- لقد اشتقنا إليك يا خال.
عانقت فايا يراع وقالت:

- لقد اشتقت إليك يا يراع.
رد يراع بعد أن احمرت وجنتاه:

- وأنا كذلك.

دخل الجميع بهو القلعة المزينة جدرانها بالحيوانات المحنطة، والنقوش الطينية المحتوية على بطولات الأمير براثيل في المنطقة.

كانت القلعة مخروطية الشكل تضم عددا من الطبقات والأخاديد الصغيرة التي تمر عبرها مياه تسقي مشاتل خضراء تقع داخل القلعة.

قال يارد:

- هذا جميل جدا، طبيعة خلابة داخل القلعة.

- أنا أحب الطبيعة والمياه العذبة ولا أستطيع الخروج من هذه القلعة، لذلك ابتدعت هذه الطريقة. دعوني أقودكم في جولة لتتعرفوا على ما حدث بعد آخر زيارة لكما.

قال يراع:

- لقد تغير المكان كثيرا.

ضحك براثيل وقال:

- آخر مرة زرنا فيها كنت لا تزال صغيرا، أكيد تغيرت أمور كثيرة هنا.

وضع يده خلف ظهره وتقدم في أرجاء القلعة، حيث ظل طول الوقت يتحدث عن انجازاته وبطولاته، وكيف استطاع أن يضبط كل شخص أرسلته بابل إليه. كان خلفه كل من يارد وابنه يانيل منتبهان ومتجاوبان جدا مع حديثه، وخلفهما كان ليراع وفايا حديث آخر، فلقد كانت فايا معجبة كثيرا بيراغ في آخر زيارة له قبل سنين إلى سوسة رفقة والده مهلائيل.

قالت فايا:

- إنها ذكريات جميلة جمعت بيننا، وكأنها حدثت البارحة.
 - نعم، لكنها سنين مضت كنا فيها صغارا وطائشين.
 كان يراع يحاول تجنب الحديث عن أي شكل من أشكال الإعجاب
 الذي كان يجمعهما سابقا، بالرغم من أن فايا أصبحت أكثر جمالا وطولا،
 إلا أن يراع كان يحاول تجنب النظر إلى وجهها.

وصل الجميع إلى القاعة الكبرى الموجودة في الطابق الأخير للقلعة،
 فجلس الجميع على أرائك جلدية مصنوعة من خشب الصنوبر، وبعد
 حديث طويل قدم فيه يارد الوضع في بابل والحروب التي تجمع بين
 فصائل بني الجن، والتهديد الذي يشكله عزازيل لهم، قال في الأخير:

- إسمح لي أيها الأمير برائيل أن أقدم لك هذا اللوح الطيني الذي
 أوصى والذي مهلائيل بأن أقدمه لك شخصيا وألا يطلع عليه أحد حتى
 يصل إليك.

فتح يارد صندوقا خشبيا صغيرا، وأخرج منه لوحا طينيا يحتوي على
 كتابة تصويرية، فسلمه إلى الأمير برائيل الذي أزال عنه ثوبا أحمر كان
 يلفه وبدأ يقرأ ما فيه، فجأة رسمت على وجهه ابتسامة عريضة وقال:

- هذا خبر سار، يسعدني ذلك.
 قال الأمير يائيل:

- ماذا يوجد في اللوح، أخبرنا فإننا متشوقون لذلك؟
 - يطلب الملك مهلائيل الذي هو زوج أختي دينا سمعان أن أزوج
 ابنتي فايا بابنه يراع وأن يظل هنا تحت رعايتي.
 أحس يراع بصدمة كبيرة قلبت مشاعره، وتسببت له في ضيق
 التنفس، فبدأت ركبته بالاهتزاز، وبالرغم من جلوسه على الأريكة إلا
 أنه شعر بدوار خفيف كاد أن يسقطه، فتساعل في نفسه كيف فعل أبوه
 مهلائيل معه هذا الأمر دون مشورته. قال بصوت خافت:

- هل يريد التخلص مني!!

شعرت فايا بفرحة عارمة وهي تتذكر الأيام الخوالي التي أمضتها مع يراع أثناء أخر زيارة له إلى بلاد سوسة، تذكرت كذلك أن أمها اتفقت مع أم يراع على تزويجهما في أقرب مناسبة، طأطأت رأسها ومررت يدها على شعرها البرتقالي المجعد، وقالت في قرارة نفسها "لابد أن عمتي دينا قد أخبرت الملك مهلائيل بذلك"

قال يانيل:

- مبروك أيها البطل.

رفع يراع رأسه واستجمع شجاعته، رغم الفلق والخشية اللذان انتاباه، وبالرغم من علمه بأن مرسوم الملك لا يناقش ويجب أن يطبق بحذافيره، إلا أنه استجمع شجاعته وصاح بكل جرأة:

- لا.

توجه الجميع بنظراتهم صوب يراع، وفي صمت مطبق صرخ الأمير برائيل:

- ماذا!!!

سكت هنيهة وأمسك مقبض سيفه، وقال مسترسلا:

- ماذا تقصد بلا؟

تدخل يارد بسرعة وقال:

- لا، لابد أن هناك خطأ ما.

- كيف ذلك؟

حك يارد أنفه، وفي ارتباك رد:

- صراحة خالي العزيز، لقد طلبت من والدي أن يزوجني ابنتك فايا فهي تعجبني، ولا بد أن كاتب اللوح قد أخطأ بيئي وبين يراع. تنفس يراع بعمق ونظر إلى فايا التي نزل عليها الحزن، فبادلته بعض النظرات ثم نهضت عن أريكتها وذهبت تركز مسرعة نحو الباب مغادرة القاعة.

ضحك الأمير برائيل وقال:

- الفتيات هكذا يغلب عليهن الخجل. نهض عن أريكته وتوجه صوب يارد الذي وقف بدوره، فربت على كتفه وأردف قائلاً:

- إذا كان خطأ في كتابة اللوح فأنا موافق. أمسك برائيل كلا من يراع ويارد من يديهما وقال لهما:

- أظن أنكما جائعان بعد هذه الرحلة الشاقة؛ هيا بنا نأكل، ثم سيذهب بكما الحراس إلى غرفتكما لترتاحا قليلاً. توجه الجميع إلى غرفة المعيشة، حيث نصبت طاولة مستطيلة مليئة بكل أنواع الطعام والمشروبات

رحب الجميع بيارد ويراع ثم جلسوا على المائدة، فأمر برائيل بعض النساء اللواتي كنا واقفات بعزف المزامير.

جلس يراع بالقرب من يارد وقال:

- أخي أنا ممتن لك، لقد أنقذتني من ورطة كبيرة.
- إلى متى سأظل أنقذك يا يراع.
طأطأ يراع برأسه وصمت، فأردف يارد مرة أخرى:

- لا عليك سأخبر أبي أن الكاتب أخطأ في اللوح وكتب اسمي عوض اسمك.
- أنا مدين لك بحياتي.
- وهل حبك لليلي يساوي حياتك كلها؟
- ابتسم يراع إبتسامة صغيرة، وأغمض عينيه وقال:
- نعم بحياتي وأكثر، تصور يا أخي أنني كلما أغمضت عيني إلا ورأيتهما.
- إنه حب عظيم نشأ أمام عيني، ولأني أحبك كذلك ضحيت من أجلك.
- ارتمى يراع في حضن أخيه الأكبر، فبادله يارد بالعناق، ثم قال:
- يجب أن أغادر هذه الليلة.
- أوقف يارد عناقه لأخيه، ومسك كتفه وقال:
- ماذا!! هل جننت؟
- أنت تعلم أنني مجنون.
- لكن، ليس لهذا الحد.
- ظل يراع صامتا وبدأ يدقق نظراته في أعين أخيه يارد، فاسترسل يارد قائلا:
- وإلى أين تنوي المغادرة؟
- إلى مدرسة الحكمة حيث توجد ليلي.
- ضحك يارد بقوة ورد:
- عزازيل بكل قوته لا يستطيع معرفة موقع مدرسة الحكمة.
- لدي خطة.
- ضحك يارد مجددا:

- أنت واثق من نفسك يا أخي.
أوما يراغ برأسه:

- نعم.

قطب يارد حاجبيه، وقال بصوت حازم:

- لا تتهور أخي.

- مجنون نعم، ولكني لم أعد متهورا، فمنذ أن قضيت تلك الأيام في الزنزانة وحيدا راجعت حسابات كثيرة في حياتي.

- لا أعرف ما يدور في عقلك من خطط، لكن ستحتاج حصانا وبعض الأطعمة لسفرك.

- لا لا، أنا لا أحتاج لشيء.

- صدقا أنت غريب الأطوار، لكن إذا فشلت خطتك ارجع إلى هنا، لكي ندبر خطة نرجع بها معا إلى بابل.

انتهت وجبة الغذاء فتوجه يراغ إلى غرفة الاستراحة، فخلع حذاءه الجلدي وارتمى فوق السرير.

** ** *

ركض يراغ مسرعا، وتسلق ربوة صغيرة، ثم قفز من فوقها على وجه السرعة، وأكمل ركضه بتعب شديد في أرض قاحلة مستوية لا نبات فيها سوى بعض الأحراش الصغيرة المتناثرة وسط تشققات كبيرة تبطن من حركته، ومع هبوب ريح ساخنة كأنها منبعثة من لهيب النار، لمح جدارا بعيدا مصنوعا من طوب أحمر تعرضت بعض أجزائه للانهييار، تتوسطه باب ضخمة محاطة بلهيب من نار، وعلى مقربة منها يوجد شخص ضخم مجنح له أربعة وجوه، يمسك سيفا متقلبا يشع منه لهب في جميع الاتجاهات.

حاول يراغ الركض نحوه لكن قواه كانت على وشك الانهييار، وفجأة اخترق سهم أبيض رجله اليمنى، فخر على الأرض، ورغم كل محاولات

الوقوف فإنه لم يستطع الانتصاب؛ كان الظلام يقترب منه أكثر فأكثر كأنه سحابة سوداء يتبعها صوت شبيه بطنين النحل، يلتف به من كل جانب. لمح يراع وحوشا سوداء ذات أنياب كبيرة تحيط به؛ فافتربت منه سيده عجوز ذات شعر أبيض، ورفعت صولجانها وصعقته بشرارة نار أفقدته كل قواه.

بسرعة تدخل الرجل الضخم ذو الأربعة أوجه، وضرب السيدة العجوز ضربة واحدة أسقطتها أرضا، ثم رفع سيفه وضرب وحوش الظلام، ففقى عليها جميعا.

رفع يراع رأسه بصعوبة نحو الرجل الضخم وقال:

- من أنت؟

- أنا الكروبيم⁴⁰، وأنت تحت حمايتي.

استفاق يراع مفزوعا من نومه، والعرق يتصبب من جبينه، فجلس على جنب السرير وقال:

- ما هذا الكابوس الذي يراودني؟

توجه نحو نافذة صغيرة في الغرفة، وأمال بعض الستائر وقال:

- إنه الغروب يجب أن أنطلق.

ارتدى حذاءه الجلدي الأسود، ثم غادر الغرفة مسرعا، فنزل من السلالم اللولبية، حتى وصل إلى باب القلعة، حيث وجد كلا من برائيل ويارد يتبادلان أطراف الحديث.

نظر إليه برائيل وقال:

- لا بد أنك كنت متعبا، فلقد نمت طيلة المساء.

- نعم أيها الخال اللطيف.

- لا عليك، لقد كان سفر شاق.

- خالي العزيز؛ يؤسفني أن أبلغك أنني سأغادر سوسة نحو بابل.

- لكن كيف؟ لقد وصلت من يومك.

⁴⁰Cherubim كلمة عبرية معناها ملئ المعرفة، ويقصد بهم الملائكة.

وضع يراع يده خلف رأسه وقال:

- صراحة هناك بعض الأصدقاء ستمر قافلتهم بالقرب من هنا، سأذهب معهم في رحلة صيد، ثم بعدها سنتوجه نحو بابل.

- أنا أعرف أنك مولع بخرجات الصيد، ولا أخشى عليك من المخاطر، لكن أنصحك بأن تنتبه إلى نفسك.

أوما يراع برأسه وقال:

- كن مطمئنا يا خالي.

إستدار يراع نحو يارد وتبادلا العناق فقال برائيل مرة أخرى:

- يا بني سأرسل معك بعض الحراس حتى تبلغ هدفك.

- لا تقلق سأندبر حالي، أعدك أنني في حالة لم ألتق بالقافلة سأعود إلى هنا.

أوما الأمير برائيل برأسه وقال:

- حفظك إيل.

إنطلق يراع مسرعا خارج القلعة، عائدا إلى الغابة نحو المكان الذي افتترقت القافلة فيه مع وفد الجن.

-28-

اجتمع جنود الظلام في قصر عزازيل احتفالاً بالنصر العظيم الذي تحقق على ممالك الجن، وبسقوط آخر مملكة مقاومة لجيش الظلام.

كان وادي هنوم مزينا برايات سود تحمل نقوشا لنجوم مقلوبة، وطلاسم للسحر الأسود الفتاك، وكانت البوابة المؤدية إلى العالم السفلي تعج بالوحوش الصغيرة ذات القدم الواحدة تحمل طراندها وتدخل بها نحو قصر عزازيل.

اجتمع الجميع في ساحة كبيرة مترامية الأطراف ذات أرضية لامعة مكونة من الكرانيت وصخور بازلتية متنوعة، تضم نقوشا عجيبة، وخرائط مبهمة، وطلاسم منشورة لا يعرف معناه سوى عزازيل.

ظل جيش الظلام يحتفل ويتراقص على أصوات الأهازيج القوية المرفوقة بالمزامير والطبول، وهم يتمايلون حول موائد اللحم المشوي والخمور المصنوعة من الدماء البشرية المغدورة.

مسك ماردا أسود كأسا مملوءة بالدماء البشرية وقال بصوت صاخب:

- نخب فوزنا العظيم.

قال ماردا آخر بعد أن رفع كأسه عاليا:

- قادمون إليكم يا بشر وسندبحكم بالسكاكين الحافية لنشرب دماءكم

اللذيذة.

أطل عزازيل من شرفته، ووقفت بجانبه ليليث وهي ترتدي ثوبا متموج الألوان بالأحمر والأسود مع قليل من الأصفر، فأمسك عزازيل يدها وقال:

- يا معشر الجن....

توقفت الأهازيج الموسيقية، ووقف الجميع شاخصين نحو الشرفة العالية فأردف عزازيل:

- هذه ليليث أعينها منذ اليوم سيدة للظلام فأطيعوها واسجدوا لها، فأوامرها أوامري.
- سجد الجميع لها ثم قال:
- إنهضوا الآن.
- نهض الجميع، فرفع عزازيل يده مجددا:
- أن لكم أن تفرحوا وترقصوا، إشربوا الدم والخمر احتفالا بتوحيد كل الجن تحت سيادتي.
- انطلقت الموسيقى الصاخبة من جديد، وبدأ الجميع بالرقص والغناء، فاخنقى عزازيل من الشرفة وسحب يد ليليث معه نحو سرير عائم على ماء يتدفق من كل جوانبه كأنه شلال نازل نحو اللاشيء، استلقيا على السرير، فنصب عزازيل جناحيه الأسودين عاليا، وانقض على ليليث التي انكشمت بين مخالبه الطويلة ثم بدأ بتقبيلها بعنف وهي مستسلمة له في خشوع.
- جلس وبسط جناحيه ثم استلقى على ظهره قرب ليليث وقال:
- لن يهدأ لي بال حتى أقضي على كل أعدائي.
- إقتربت منه وقبلت عنقه وقالت:
- سيدي لقد قضيت على كل ممالك الجن، وأغلبهم الآن أصبح تحت إمرتك، فلم يبق إلا فلول هاربة، ومدرسة للحكمة مشردة. سنبحث عنهم ونقضي عليهم بالتأكيد.
- لم أكن قلقا من محاربة الجن، بل كانت حربي معهم مجرد تسلية.
- إذن، ماذا يقلق سيدي؟
- إنهم أبناء آدم. إنهم يتكاثرون بسرعة، وقريبا ستصبح الأرض ملكهم، وأنا أريد أن أقضي عليهم ما داموا في بداية نشأتهم.
- فلنضربهم بقوة وبكل سحرنا وبكل جندنا حتى ندمرهم تدميرا وننتهي من أمرهم.

عض عزازيل على شفته حتى ظهرت أنيابه الأمامية وقال في حسرة:
- ليس الأمر بالسهولة التي تعتقدين. يصعب علي مواجهتهم
مباشرة، وأخشى أن تقع زهرة الحياة في أيديهم ويسيطرون على
الطبيعة.

كان عزازيل يخشى أن يخبر ليليث بخوفه من مواجهة بني الإنس
مباشرة، فلقد كان يخاف أباهم آدم حينما كان فقط كومة تراب، ففكرة أن
إيل قد خلق مخلوقا آخر ومكنه من أسماء الحكمة كلها، كانت ترعبه
وتقض مضجعه، فقد كان يعلم أنه غير خالد في ملكوت إيل، لذلك عمل
على استغلال غياب آدم، فذهب عند زوجته حواء ليخبرها أنهما غير
خالدين، وعاجلا أم أجلا سينتهيان وسيصبحان مجرد كومة تراب، لذلك
نصحها أن تقطف ثمرة من شجرة الخلود في جنة عدن لعله يراوغها
ويسرقها منها، مادام في تلك الفترة لا أحد يعرف ما معنى السرقة.
لم تنفذ خطة عزازيل بحذافيرها، فحواء أخطأت شجرة الخلود بعد أن
أصرت على زوجها آدم قطف الثمرة المحرمة، فوافقها لكنها أشارت إليه
نحو شجرة المعرفة، فأكلا منها وغضب إيل منهما وطردهما من جنة
عدن.

انفت عزازيل نحو ليليث وقال:

- شرقي جنة عدن هناك أرض تسمى بلاد نود هي أرض التيه
والضلال، ستجدين هناك مدينة كبيرة اسمها حنوك بناها قايين⁴¹ وسماها
على اسم ابنه البكر حنوك.

قاطعته ليليث بعد أن عدلت من جلستها:

- هل هناك مدينة أخرى غير بابل التي بناها قينان أبو مهلائيل؟

ضحك عزازيل وقال:

- نعم قايين بعد أن قتل أخاه هابيل، خطف أخته وتوجه بها نحو
بلاد نود حيث قلت لك، وهناك أسس مدينة له وتكاثر له نسل كثير.

⁴¹ ابن آدم وهو في العربية يسمى قابيل

ضحك عزازيل مرة أخرى ولكن هذه المرة أكثر قوة، وقال فرحا:
 - لحسن الحظ أن سلالة شيت بن آدم تحتقر سلالة قايين بن آدم،
 وهذه الأخيرة تشعر بالنقص والعار أمام الأولى، وسأعمل على تفرقتهم
 وجعلهم في صراع دائم إلى أن ينتهي هذا الكون وما عليه.

ردت ليليث بانبهار:

- ما أعظمك.

قبلها عزازيل وقال:

- هذه مهمتك الجديدة، ستأخذين معك كتيبة من الجنيات على رأسها
 ابنتي لاقيس وستذهبين إلى هناك.

أومأت ليليث برأسها وقالت:

- يسعدني أن أخدمك يا سيدي.

- ستدخلين أولا إلى هناك وستبحثين عن شخص اسمه مولوخ بن
 ماتوشانيل بن ماحويانيل بن عيراد بن حانوك بن قانين، فهذا شخص
 عظيم من بني الإانس سنستعين به وبالشر الذي يقبع بداخله للقضاء
 على سلالة أبناء شيت في بابل.

سكت عزازيل قليلا وكأنه غاص في ذكريات الماضي، ثم استرسل

قائلا:

- يجب على كتيبة الجنيات أن تتلبسن بنساء تلك المدينة، وأن
 تغرين رجالها حتى يتشجعوا على الالتفاف حول مولوخ والذهاب معه
 لإسقاط بابل.

- حاضر سيدي اعتبر أن الأمر قد نفذ، غدا صباحا سأنتقل أنا
 ولاقيس مع كتيبة الجنيات.

-29-

ركض يراع بين الأشجار إلى أن وصل إلى تل صغيرٍ وقال:
- نعم، هنا وقفت القافلة.

توجه يمينا:

- وهنا وقف الحكيم نموشالخ.

إنحنى على الأرض، وبدأ يبحث عن الطلسم الذي رسمه الحكيم
بمساعدة ضوء القمر الذي كان بدرا، وقال:

- هاهو، لقد بقيت آثاره منقوشة.

وقف في المكان الذي سبق أن وقف فيه الحكيم نموشالخ، محاولا
تذكر ما كان يقوله الحكيم للحارس مودو، ثم ركض مسرعا نحو شجرة،
فقطع منها غصنا كبيرا بسيفه، ثم بدأ يخط على الأرض ويردد ما سمعه:
- ثلاث عصي صفت بعد خاتم، على رأسها مثل السهام تقومت.

وميم طميس أبتز ثم سلم، وفي وسطها بلجرتان تشركت.

وأربعة مثل الأنامل صفت تشير الى الخيرات والرزق جمعت.

وهاء شقيق ثم واو مقوس، كأنبوب حجام من السر إلتوت.

وأخرها مثل الأوائل، خاتم خماسي الأركان وللسر قد حوت.

☆ ٧ ٥ |||| # م ||| ☆

كان يراع قد رسم نفس الطلسم الذي رسمه الحكيم نموشالخ وأكمل:

- إذن سر هذا الطلسم في النجم الخماسي الأضلاع.

ضحك قليلا مع نفسه، وأردف:

- جيد أنني سريع الحفظ، فلقد تعمدت الوقوف أمامهم للإطلاع على

كيفية تنقلهم.

جلس أمام الطلسم، وجمع رجليه ثم أغمض عينيه، وقال بصوت مرتفع:

- إهيه أشير إهيه أدوناي صباؤوت إيل شداي.
ظل مغمضا عينيه قليلا، ثم فتحهما ببطء ليجد نفسه لم يبارح مكانه.
كان يراعى موقنا بأنه سينجح، إلا أن الصدمة كانت بادية على وجهه، فقال:

- لا يمكن؛ فلقد كان كل من الطلسم والتعويذة صحيحين.
نظر متأملا في الطلسم المرسوم على الأرض، ثم انتقل إلى الجهة المقابلة، وأغمض عينيه، وبدأ يردد التعويذة، ثم فتحهما ببطء ليجد نفسه لازال في مكانه.
كرر العملية أكثر من خمس مرات لكن دون جدوى، فبدأت عزيمته تحبط:

- تبالابد أن هناك خلل ما!!!
إستراح قليلا وقال:
- كيف لي أن أنسى هذا الأمر، يجب أن أركز على مكان انتقالي، أريد أن أذهب إلى مدرسة الحكمة أريد أن ألتقي بليلى.
جلس أرضا وردد نفس التعويذة، ثم فتح عينيه ببطء شديد ليجد نفسه هذه المرة أيضا لم يتزحزح من مكانه، فنهض بسرعة وصرخ بقوة، ثم رفع رجله لكي يركل التعويذة، إلا أنه امتنع في آخر اللحظات وقال:

- لا.. يجب أن أضبط نفسي.
جلس مرة أخرى على الأرض، وبدأ يتذكر ليلى وكل ما عاشه معها من لحظات حب، فأخذته غفوة صغيرة بدأ خلالها يردد التعويذة أكثر من مرة إلى أن فتح عينيه ببطء، فوجد نفسه لازال قابعا في مكانه.

فجأة لمح نورا ينبعث من داخل جسمه، فتشقت يداها وانبعث منها ضوء كبير، ثم نظر إلى رجليه فكانت كذلك تتلاشى وكأنها رماد في طور الاحتراق، فجأة عم المكان ضوء كبير ثم اختفى من التل. أحس يراع كأنه دخل في دوامة لولبية يطوف حول مركزها، ثم فقد وعيه إلى أن سقط في مدرسة الحكمة.

فتح عينيه بتثاقل ليجد نفسه بين ذراعي ليلي، حاول النهوض ببطء لكنه لم يستطع، كان جسمه تعرض لضرب مبرح، فخرت قواه وقال:
- هل أنا أحلم؟ أم حقا انتقلت إلى مدرسة الحكمة!!!
خاطبه صوت ليلي:

- نعم انتقلت إلى هنا، كيف فعلت هذا؟

رفع عينيه ببطء ليشاهدها واقفة أمامه مع حشد كبير من الغرباء فقال بصوت مبسوح:

- لا أذكر كيف، كل ما أذكر أنني كدت أختنق فقد كانت أنفاسي مقطوعة.

وضعت ليلي كفها على رأسه وبدأت تمتص كل مظاهر التعب الجسدي الناتج عن الانتقال الضوئي بين مكانين.

تمكن يراع من فتح عينيه مجددا ليشاهد حشدا كبيرا من الجن من مختلف الأصناف يحرقون به وسط قاعة كبيرة فسيحة تضم بلورات ضوئية تشع بنور قوي.

أخذت ليلي بيده وتوجهت به نحو مقعد في حاشية القاعة، فجلس وسط ضجيج كبير والأنظار تتجه إليه فقال:

- أنا ما زلت مشوش التفكير أين أنا الآن؟ وماذا حدث لي؟

ردت ليلي بصوت هامس:

- لا تقلق، فنحن الآن في اجتماع لمدرسة الحكمة إنه اجتماع

لتقرير مصيرنا.

وقف الحكيم فقطش على المنصة وقال:

- أيها السادة أرجوكم انتبهوا.
- صمت جميع الجن وتوجهوا بأنظارهم نحو المنصة، إلا أن جنيا من بين الحشود وقف وقال:
- أيها الحكيم فقطش اشرح لنا كيف سقط هذا الإنسي بيننا؟ وكيف حدد مكاننا؟ وكيف تجاوز طلسم الحماية والتخفي!!!
- رد الحكيم:
- هذا ما سنبحث فيه.
- نهض جني آخر وقال:
- نخشى أن تكون الطريق إلى مدرسة الحكمة مخترقة؛ إذا استطاع انسي بسيط الوصول إليها، فأكيد أن عزازيل بكل قوته يستطيع ذلك، ربما قد تجده الآن يعد العدة لمهاجمتنا.
- تعالى الضجيج داخل القاعة، وبدأ الجميع يتحدث، فوقف الحكيم نموشالخ بالقرب من الحكيم فقطش وقال:
- رجاءً
- صمت الجميع مرة أخرى فأكمل الحكيم نموشالخ:
- هذا الإنسي المائل بين يدينا، هو الأمير يراع ابن الملك مهلائيل بن قينان ملك بابل، وأنتم جميعا تعلمون أننا قد أرسلنا إلى هناك طلبا لتحالف بين حكماء الجن وبني الانس ضد قوى الظلام.
- نهض جني آخر وقال:
- نريد أن نعرف كيف وصل إلى هنا، ما هي القوة التي استعملها؟
- هذا ما نريد أن نصل إليه.
- تدخل الحكيم فقطش قائلًا:
- تعال يا يراع، إقترب إلى المنصة.
- أيها الحكيم هناك ضوء قوي مسلط نحوي يكاد يخطف بصري هلا خفضته قليلا.

أوما الحكيم فقطش برأسه، ورفع صولجانه الذي امتص الشرارات الضونية المنبعثة من البلورات حتى خفت قليلا وقال:

- حسنا إقرب يا يراع.

إقرب يراع من المنصة، فشاهد طاولة صغيرة محاطة بالزجاج تتوسطها حجرة بيضاوية صغيرة عائمة في الهواء وينبعث منها ضوء بنفسجي خافت، فنظر إليها بإعجاب حتى قاطعه الحكيم فقطش قائلا:

- كيف انتقلت إلى هنا؟

حاول يراع إخفاء الطريقة التي استعملها في الوصول إليهم وقال:

- لا أتذكر.

مسك فقطش بلحيته وخللها بأصابعه، وبدأ يدقق النظر في يراع وكأنه يخترق هالته الضونية حتى اكتشف كذبه، فقال:

- لا عليك.

دقق الحكيم فقطش النظر في معصم يراع، فلاحظ السوار الأحمر ذا الزهرة الأفحوانية، ثم إنتفت إلى الحكيمة أم تعامة التي كانت جالسة بجانبه، وأوحى لها بصوت تخاطري "أهذا من صنيعك؟!!!"

أومأت الحكيمة أم تعامة برأسها وقالت بتخاطر فكري: "نعم أيها

الحكيم"

إنتفت الحكيم نموشالخ نحو يراع وقال:

- حسنا فلتذهب، واجلس قرب ليلى.

كانت عينا يراع لا تستطيعان مقاومة رؤية البلورة الصغيرة ذات اللون البنفسجي المحاطة بالزجاج ثم قال في نفسه "لولا هذا الزجاج، لكنت قد أمسكت بك"

رد الحكيم فقطش:

- ماذا قلت؟

- لا.. لاشيء على الإطلاق.

- توجه بسرعة نحو ليلى، فجلس حذوها وقال:

- إنهم يستطيعون قراءة أفكارى؟
- ضحكت ليلى ووضعت يدها البيضاء على جهة قلب يراع ثم قالت:
- نعم وبسهولة تامة، فهؤلاء المجتمعون اليوم لديهم من القوة الشيء الكثير الذي لن يخطر على قلبك الصغير هذا.
- هذا القلب المسكين لا يعرف إلا شيأ واحدا.
- ما هو؟
- يعرف حبك فقط، إنه ينبض بك.
- عاد الضجيج إلى القاعة، وبدأ الكل يتحدث وهم يسترقون النظر نحو يراع الجالس في حاشية القاعة، فوقف أحدهم وقال:
- أيها الحكيم فقطش، إنك تعلم أهمية اجتماع اليوم، فلا يمكن أن يجلس معنا إنسي، فإن الأمر حساس.
- نعم أتفهم مخاوفكم، لهذا نطلب نحن الحكماء الأربعة المتبقين أن نعقد اجتماعا مصغرا بيننا، ثم نمدكم بقراراتنا.
- انسحب الحكماء الأربعة فقطش ونموشالخ وكريير وأم تعامة نحو غرفة صغيرة تقع خلف المنصة فتوجه فقطش نحو أم تعامة وقال:
- أيتها الحكيمة لقد منحت يراع سوار زهرة الحياة وهو ما ساعده على تحديد مكاننا.
- نعم، لقد أهديته لليلى، وأخبرتها أن تمنحه للشخص الذي تحبه.
- ذلك السوار ما كان يجب أن يقع بين يدي البشر.
- تدخل الحكيم كريير:
- حدد له السوار مكاننا، لكن كيف انتقل إلى هنا؟
- قالت أم تعامة:
- البشر لو استطاعوا توظيف هالتهم لصاروا يحلقون في السماء مثلنا.
- تدخل الحكيم نموشالخ:

- نعم؛ أولم تلاحظوا كيف انتقل بين مسافتين بعيدتين بقوة الضوء ولم يؤثر ذلك على جسده!!!
- رد الحكيم فقطش:
- لو كان عفريتاً قويا لاحترق وتحول إلى رماد، عجيب أمره.
- قال الحكيم كرير:
- إنه قوي، وهالته الأثيرية منسجمة لا تتوفر على كسور أو ممرات يستطيع بني الجن اختراقها بسهولة.
- أم تعامة إشرحي لنا خطتك؟
- نحن كل سنة نجدد أنفسنا، ثم نضع بيضة الحياة التي منحها لنا أبونا سوميا على طاولة زجاجية، ومنتظر من يستطيع حمل عيها، وككل سنة لا أحد يستطيع ذلك، فنقول إن نبوءة سوميا، لم يحن وقتها بعد.
- سكنت الحكيمة أم تعامة قليلا ثم أردفت:
- ماذا لو أن النبوءة كانت تخص بشريا وليس جنيا!! ماذا لو أن زهرة الحياة ستفتح على يد هذا الشاب!!
- قاطعها الحكيم فقطش:
- ولكنك تعلمين أن قراراتنا نخذها جماعة ونبذ أي سلوك فردي.
- ردت الحكيمة أم تعامة بسرعة وبلهجة حادة:
- لم يكن هناك الوقت الكافي لأخبركم.
- إذن، فلنذهب لنتحقق من صدق كلامك.

-30-

نظرت ليلى إلى عيني يراع وقالت:

- فيما تحملق عيناك؟
- إني أنظر إلى الصندوق الزجاجي، إن تلك الحجرة البلورية تأسر نظري.

- إنها بيضة الحياة.
- وما هي بيضة الحياة؟
- ردت ليلى بصوت خافت:
- جميع من يجلس هنا يعرف ما هي بيضة الحياة، سأخبرك ما هي.
- أنا متلهف لمعرفة.
- يقال إنها الشكل الجنيني لزهرة الحياة، وكما ترى فهي كروية الشكل، فإذا تحولت إلى زهرة فإنها ستنتفتح راسمة الشكل الذي على سوارك.

- هذا شكل زهرة الحياة!!
- أومأت ليلى برأسها وقالت:
- نعم، فلقد أخبرتك بذلك يوم منحتها لك قرب شجرة التوت.
- أجل أتذكر ذلك، ولقد أخبرتني أنها تمثل رمزا لمدرسة الحكمة.
- سأخبرك بأمر مهم.
- ما هو؟

- منذ عهد سوميا إلى الآن؛ لم يستطع أي جني تحويل بيضة الحياة الموجودة في مدرسة الحكمة من شكلها الجنيني إلى شكلها المتطور الذي هو زهرة الحياة، إلا أن سوميا في وصاياها التي تركها لبني الجن، قال بعد أن سلم بيضة الحياة لأبنه ميظرون، بأنه سيأتي يوم يعم فيه

الظلام، سيخرج المستنير ليحول بيضة الحياة إلى زهرة ويجمع سر الكون وشجرة الحياة.

خرج الحكماء الأربعة من القاعة الخلفية للمنصة، فجلسوا جميعا إلا الحكيم فقطش ظل واقفا وقال:

- يا معشر الجن، ككل سنة نجتمع اليوم لنختبر قدرات بعضنا البعض؛ نبحث فيكم عن المستنير الذي يستطيع أن تتحول بيضة الحياة في يده إلى زهرة ويقودنا إلى عالم جديد يشع نورا في مواجهة الظلام. يا أيها الحضور؛ إنه زمن الظلام، فهل سيكون بينكم أول مستنير ينير الطريق؟

وقف أحد الحضور وقال:

- أيها الحكيم فقطش ما يميز هذه السنة عن باقي الأعوام السالفة هو وجود إنسي بيننا.

- بنو الجن وبنو الإنس يعيشون معا على هذه الأرض، فما داموا يتقاسمون معنا هذه الرقعة فهم معنيون بحمايتها مثلنا، ولعل هناك حكمة ما في وجود هذا الإنسي معنا في هذا اليوم وفي هذا اللقاء. أوأما الجني برأسه وقال:

- نعم صدقت.

- هل لازال هناك سؤال، أو استفسار؟

ظل جميع من في القاعة صامتا فقال فقطش مجددا:

- إذن هيا بنا للاختبار، فالوقت قد حان.

وقف الحاضرون مثني في صف طويل اختلط فيه الجن العامي مع العفاريث والمردة، ووقف الشيوخ مع الطلاب، فالكل كان متساوٍ أمام الاختبار.

ردد الجن الحاضرون تعويذاتهم الخاصة من أجل حشد الطاقة الكافية للاختبار، فتقدم الواحد تلو الآخر نحو الطاولة الزجاجية، فكان الجني يمسك البيضة في يده محاولا تحويلها إلى زهرة الحياة فلا يستطيع، ثم

يتقدم جني آخر للمحاولة لكن دون جدوى، إلى أن مر جميع الحاضرين بما فيهم ليلى بنت برقان، فلم يبق إلا يراع والحكماء الأربعة.

نزل الحكيم كيرير عن المنصة ووجه صولجانه تجاه البيضة التي طارت نحوه مستقرة في يده، ثم بدأ يتلو عزمته الخاصة لكنه لم يستطع تحويلها إلى زهرة الحياة، فانسحب وحل محله الحكيم نموشالخ، ففشل بدوره لينسحب وتحل محله الحكمة أم تعامة لكنها بدورها فشلت، فلم يتبق إلا الحكيم فقطش الذي وقف أمام الطاولة الزجاجية وحمل البيضة بلطف وعناية كبيرين، فبدأ يشع منها نور قوي، ثم بدأ يتلو عزمته الخاصة، لكنه في الأخير فشل في تحويلها إلى زهرة الحياة، فوضعها بعناية في مكانها، ثم نظر إلى الحضور وقال:

- ها نحن بني الجن نفشل مرة أخرى في هذا الاختبار، فربما كانت مرصودة لغيرنا، فهل أنتم موافقون على أن يجتاز يراع هذه التجربة؟
ظلت القاعة صامتة فقال فقطش:

- أريد أن أسمع جوابا هل من معترض فليرفع يده؟

ظل الجميع صامتا مرة أخرى فقال:

- من يوافق فليرفع يده.

رفع الجميع يده فقال أحد الجن:

- نحن متشوقون لنكشف قدرات هذا الإنسي الحاضر معنا.

- بما أنكم جميعا موافقون، فلا أريد أن أسمع أي اعتراض مستقبلا،

فلتعارضوا الآن أو لتصمتوا إلى الأبد.

التفت الحكيم فقطش إلى يراع وقال:

- أيها الإنسي يراع هل أنت على استعداد للمشاركة في الاختبار أم

تفضل التراجع؟

ظل يراع صامتا وهو يدقق النظر في بيضة الحياة فقال فقطش

مجددا:

- إما أن تتقدم الآن أو فلتراجع إلى الأبد.

نظر يراع إلى أعين ليلي وأحس أن قلبها منقبض، فأومات برأسها لكي يتقدم. نظر إلى بيضة الحياة وقال:

- أنا موافق على خوض هذا الاختبار، فليكن إيل في عوني.
ابتسم الحكيم فقطش وقال:

- حسنا أيها الإنسي، فإذا فشلت في الاختبار فمثلك مثل إخوانك في مدرسة الحكمة، يكفيك شرف المحاولة، أما إذا نجحت وكنت المستتير الأول في الأرض، فاعلم إنه ثقل كبير ومسؤولية جسيمة لا يعلم إلا إيل مدى صعوبتها، ستواجه الظلام، وستخوض معه حربا كبرى، لكن اعلم أننا جميعا سنكون مساعدين لك في كل المحن التي قد تصادفها.
- نعم أفهم.

- أعلم يا ولدي إن كانت موافقتك تهورا واندفاعا فأصحك بالابتعاد عن هذه المسؤولية مسافة السماء عن الأرض، أما إذا كانت لك العزيمة فتقدم نحو البيضة الآن.

تحرك يراع بسرعة نحو الطاولة الزجاجية ومد يده ببطء فقال الحكيم فقطش:

- أعلم أيها الإنسي أنه في حالة نجاحك لا مجال للتراجع.
- أنا لا أملك عزيمة خاصة ولا طلسمًا للقوة، لكني أملك قلبا قويا وصافيا، وإرادة أقوى من كل العزائم.

مسك البيضة وقربها نحو وجهه وقال:

- أيتها البيضة إن كنت مرصودة لي فتحولي إلى زهرة الحياة.
أحس يراع أن البيضة تخاطبه في عقله وتقول له "نعم أنت مفتاحي" وأمام ذهول الجميع تحركت البيضة، وانبتق منها نور قوي متموج الألوان، ثم التفت على نفسها بسرعة وكلما زادت سرعتها ظهرت عليها تشققات، إلى أن أصبحت على شكل زهرة متفتحة بحجم حبة الطماطم، وهي على شكل دوائر متداخلة في بعضها البعض.

- رفع يراع رأسه، فوجد أن جميع من في مدرسة الحكمة واقفون في
ذهول كبير بهذا الانجاز، فصاح أحدهم:
- نعم، إنه المستنير.
- هتف الجميع فرحا "إنه المستنير، إنه المستنير"
- إغرورقت عينا يراع بالدموع، ثم نظر إلى الحكيم فقطش الذي اقترب
منه وأمهه بكيس صوفي وقال:
- ضعها هنا، فمن الآن هذه البيضة هي ملكك وأنت ملكها. بوركت
أيها المستنير.
- التفت يراع نحو ليلي، فركضت نحوه، وعانقته عناقا طويلا، وقالت:
- كنت أعرف أن في داخلك بطل يشع نورا وجمالا.
- قال الحكيم فقطش:
- أيها المستنير إربط الكيس في خصرك، وتقدم معي نحو المنصة.
- مسك الحكيم فقطش بيد يراع، وتوجه به نحو المنصة رفقة باقي
الحكام وقال:
- معاشر الجن في مدرسة الحكمة أقدم لكم المستنير الأول.
- صفق له الجميع، فأردف الحكيم قائلا:
- قدموا له كل العون كلما احتاج إليكم، فصراع كبير ينتظره.
- التفت نحو يراع وسلمه معطفا جلديا أسودا وسيفا طويلا ذا قبضة
فضية وقال:
- هذا لك أيها المستنير.
- أمسكهما يراع فأخرج السيف من غمده، وبدأ يلاحظ عددا من الرموز
المنقوشة عليه فأكمل الحكيم فقطش:
- حسنا أيها المستنير، سنتحدث عن هذا السيف وهذا المعطف
لاحقا يمكنك الانصراف من المنصة والجلوس قرب ليلي إنها في
انتظارك.

جلس يراع بجانب ليلى فوضعت رأسها على كتفه، انحنى نحوها وقال:

- أحبك.

رفعت ليلى يده اليمنى وقبالتها وقالت:

- أنا أحبك كذلك.

في المنصة أكمل الحكيم فقطش خطابه:

- الآن يا معاشر الجن سنمر للمرحلة الثانية، فكما تعلمون فقد فقدنا ستة من خيرة الحكماء الذين ضحوا بأنفسهم من أجلنا، اليوم سنجدد هياكلنا، ونعوض فراغنا، فمن يرى نفسه أهلا للاختيار فليرفع يده. لم يكن يراع يبالي باختيار الحكماء الستة الجدد بقدر اهتمامه بليلى التي ظلت تعانقه بقوة، فقال لها:

- ما هي مهمة المستنير؟

- ستشرح لك الحكيم أم تعامة كل شيء، فربما كانت تعلم أنك أنت

المستنير يوم سألتها عن أحب، حيث أنها أخبرتني أنه حب عظيم.

- حسنا.

-31-

في بلاد نود شرقي جنة عدن، وقفت ليليث ومن معها من جنيات
الظلام على مشارف مدينة حنوك فقالت:

- أيتها الجنيات الشيطانات الجميلات، ها نحن على مشارف مدينة
حنوك.

وقفت لاقيس قربها وقالت:

- يجب أن ننجح هذه المهمة.

- نعم، فعزائل يعول علينا في أن نحرض هؤلاء البشر أبناء قايين،

ضد باقي البشر أبناء شيث

- إنه وقت الغروب، هل سندخل الآن أم نبيت هنا إلى الصباح؟

- إنهم يعودون من المراعي المجاورة مع أغنامهم، سادخل المدينة

معهم لأتفقدها، أما أنتن فابقين في مكان بعيد عن الأنظار، وانتظرن
إشارتي.

- حسنا سيدتي ليليث، سنظل هنا بين أشجار هذه الغابة في انتظار

إشارتك السحرية، بعدها سنلتحق بك.

جمعت ليليث شعرها الأحمر نحو الخلف، وارتدت معطفا أسودا

طويلا، وخبأت رأسها بقبعته الكبيرة، ثم تقدمت صوب المدينة فاختلفت
بالداخلين إليها.

كانت مدينة حنوك فسيحة كبيرة منبسطة على سهل كبير يشكل

مرعى للأغنام، كما كان سكانها يعتمدون بكثرة على الزراعة مما جعلهم
متشبهين بالأرضي التي حولهم ويحاولون التوسع فيها.

توجهت ليليث مع عدد من الرعاة نحو باب كبيرة غير محروسة،

حيث كانت للمدينة سبعة أبواب كبيرة موزعة على طول السور الذي
يلفها بشكل دائري.

بدأت تتجول في أرجاء المدينة، حيث مرت بين عدد من الأكواخ الصغيرة، وإسطبلات الحيوانات، فسمعت صخبا كبيرا وسط المدينة. أسرع في اتجاه الأصوات لتجد احتفالا كبيرا حول نار كثيفة يسجد لها عدد من الأشخاص، وفي الجهة الأخرى كانت ترتفع موسيقى القيثارات والمزامير الكبيرة.

كان الجميع يتراقص ويتمايل رجالا ونساءً، وهم يشربون من براميل متوسطة الحجم؛ مشروبات مخثرة ومعتقة.

وقفت جنبا تتأمل ساكنة حنوك، والقيثارات الطويلة المنصوبة، وفي النساء اللواتي يعزفن عليها، وعلى مقربة منهم لمحت مشاجرة بين شابين بالأبيادي، فيما تحلق حولهم عدد من الأشخاص.

إقتربت ليليث منهم، فسألت أحد الأشخاص الذي كان يشرب مباشرة من برميل صغير، ويصرخ عاليا مشجعا أحد المتشاجرين، فقالت له: - ماذا هناك؟

لم يلتفت لها الرجل ذو اللحية الطويلة لكنه قال:

- لقد بدأ النزال بعشرين رأس غنم من المعز، وأنا أراهن بخمسين على هذا الشاب الأشقر.

إبتعدت قليلا، ثم توجهت نحو حلقة أخرى تجمع حولها عدد من الأشخاص، فأشرأبت بعنقها لتشاهد رجلا يستعرض مهارته في ترويض الأفاعي والعقارب وهو ينزع منها السموم بسهولة.

أكملت ليليث جولتها بين كم كبير من البشر المتحلقين هنا وهناك؛ فجأة لاحظت أن شخصا ما يتبعها، فحاولت مناورته لكنه ظل يترقبها ويقترب منها ببطء، فوقفت في مكانها بدون حركة إلى أن وصل إليها.

التفتت نحوه بسرعة، لتجد رجلا عجوزا أصلع الرأس ذا أنف مدبب، وأذنين طويلتين، ويمسك عصا طويلة يتكئ عليها، نظرت ليليث إلى أظفاره الطويلة المتسخة كأنها مخالب حيوان ضاري وقالت له:

- لماذا تلحق بي؟

إقترب الرجل العجوز أكثر من ليليث، ومد رأسه نحو جسمها، وأغمض عينيه، وأخذ شهيقا قويا، ثم فتحهما، وتراجع قليلا نحو الخلف وقال:

- لقد جذبتني نحوك هذه الرائحة.

سكت قليلا وأردف قائلا:

- منذ زمن بعيد لم أشم مثلها.

أحست ليليث كأن الشيخ العجوز قد كشف أمرها فقالت:

- رائحة؟

قطب الشيخ العجوز حاجبيه الكثيفين، وقال:

- ماذا تفعلين في عالم الإنس؟ أنت لا تنتمين إلى هنا!!!

شعرت ليليث بالذعر وقالت في نفسها "هؤلاء البشر يفرعونني،

صدق عزازيل بالخوف منهم".

ردت وكأنها واثقة من نفسها:

- أنا عابرة سبيل، وجدت نفسي بالقرب منكم فقررت الدخول.

نظر الشيخ العجوز في قدم ليليث ثم بدأ يتأملها ببطء إلى أن وصل

إلى رأسها وقال:

- ما اسمك؟

- اسمي (الهامة) يمكن أن تناديني بالهاتمة.

تنهد الشيخ العجوز، وضرب عصاه مع الأرض وقال:

- إنها أرض الهائمين، إنها أرض التيه والضلال.

مد العجوز يده نحو ليليث وقال:

- أنا اسمي رأوبين، وأنا أقدم شخص في هذه المدينة عاشرت

أجيالا وأجيالا.

مدت ليليث بدورها يدها نحوه وسلمت عليه وقالت:

- أرى من خلال يديك، ويريق عينيك، أنك لازلت تتمتع بالقوة بالرغم

من كون جسديك تظهر عليه علامات التلاشي والانهيار.

رد رأوبين بحسرة:

- لقد كرست جل حياتي وأنا أبحث عن شجرة الحياة، لعلني أقطف من ثمارها، ما يمكنني من استرجاع شبابي وضمان الخلود.

- وهل بحثت عنها في جنة عدن؟

- لم تعد هناك جنة عدن بعد أن خرج آدم منها، فقد دمرت تدميرا، آه لو قطف آدم من شجرة الخلود عوض شجرة المعرفة، لضمننا نحن البشر العمر المديد؛ لكن للأسف.

كانت ليليث تعرف الحكاية بكل تفاصيلها لكنها تظاهرت بعدم المعرفة، فلقد سبق لها أن عاشت في كنف آدم ردحا من الزمن، قبل أن تتمرد عليه، وتلتحق بعزازيل، وبعد مطاردتها من طرف الأثوناكي النازلين من السماء، التجأت إلى الملك برقان قبل أن تخونه بدوره، وترجع إلى عزازيل مرة أخرى.

قالت:

- سمعت أن هناك أشخاصا من بني البشر يبحثون كذلك عن شيء اسمه زهرة الحياة، وهي التي ستمنحهم سر شجرة الخلود.

تقدمت ليليث قليلا، كأنها تحاول الابتعاد عن رأوبين بعد أن تمكنت من زرع الطمع في قلبه، بل أنها زرعت فيه آمالا جديدة في إعادة البحث عن شجرة الحياة.

عدل رأوبين من وقفته، وسرح ظهره المنحني، وركض بسرعة نحوها وقال:

- تمهلي أيتها الهانمة، هل قلت أن هناك بشرا آخرين يبحثون عن زهرة الحياة؟

ظلت ليليث تتقدم بين الحشود ولم تلتفت نحوه، لكنها قالت له:

- نعم، وحسب ما سمعت أنهم قاب قوسين من الوصول إليها. وقف رأوبين بجانب ليليث وأمسك يدها وقال بلهفة:

- من؟ من هم؟؟

- إنهم في بابل.

- آه إنهم أبناء شيت تبا لهم ولغورهم.

ظلت ليليث تتحرك ببطء بين الحشود، ورأوبين بجانبها يحدثها عن الصراع الذي حدث بين قايين وهابيل، وكيف تمكن جده قايين من قتل أخيه وخطف أخته والزواج بها، فأسسوا مملكة عظيمة سميت بحنوك تيمنا بابن قايين البكر.

قاطعته ليليث قائلة:

- إنها مدينة صاخبة.

- نعم نعمل بالنهار بجد، ونحتفل في الليل بصخب.

لمحت ليليث مجموعة من الأشخاص يتم جلدهم بقوة، وهناك من يحرق حيا، وقالت:

- من هؤلاء؟

- هؤلاء أشخاص حاولوا التمرد على زعيم المدينة (ماتو) واسمه الكامل ماتوشائيل وهو كبير القوم، وقد أمر بتعذيبهم عذابا شديدا، ثم حرقهم في الأخير.

- يبدو أنه زعيم شديد القوة.

- نعم إنه قاسي القلب لا يعرف الرحمة، ويعذب حتى الأقربين إليه، حتى أزواجه وأولاده إذا خالفوا كلامه فإنهم يعانون من سطوته.

- أحقا؟!!!

- نعم، أنظري هناك في تلك الزاوية المظلمة.

أشار بيده بعيدا إلى ركن خال مظلم

- نعم إنه قفص فيه شخص ما.

- نعم إنه ابن ماتو، إنه شاب وسيم اسمه مولوخ.

-32-

ابتسمت ليليث وقالت بصوت تعجبي:

- مولوخ! ولماذا هو في ذلك القفص؟ وفي ذلك الركن المنسي؟
تنهد رأوبين بقوة وقال:

- مسكين مولوخ ذنبه الوحيد أنه أحذب الظهر ومشوه الوجه، فلقد ولد هكذا، فتركه أبوه معلقا في ذلك القفص، ولولاي لمات من الجوع؛ لقد كان لأبيه ماتو ابن بكر اسمه (لامك) كان المفضل عنده، ثم ولد مولوخ فكان أحذب الظهر ولهذا كان محط سخرية من باقي إخوته، ويوما ما أقدم مولوخ بعدما أصبح شابا على ضرب أخيه الأكبر لامك، مما أثار سخط أبيه، فرماه في حفرة النار مما تسبب له في حروق كبيرة في مختلف أنحاء جسمه، فأنقذته أنا من الحريق، ولهذا عزلني ماتو من منصبه حيث كنت ثاني زعماء القوم، ثم وضع مولوخ في قفص ونسيه هناك، فصرت أنا من يطعمه وأمه أحيانا أخرى.

تقدمت ليليث نحو مولوخ بسرعة فتبعها رأوبين حتى وقفت أمام القفص، صرخ مولوخ بقوة لكنه سرعان ما سكت حين رأى رأوبين واقفا بجانبها.

قالت ليليث:

- مولوخ المسكين.
- بدأ مولوخ يحملق في ليليث بتعجب فأردفت قائلة:
- هل تريد أن أزيل حديتك التي على ظهرك؟
- نظر مولوخ في عيني رأوبين وقال بشوق:
- نعم؛ نعم.
- حسنا يا مولوخ، إنزع هذه الملابس المهترئة.

مزق مولوخ قطعة التوب التي كان يلف بها جسمه، ويخفي فيها حروقه وندوبه، ثم وضع ظهره على القفص، فأدخلت ليليث يدها ووضعتها على حديته، ثم بدأت تتلو عزيمة سحرية.
نشبت شرارة نار في ظهره حتى قفز من مكانه وخر على الأرض يتلوى إلى أن اختفت النار، فتمس ظهره مكتشفاً أن الحدبة قد اختفت تماماً.

قال رأوبين:

- هذا مذهل أيتها الهامة.

- وأنت يا رأوبين هل تريد الوصول إلى شجرة الخلود؟

توسعت بورتا عينيه وقال فرحاً:

- نعم، نعم.

كان مولوخ يقفز من كثرة الفرح، ثم ينام على أرضية القفص، ويلتف يمينا وشمالا، ويقول:

- لقد اختفت الحدبة، لقد اختفت الحدبة.

قالت ليليث:

- اسمع يا مولوخ ويا رأوبين

إقترب منها رأوبين، ثم توقف مولوخ عن الفرح، ووضع رأسه بين

أعمدة القفص، فقالت مسترسلة:

- أنت يا رأوبين تريد أن تصل إلى شجرة الخلود التي في بابل،

وأنت يا مولوخ تريد أن تنتقم، وأن تستعيد جسمك بصفة نهائية، إذن

فلنعقد اتفاقاً نحن الثلاثة.

أوماً مولوخ ورأوبين برأسيهما معا وقالا:

- نعم.

- كما أزلت يا مولوخ حديتك سأمنحك بشرة جديدة خالية من أي

تشوه، لكن بشرط أن تصبح زعيما على مدينة حنوك، كما سأمنحك

فرصة الانتقام ممن تسبب في تعاستك، ثم سنكون جيشا ضخما من كل

ساكنة هذه المدينة، وستتوجه به نحو بلاد سوسة وسنقضي عليها، ثم سنتوجه إلى بابل حيث آخر سلالة شيت هناك، وسنقضي عليهم جميعا وندمر بابل، وسيعثر رأوبين على شجرة الحياة ويصير خالدا، وأنت ستصير ملكا على كل البشر. هل أنتما موافقان؟؟

قال رأوبين:

- نعم، وهذا عرض أكبر مما كنت أتصور.

قال مولوخ:

- سأكون عبدك سيدتي إن مكنتني من كل الذي قتلته.

أخرجت ليليث من تحت معطفها سيفا كبيرا، وضربت به القفص، فانهار ومنحت السيف لمولوخ وقالت له:

- هيا انطلق أيها الوحش.

ركض مولوخ بسرعة وهو عارٍ وسط الساحة، وغرز سيفه في بطن شخصين واقفين فأرداهما قتيلين، ثم صرخ بأعلى قوة:

- أنا مولوخ لقد اختفت الحدبة، أنا مولوخ لقد اختفت الحدبة...

تجمهر حول مولوخ كثير من الناس مستعجبين كيف تخلص من حدبته، فدخل عدد من الجنود وسط المتجمهرين لإلقاء القبض عليه، إلا أنه وبسرعة أفناهم جميعا؛ وفي تلك الآونة أعطت ليليث إشارة سحرية صعدت إلى السماء، حتى تتقدم الجنيات وعلى رأسهن لاقيس للدخول إلى المدينة وتنفيذ مأموريتهن.

دخل أبوه ماتو وقال:

- أيها المسخ البشع كيف تتجرأ على قتل جنودي!!

- أنظر يا والدي لقد اختف..

قاطععه ماتو قائلا:

- أيها المسخ، أنا لست والدك، كيف لي أن ألد مسخا حقيرا مثلك!

أنظر إلى نفسك فلازلت مشوها.

ضحك ماتو ضحكة قوية أثارت غضب مولوخ الذي استل سيفه وقصد أباه محاولا ضربه، إلا أن ماتو كان قويا وسريع المناورة، حيث كان يتفادى كل الضربات، ثم أخرج سيفه بدوره، وهاجم ابنه مولوخ. كانت كفة النزال تميل لصالح ماتو، فعلمت ليليث أنه بسبب طول المدة التي قضاها مولوخ في القفص قد فقد قوته، فتلت عزيمة سحرية ورسمت طلسمًا في السماء لا يراه أحد من بني الإنس، وقذفت به جسم مولوخ الذي استعاد حيويته وقوته، فضرب سيف ماتو وأسقطه أرضاً، وقال:

- سأقتلك وسأمسح جسمي بدمك، حتى أتمكن من إزالة كل التشوهات التي تسببت فيها أيها الحقير، وسأصبح سيذا على مدينة حنوك.

- لا.. الحكم سيكون لابني لامك.

حاول ماتو الزحف نحو سيفه، إلا أن مولوخ ضربه برجله، فأسقطه أرضاً، ثم غرز سيفه في صدره، فأرداه قتيلًا، ثم فجأة من بين الحشود خرج لامك صارخاً:

- أيها الوحش لقد قتلت أبي.

رفع مولوخ سيفه عالياً وضرب رأس أخيه لامك، ففصله عن جسده، وقال:

- حسنا، لم يعد هناك سيد على مدينة حنوك.

نظر مولوخ إلى يمينه، ثم توجه نحو الحشود المتجمهرة عليه، التي بدأت تتراجع إلى الخلف خوفاً منه إلا سيدة واحدة ظلت واقفة في مكانها، فاقترب منها أكثر، وغرز السيف في بطنها ثم رفعها عالياً وقال:

- آسف يا أمي فلا رحمة اليوم.

كانت جنيات الظلام يتحولن إلى دخان ثم يدخلن في أفواه نساء مدينة حنوك، ويسيطرن عليهن دون شعورهن، فاجتمع نساء كثيرات في

الساحة قرب محرقة النار، وبدأن بالزغاريد فرحة بفوز مولوخ فبدأ عدد من الرجال يرددون:

- يحيا مولوخ العظيم.

إنحنى مولوخ على دم أبيه، وبدأ يمسح به جسمه، فبدأت الندوب والتشوهات بالاختفاء، حتى عاد جسمه كأنه ولد من جديد فرفع سيفه وقال:

- هل من متحدٍ يقاتلني على العرش؟
صرخ الجميع:

- يحيى مولوخ زعيم مدينة حنوك.

- إذن هيا بنا إلى الاحتفال.

بدأ الجميع يرقص حول النار، ورفعت أصوات المزامير والقيثارات وابتهج الجميع، فاقترب مولوخ من ليليث التي كانت واقفة بجانب رأوبين، فقبل يديها وقال:

- شكرا لك أيتها الهامة، لا أعرف كيف أرد جميلك مهما فعلت.
وضعت ليليث يدها فوق كتفه وقالت:

- اليوم هو يوم انتصارك، إذهب للاحتفال، وخذ ما شئت من النساء لتعوض بهن حرمان السجن، وبعدها تناقش باقي التفاصيل؛ الأهم الآن هو الاحتفال.

ركض مولوخ عاريا نحو الساحة، فانقض على سيدتين كانتا واقفتين في طريقه، وتوجه بهما نحو وسط الساحة، وبدأ يرقص معهما ويعانقهما بقوة.

-33-

على سهل فسيح ممتد على طول واد متفرع من نهر النيل العظيم، وقف كل من الحكيمين فقطش وكريير بمعطفيهما الطويلين، فبدأ الحكيم فقطش يخط بصولجانه في الرمل ويضربه نقاط وعرائض.

---...---

ويرفع عينه إلى السماء ثم يخط خطا آخر، فقال الحكيم كريير:
- أظن أن الأمر مبهم.

- نعم أظن أن الأمر سينجح معه؟

- إننا على المحك، إما أن ينجح أو سينتهي أمرنا.

إبتسم فقطش ابتسامة ساخرة وقال:

- يا لسخرية القدر، لقد أصبح مصير بني الجن بيدي إنسي.

من بعيد قال الحكيم نموشالخ وهو يقترب منهما:

- وأي إنسي، إنه لا تتوفر فيه شروط الحكمة أبدا.

رد الحكيم فقطش:

- لقد تعرفت عليه عن قرب أثناء مهمتك في بابل، يمكنك الحكم

عليه.

وقف الحكيم نموشالخ أمام الحكيمين فقطش وكريير وقال:

- إنه متهور شيء ما، لا يعتمد على المنطق المتعارف عليه، ولكنه

شجاع لا يهاب الموت.

رد الحكيم كريير:

- وهل شاكرااته تتغير؟

- إنها دائما مرتبة بشكل جيد، وهالته متوازنة لا يمكن اختراقها

بسهولة.

رد الحكيم فقطش وهو يحك جبينه:

- قد يصلح هذا الإنسي لهذه المهمة، لكن وإن فشل فأهم شيء ألا تسقط بيضة الحياة الخاصة بأبينا سوميا في يد الظلام.
- إذن، يجب أن نظل قريبين منه.
- قال الحكيم كرير:
- ويجب كذلك أن نعدده لهذه المهمة.
- نهض الحكيم فقطش من مكانه ورد قائلاً:
- تأهيله أمر ضروري، فهيا بنا إلى خيمة يراع.
- توجه الحكماء الثلاثة عبر السهل بمحاذاة الوادي حتى وصلوا إلى خيمة حمراء دائرية نصبت بين شجرتين، كان يجلس بالقرب منها كل من يراع وليلى والحكيمة أم تعامة، حيث كانت الحكيمة تخط على الأرض وكل من يراع وليلى منتبهان لها.
- بعدما اقتربوا من بعضهم البعض قال الحكيم فقطش:
- كيف أصبحت أيها المستنير؟
- لازلنت مصدوما أيها الحكيم فقطش.
- قال الحكيم كرير:
- لا عليك، بالرغم من أنه حمل ثقيل، إلا أنك ستجدنا دائما بالقرب منك.
- شكرا أيها الحكيم كرير، سأبدل أقصى ما في وسعي حتى تنجح هذه المهمة.
- نظر الحكيم فقطش إلى الأرض حيث كانت الحكيمة أم تعامة قد رسمت مجموعة من الرموز فقال:
- يبدو أن الحكيمة أم تعامة بدأت في منحك الدروس الأولية.
- نعم أيها الحكيم، لقد كانت الحكيمة أم تعامة تشرح لي أصل زهرة الحياة وكيفية تشكلها.
- جلس الحكيم فقطش وقال إسمع يا بني:

- ستصل لمرحلة ستكتشف فيها أن زهرة الحياة تمثل كل شيء في الوجود، وأينما ستولي وجهك سترها، فهذا الكون ممتد على شكل زهرة الحياة، كما أن أصغر شيء موجود على هذه الأرض هو على شكل زهرة الحياة، كل شيء خلقه إيل وفق هندسة حكيمة مقدسة إنها مشيئته. فهذه الزهرة التي نبحت عن سرها، هي أساس الحياة على هذه الأرض، ولكي تصل إليها يجب أولاً أن تفهم عناصرها الأربعة، النار والهواء والماء والتراب، لهذا يجب أن تفهمها، أقول يا بني أن تفهمها وليس فقط أن تكتشفها، فهي موجودة بيننا، فإذا فهمتها ستصل إلى العنصر الخامس الخفي، وهو ما يسمى بالآثير، ولكل عنصر من هذه العناصر الخمسة شكل معين، حين سنكتشفه وتفهمه ستتحول بيضة الحياة التي منحناها إليك لذاك الشكل.

- نعم فهمت.

- إفتح السيف الذي منحته لك.

أخرج يراع السيف من غمده، فأكمل الحكيم فقطش:

- أنظر إلى هذه الرموز المرسومة؛ إنها الأشكال الخمسة المقدسة التي ستكون دليلك لتصل إليها، أما المعطف الذي منحته لك فهو درع واق من كل التعاويذ التي قد يرسلها خصومك ضدك.

- كيف؟

- ستصادف في طريقك الكثير من الأعداء، قد يكون بعضهم سحرة من جنود الظلام، وقد تصادف في نهاية المطاف عزازيل نفسه، فإذا قذفوك بتعاويذهم السحرية فإن المعطف سيحميك من ذلك، لكن يجب أن تخبئ وجهك حتى لا تلمسك أي شظية.

- آه فهمت.

قالت الحكيمة أم تعامة:

- أظن أنه يجب أن يؤهل لركوب الميركابا⁴²؟

⁴² رحلة الروح والجسد

- وما الميركابا؟

قال الحكيم فقطش:

- إن الحكيم نموشالغ هو المسؤول عنها.

جلس الحكيم نموشالغ وقال:

- كل من في الوجود له ميركابته الخاصة به، فكل كوكب له ميركابا خاصة به، كل شمس، وكل قمر، وكل حيوان، وكل جني، وكل إنسي، بل وحتى كل نبتة لها ميركابتها الخاصة، وكل هذه الموجودات والميركابات هي جزء من الميركابا الأصل أو الميركابا الأم، وهي تمثل درجة الوعي الموجود عند كل الكائنات.

- إسمح لي أيها الحكيم إن عقلي مشوش، أو ربما أنا غير قادر على فهم هذا الكلام.

- سأبسط لك الشرح.

فالميركابا هي كلمة مركبة من ثلاثة معاني

مير: وتعني الضوء

كا: وتعني الروح

با: وتعني الجسد

فالميركابا إذن هي حقل طاقة خفيف يدور من اليمين نحو اليسار مربوط بنجمين في السماء، وكل نجم على شاكلة هرم سداسي الشكل، فبعد تمارين التأمل والتنفس الطويل ستمكن من الدخول إلى حقلها، وستكون آنذ على قدرة كبيرة من الاطلاع على المعرفة الكونية المشتركة، سيختفي المكان وسيختفي الزمان، وستذهب حيث اللاوجود واللاعدم، حيث لا الثبات ولا الحركة، حيث لا الزوال ولا الديمومة، وحيث لا الحياة ولا الموت فقط ستكون أمام المعرفة المطلقة.

سكت الحكيم نموشالغ فقالت ليلي:

- وقبل خوض هذه التجربة يجب أن ينسجم جسمك وروحك مع الطبيعة لتصير في وضعية تناغم تام.

حملق الجميع في ليلي بتعجب فقال الحكيم فقطش:

- يبدو أنني كنت مخطئا في تقدير مهارتك يا ليلي فكل يوم تبدين مهارات جديدة.

كان الحكيم فقطش يعارض انضمام ليلي لمدرسة الحكمة بسبب فشلها في اختبار الاستحقاق، لكن أمام إصرار الحكيمة أم تعامة على قبولها، وموافقة باقي الحكماء على طلب الملك برقان المستضيف للمدرسة، رضخ فقطش لطلبهم بشرط تمكينها من دروس خاصة لتطوير مهارتها.

قالت ليلي:

- لقد اكتشفت في الحكيمة أم تعامة مهارات عملت على تطويرها، فكنت أنجح في أشياء وأفشل في أشياء أخرى.

ربتت الحكيمة أم تعامة على كتفها ونظرت إلى عينيها وقالت:

- ما بك أراك حزينة؟

تنهدت ليلي وقالت بحرقة:

- حزينة على فقدان أبي الملك برقان وضياع مملكتنا.

عانقتها الحكيمة وقالت:

- لا عليك، سيأتي يوم تنتقمين فيه من الظلام.

قال الحكيم فقطش:

- يراع هل أنت مستعد لبدء التمارين قبل اجتياز الميركابا؟

- أنا مستعد.

أمضى يراع عشرة أيام وهو يمارس خلوة التأمل، ممضيا أغلب أوقاته جالسا على ربوة صغيرة بين الأشجار المطلة على جانب الوادي، متأملا مرة في السماء، ومرة في الماء المار بجانبه، ثم يغمض عينيه تارة ليسمع صوت الهواء، ثم يتأمل في التراب، لعله يفهم العناصر الأربعة المكونة للطبيعة.

كانت ليلي تمدده بالطعام مرة في اليوم لتختفي عن أنظاره حتى لا تشتت تفكيره، فكان يأكل من بذور النبات وبعض الفواكه فقط، وقد حرم عليه الحكماء أكل كل ما فيه روح كالأسمك واللحوم، وكل ما يخرج من روح كالحليب والبيض، حتى تتقوى هالته وتتحسن طاقته الداخلية.

كان هدف الحكماء الأربعة هو إبعاد يراع عن كل المؤثرات الخارجية المحيطة به، وأن يصير منفصلا انفصالا تاما بذهنه وجسده عن العالم الخارجي، وذلك من أجل شحن طاقته الروحية والوصول إلى مرحلة الانطفاء الكامل، فيصبح جسده وروحه في حالة سلام تام وكامل، يكون فيها يراع خاليا من التلهف، والغضب، والتسرع، وأية معاناة أخرى.

من بعيد وقف الحكيم فقطش يراقب يراع، فاقتربت منه الحكمة أم تعامة وقالت:

- أيها الحكيم فقطش، هل تظن أن عشرة أيام كافية ليراع لكي يدخل الميركابا؟
- نحن بني الجن قد نمضي أزيد من سنة في الخلوة ولا نستطيع ولوج الميركابا الأم، لكن أعتقد أنه مع هؤلاء البشر لا شيء مستحيل.

-34-

وقف يراع على ضفة نهر النيل العظيم، فاقترب منه الحكيم فقطش وقال:

- هل أنت جاهز؟

- نعم.

نزع يراع كل ملابسه وأساوره التي في معصمه، فأمسك الحكيم فقطش بيده وتقدم به داخل النهر حتى وصلت المياه إلى حلمتيه، رش على رأسه ماء النيل ثلاث مرات، ثم أعطسه كليا سبع مرات، ثم أخرجه من النهر وقال له:

- يراع قد قامت قيامتك اليوم، ها أنت الآن في سلام وتناغم داخلي بين جسدك وروحك.

قال يراع وهو يحاول ارتداء ملابسه:

- ما فائدة هذا الطقس؟

- إنتظر لا ترتد ملابسك فإنك ستدخل الميركابا عاريا.

مسك الحكيم فقطش يد يراع مرة أخرى، وتوجه به نحو الغابة قائلا:

- هذا الطقس يسمى التعميد ويفيد الإنسان في ضبط الشاكرات السبعة المضيئة في جسمه؛ أظنك تعرفها؟

أوما يراع برأسه قائلا:

- نعم سبق أن أخبرتني عنها ليلي وشيء آخر اسمه الهالة وهو يحيط بي.

- نعم هناك هالة ضوئية تشع منك، تستطيع القوى الشريرة أن تلج من بين شقوقها لتخترق شاكراتك، وتسبب لك أذى نفسيا أو جسديا.

- آه فهمت.

- التعميد وذهن الجسم بزيت الزيتون يفيدان في غلق شقوق الهالة وإصلاحها، وبالتالي لا يستطيع أي جني أديتك عن طريق السحر، وهذا ما قمنا به الآن في نهر النيل، فلقد صار جسدك محصنا ضد سحر الظلام وضد التوابع التي يرسلها عزازيل.
- قال الحكيم نموشالخ وهو يقترب منهما:
- أيها الحكيم فقطش إن الميركابا جاهزة.
- حسنا جاء دورك، خذ يراع إليها.
- مسك الحكيم نموشالخ بيد يراع، ثم تقدم به بين الغابات الكثيفة، وخلفهما كل من الحكيمين فقطش وأم تعامة وليلى.
- كان يراع يشعر بأن الأرض تطوى تحت أقدامه، وهم يسرون بسرعة فائقة، حيث كان ذهنه منصبا فقط على الميركابا وما قد يحدث في داخلها.
- توقف الجميع وسط غابة كثيفة الأشجار، حيث كانت السماء محمرة تميل إلى الغروب، فقال يراع:
- إنه الغروب لقد مضى الوقت بسرعة.
- قالت الحكيمة أم تعامة:
- لم تشعر بذلك يا يراع.
- قال الحكيم نموشالخ وهو يشير بصولجانه:
- أنظر يا يراع الميركابا أمامك.
- نظر يراع بذهول إلى الميركابا التي كانت ذات شكل بيضاوي مغروس نصفها الأسفل في الأرض، وهي مصنوعة من الحديد والبرونز المتداخلان.
- لحدود هذا الوقت لم أستوعب بعد كيف تعمل هذه الميركابا.
- ضحك الحكيم نموشالخ وقال:
- أسئلتك دائما صائبة أيها الإنسي.

أدخل الحكيم يده تحت معطفه، وأخرج بلورة صغيرة بحجم نصف
تمرة وقال:

- خذ هذه البلورة يا يراع، وضعها على عين واحدة وأغمض العين
الثانية، وانظر إلى الميركابا.

وضع يراع البلورة على عينه، ونظر إلى الميركابا، فإذا به يرى
أضواء كثيرة بألوان قوس قزح وهي تشع من كل جوانب الميركابا، كما
شاهد رأسها يدور من اليسار إلى اليمين ببطء، فقال الحكيم نموشالخ
مجددا:

- ارفع عينيك إلى الأفق الأعلى.

رفع يراع عينيه فإذا به يبصر حبلين رفيعين يربطان الميركابا
بالسما؛ الأول خيط أبيض، والثاني الأقل سمكا ذو لون أحمر وهاج،
فقال:

- يبدو أن هذه الميركابا مربوطة بشيء ما في السماء.

- دقق النظر جيدا.

بدأ يراع يتتبع الحبلين وهما ماران بين النجوم، وظل الحكيم
نموشالخ يردد "أكثر، فأكثر" حتى وصل يراع إلى نهايتهما فقال:
- حسنا يبدو أنهما مربوطان بنجمين مختلفين.

- إنه يسمى رأس الغول، ويتكون من نجمين الأبيض اسمه القزم
والأحمر اسمه العملاق، وسماه حكماؤنا برأس الغول لأن النجمين
يشبهان عيني الغول عندنا.

قال يراع وهو فاغرا فمه من شدة الذهول:

- هذا جميل.

- من خلال هذه البلورة يمكنك أن تتجول في الكون الفسيح، حاول يا
بني أن تتحكم فيها، وتجعلها تنسجم مع تفكيرك.
- حقا، هذا شيء لا يمكن للعقل أن يتصوره.

- بعد جولة في أرجاء الكون الفسيح، أزال يراع البلورة عن عينه، ومدّها للحكيم نموشالخ، فقال الحكيم:
- إنها لك يا يراع، خذها يا بني فإنك ستحتاج أن ترى مالا يرى بالعين البشرية.
- ضحك يراع وقال:
- ألا ترى أنني عارٍ أين سأتركها؟
- ضحك الجميع، فقال الحكيم نموشالخ:
- حسنا أعطها ليلي لكي تحتفظ بها في كيس بيضة الحياة.
- قال الحكيم فقطش وهو يضع يده على كتف يراع:
- ستحتاجها حين ستخرج من الميركابا.
- وكم من الوقت سأمضي في هذه الميركابا؟
- أجاب الحكيم نموشالخ:
- على قدر المعرفة التي تود أن تتلقاها؛ يا يراع ستدخل إلى عالمك الخاص، ستحلّق في أعماق المعرفة المطلقة، قد تمضي فيها يوما، أو بعض يوم، أو شهرا كاملا، وقد تمتد بك الرحلة لسنوات طوال.
- سكت الحكيم قليلا ثم قال مسترسلا:
- أو قد لا تخرج منها أبدا.
- أحست ليلي باضطراب، وبلهجة شديدة قالت:
- إذا كان لن يخرج منها أبدا سأدخل معه، فلا أطيع هذا الأمر.
- لا تقلقي إنه يحبك، وسيجد الطريق ليخرج إليك.
- إسمع يا بني، حين ستدخل ستنتقل عن هذا العالم، حاول أن تضع هدفك أمام عينيك، وإلا ستتوه بين الحقائق.
- هل سبق لإنسي قبلي أن دخل إلى الميركابا؟
- أجاب الحكيم نموشالخ مبتسما:
- هل كل بني الإنس هكذا مثلك كثيري الأسئلة؟!!
- ضحك يراع وقال:

- تراودني الكثير والكثير من الأسئلة، أريد أن أزيل كل الغموض من ذهني، قبل أن أدخلها.

- هذا شيء مثير للاهتمام فيكم، السؤال هو طريق إلى المعرفة، والمعرفة باب من أبواب الحكمة، إسمع يا بني ستكون أنت أول انسي يدخل الميركابا، سترى عوالم متعددة، ولمحات من كل شيء، باختصار كل ما تريد البحث عنه ستجد إجابته هناك، كما أن ما ستراه هو شيء يخصك أنت، فلا تخبر به أحدا، ولن يستطيع أحد الاطلاع عليه.
قال يراع وهو يأخذ أنفاسا قوية:

- حسنا أنا مستعد.

رد عليه الحكيم نموشالخ:

- هل هناك من سؤال آخر أيها المستنير.

- لا.

أطلق الحكيم نموشالخ شرارة قوية من صولجانه نحو الميركابا، التي اهتزت وبدأت تدور حول نفسها، فاصلة الحديد عن البرونز، فظهرت بوابة مظلمة؛ تقدم نحوها يراع ببطء حتى وصل قربها، فحاول الالتفاف خلفه ليرى ليلي، لكن قوة جذب قوية سحبتة نحو الداخل.
قال الحكيم نموشالخ:

- ليكن إبل في حفظك يا بني، فهذا أمر ليس بالسهل عليك.

إقتربت الحكمة أم تعامة من الحكيم نموشالخ وقالت:

- السؤال الذي كان على يراع طرحه هو كم سيصمد جسده البشري داخل الميركابا، لكنه لم يسأله.

- هذا ما يقلقني أيتها الحكمة.

قال الحكيم فقطش:

- أتمنى أن ينجح كما نجح في تحرير جسده والقدوم إلينا بسرعة البرق من بلاد سوسة شرقا إلى تل العمارنة غربا.

تقدمت داخل الميركابا بخطى بطيئة، وأنا متوجس من الظلام، وفجأة سمعت صريرا قويا كصوت الرحي وهي تدور، ثم أقفلت الباب خلفي، وعم الظلام الدامس، والسكون المطبق، فلم أكن أسمع سوى دقات قلبي المتسارعة، وتدفق الدماء في عروقي.

بعد برهة، أخذت نفسا عميقا، ثم مددت عنقي طويلا، فلاحظت نقطة ضوء بيضاء صغيرة جدا، فكانت كلما دققت فيها النظر ازدادت كبرا، وكلما أشحت عنها تقلصت، فقلت:

- إني أتحكم فيها.

فجأة سمعت صوتا في داخل عقلي يجيبني: "نعم أنت من تتحكم هنا".

بدأ النور المشع يكبر شيئا فشيئا، إلى أن اختفى الظلام، فوجدت نفسي أسبح في فضاء واسع غير محدود، بلا سماء، وبلا قعر، وبلا جدران، وبلا حدود، ثم نظرت أسفل قدمي، فوجد نفسي واقفا على اللاشيء؛ أصابني الذهول والقلق، مما أدى إلى فقدان توازني، وسقوطي بسرعة نحو الأسفل.

ظللت أسقط في قعر بلا نهاية، حتى استجمعت أنفاسي، وحاولت التحكم في مصيري، وفجأة ظهرت بالقرب مني حبال خضراء حاولت الإمساك بها لكنها هي التي أمسكتني من يدي، والتفت على ذراعي، فظللت معلقا بها، حتى ظهر حبل آخر ذو لون قرمزي، اقترب مني بسرعة واخترق سرة بطني، حتى صرخت بقوة، لكنني لم أكن أستطيع سماع صوتي أو تحريك شفتي.

سحبنتي الحبال بعيدا نحو الأمام، ثم هوت بي بسرعة نحو الأسفل، فشاهدت نهرا جاريا كأنه شلال أفقي، وما إن قررت أن أنزل، حتى تركنتي الحبال لأسقط فيه.

أحسست كأني أسبح في ماء لزج أتحرك فيه بصعوبة، ثم فجأة فقدت
توازني وغرقت في عمق النهر؛ حاولت حبس أنفاسي لكنني لم أستطع
التحمل، أحسست بالفشل، ثم استسلمت للماء، فقلت متعجبا
- أنا أتفلس في الماء كالسمكة؛ عجبا لاشيء يسير هنا وفق
الطبيعة!!

-35-

- تحرك مولوخ بين جنوده يعدهم للهجوم على مدينة سوسة ويشرح لهم خطة الهجوم ودور كل فيلق من فيالق جنوده، فقال له رأوبين:
- حاول يا مولوخ ألا تخسر كثيرا من الجنود، فلازالت تنتظرنا المعركة الأهم في بابل.
- لا تقلق، سنباغتهم بسرعة فهم لا يتوقعون أي هجوم، سنضربهم ضربة واحدة وهم غافلون.
- إذن إحرص على أن يظل الجيش متخفيا بين الأحراش والأشجار حتى نقترب أكثر.
- إمتطى مولوخ حصانه وقال:
- سحر السيدة ليليث سيعميهم، ومارداتها سيراقبن السماء.
- ثم توجه بحصانه نحو الجند المعسكرين وقال:
- هذه الليلة سنغير على بلاد سوسة، سنهجم على أبناء شيت انتقاما من جدنا الأكبر، فأحرقوا كل شيء، واختطفوا النساء، واسرقوا الذهب، واجمعوا الغنائم.
- حل الليل سريعا فقالت ليليث:
- تعرفين ما عليك فعله يا لاقيس.
- نعم سيدتي.
- إذن، هيا انطلقى.
- حلفت لاقيس في السماء عاليا، ثم تبعتها الجنيات الماردات، فتوجهن صوب سماء سوسة، فقالت ليليث:
- كل شيء جاهز يا مولوخ لقد حان دورك للهجوم.
- أمرك سيدتي.
- قال مولوخ وهو يتجول بين جنوده.

- هيا، فليمنط الجميع جياده، وليتقدم الفرسان أولا، ومن خلفهم باقي الجنود.
- ثم وقف عند رأوبين وقال:
- وأنت أئن تأتي معنا؟
- قال رأوبين مبتسما:
- أنا شيخ كبير لا طاقة لي بالحرب، سأظل هنا في انتظاركم.
- حسنا؛ لك ذلك.
- تقدم مولوخ بفرسه إلى أن وصل جيشه إلى مشارف بلاد سوسة، وقال:
- هجوم.
- صرخ جيش حنوك بقوة، وتوجه صوب أسوار سوسة، وفي تلك الأثناء قذفت الماردات كرات النار صوب أكواخ المدينة، فشب حريق كبير، وارتفعت ألسنة النار.
- استفاق يارد من نومه مفزوعا وحمل سيفه، ثم ركض في بهو القلعة، فالتقى بالأمير برائيل وقال:
- ماذا هناك أيها الأمير برائيل؟
- إننا نتعرض لهجوم مباغت ربما من جنود الظلام.
- ركض يانيل نحو علية القلعة وقال:
- أنا ذاهب لأضرب الأبواق، وأخبر سكان سوسة بالدخول إلى القلعة للاحتماء.
- حسنا يا بني اذهب.
- ركض يارد وبرائيل صوب الخارج فقال برائيل:
- أيها الجنود احموا الأسوار، وجهزوا السهام، فليتقدم الفرسان إلى الأمام.

كان جنود مملكة حنوك يضعون السلالم الطويلة على جدران المدينة ويتسلقونها بسرعة، فيما كان جنود سوسة يمطرونهم بالسهم، لكن النيران المشتعلة خلفهم صعبت من مأموريتهم.

نزلت لاقيس على الأرض مع باقي الجنيات، وذهبت صوب البوابة الرئيسية، ففدفتها بكرات النار حتى انهارت ليلجها جنود مولوخ بكل سهولة.

قال قائد جيوش سوسة:

- سيدي برائيل؛ لقد فتحت الأبواب الكبرى، يجب أن تتسحب داخل القلعة.

امتطى الأمير برائيل حصانه وانطلق سريعا نحو الداخل، وخلفه كل من يارد وابنه يانيل وعدد من الجنود.

- حصنوا الأبواب جيدا.

اقترب الأمير برائيل من يارد وأردف قائلا:

- اذهب مع ابنتي فايا وابني يانيل عبر السرداب السري، سيؤدي بكم مباشرة إلى أعماق الجبال الخلفية، وستجد هناك كهفا سيوصلك إلى الضفة الأخرى حيث نهر الفرات، فتتبعه إلى أن تصل إلى بابل، ستكون قد اختصرت مسيرة عشرة أيام.

- ولكن الحرب.

قاطعته برائيل قائلا:

- فايا حامل لا تخذلها وفكر في حمايتها وحماية ابنك، سيرافقكم يانيل ليدلكما على الطريق.

قالت فايا والدموع تنهمر من عينيها:

- وأنت يا أبي؟

قال برائيل وهو ممسك بكتفي ابنته:

- يجب أن أقود المعركة لا يمكنني التخلي عن جنودي وسوسة قد تعرض جدارها للاختراق.

ثم عانق ابنه ويارد واسترسل قانلا:

- هيا انطلقوا.

ركض يانيل قانلا:

- اتبعاني من هنا.

حمل برائيل سيفه وقال للجنود:

- استعدوا.

في الجهة المقابلة كان جنود حنوك يحرقون كل شي يجدونه بالقرب منهم، وينهبون كل شيء غالٍ ونفيس، ويجمعون النساء والأطفال في عربات حديدية كالأقفاص.

وقف مولوخ بالقرب من بوابة القلعة، ووقفت بجنبه ليليث، واصطف الجنود خلفه يمينا ويسارا، رفعت ليليث يدها عاليا وقذفت بوابة القلعة بشرارة قوية متسببة في انفجارها. دخل جنود حنوك بسرعة واشتبكوا مع جيش سوسة فيما ظلت ليليث وباقي الجنيات خارجا في انتظار انتهاء المعركة.

قالت لاقيس:

- لماذا لا نشارك في المعركة؟

- دعيهم يقاتلون بعضهم البعض، أما أنا فأخاف من المواجهة المباشرة معهم.

- تخافين؟!!

- إذا كان أبوك عزازيل بنفسه يخاف منهم كيف سيكون حالي.

- أبي عزازيل!! لكني قد قاتلتهم قبل قليل، وقضيت على عدد من الجنود بضربة واحدة.

- ليس الأمر كما تتصورين.

كانت الاشتباكات قوية بين جنود حنوك وجنود سوسة خاصة مع المقاتلين القادمين من بابل، فقد كانوا أكثر صلابة وقوة، وتسببوا في قتل العديد من جنود حنوك.

ظلت المعركة إلى حدود الفجر، حيث تم إلقاء القبض على الأمير
 برائيل، واستسلام كل الجنود المتبقين على قيد الحياة.
 بسرعة ضرب مولوخ رأس برائيل وفصله عن جسده، ثم حمّله
 وخرج به إلى ليليث وقال:
 - سيدتي، هذه هديتي لك.
 قبلته ليليث من فمه، ثم اقتربت منه لاقيس وقبلته بدورها وقالت:
 - يعجبني الأبطال.
 قال مولوخ:
 - لن يهنا لي بال حتى تسقط بابل.

-36-

لا أدري ما الذي حدث لي، كل ما أعرفه أنني سبحت في نهر لزوج
أستطيع أن أتنفس فيه بسهولة، لكنني لا أستطيع تذوق طعمه وشم
رائحته، بحق إيل أنا لا أستطيع حتى رؤية يدي أو رجلي وباقي أعضاء
جسدي، كأنني تلاشيت وتحولت إلى كتلة هواء تسبح في نهر عميق.

لفت انتباهي أضواء براقعة في قعر النهر، كأنها نجوم ليلية تسبح في
فضاء مفتوح، فلم أتمالك نفسي، وغصت في اتجاهها مادمت أستطيع
التنفس في هذا الماء اللزج.

اكتشفت أنني أستطيع التحكم في سرعتي، بل أستطيع التحكم في كل
شيء داخل هذه الميركابا، كأنها مربوطة بعقلي، أو أنها تقرأ أفكارني
وخواطري.

وصلت إلى النجوم، فاكتشفت أنها بلورات مضيئة تشع بالألوان
المتموجة الجذابة، فاقتربت من إحداها ببطء شديد محاولا إمساكها،
ولكنني لم أستطع ذلك، فلم أكن أتحكم في يدي التي كانت كفقاعة هواء
سابحة نحو المجهول.

كنت كلما اقتربت من بلورة إلا وارتفع ظننيها وشاهدت الأضواء
تموج داخلها؛ فجأة انجذبت بقوة نحو إحداها وغصت في أعماقها.

أحسست ببرد شديد حيث كان المكان مليئا بالثلج؛ وجدت نفسي
مرتديا معطفا جليدا ذا فرو كبير، ثم لاحظت قطيعا كبيرا من الحيوانات
الضخمة فقلت:

- ما هذه المخلوقات التي لم يسبق لعيني أن رأتها؟

هاتفني صوت في أذني: "إنه حيوان الماموث يوم كانت الأرض عبارة عن صقيع"

إقتربت أكثر من الصيادين محاولا محادثهم، فانتبه إلي أحدهم، وكان ذا عينين غائرتين، ولحية طويلة شبيهة متجمدة، يرتدي مثل زملائه الصيادين ألبسة مصنوعة من الجلود تحيط بكل أجسامهم، فاقترب مني ببطء، ثم فجأة رفع رمحه وركض نحوي؛ حاولت الفرار، لكن إلى أين لا أرى أمامي إلا بياض الثلج يحيط بي من كل مكان.

أحسست بالفزع الشديد، ونظرت في كل الاتجاهات وقلت:

- أين المفر؟ كيف أعود إلى الميركابا؟

هاتفني الصوت مجددا في أذني: "أنت في الميركابا"

تنفست الصعداء، وخطوت خطوات إلى الخلف، فإذا بي أجد نفسي انتزعت من البلورة؛ وعدت إلى النهر سابحا بين باقي البلورات. لم أكن أتوقع هذا الخروج السلس، وغامرني إحساس شديد في إعادة الكرة من جديد، إنه شيء مفر أن أطلع على عوالم جديدة.

سبحت نحو بلورة أخرى ذات لون أزرق وهاج، إقتحمتها ووجدت نفسي أطفو على ماء منهمر من كل الاتجاهات، كأنني في بحر بلا حدود، تتساقط فيه الأمطار بقوة، فلم أعد أعرف هل الماء ينزل من السماء أم يصعد إليها، فقررت الغطس قليلا لأكتشف ما يوجد تحت هذا الماء، حاولت التنفس لكنني شعرت باختناق شديد؛ بحق إيل إنه بحر حقيقي غير الذي كنت أسبح فيه مع البلورات. رفعت رأسي حتى طفا جسمي على الماء، فتساءلت هل إذا حدث لي مكروه هنا سأصاب به حقا؟ أم أن هذا مجرد تخيل يحاكي الواقع؟

رد علي ذات الصوت الذي أسمعُه ضمناً في أعماق عقلي: "إذا تعرضت لمكروه هنا، سيتعرض جسمك لنفس المكروه، فإذا مات جسدك، ستظل روحك عالقة في الميركابا إلى الأبد".

شعرت بالفزع الشديد، وما زاد من خوفي هو رؤيتي لسفينة ضخمة دائرية تطفو فوق الماء تقترب مني، وقد تدهسني دون أن ينتبه أصحابها فقلت:

- أين أنا؟!!!

- أنت في الطوفان العظيم، وهذه سفينة أوتنابشتم⁴³، إن الأرض تنهمر بالماء بسبب غضب إيل على بني الإنس.
قلت في تعجب:

- ألهذا الحد أغضبنا إيل؟

قررت في نفسي أن أخرج من الطوفان قبل أن أتعرض لأذى من طرف السفينة، أو أغرق في الماء مع الغارقين، فوجدت نفسي أترجع من البلورة.

أثارني الفضول الشديد، فتوجهت صوب بلورة ذات لون أصفر، لأجد نفسي في ممر ضيق لجناح ما؛ كانت فيه مصابيح ضوئية غريبة، فلمحت في الممر قطة صغيرة تموء قرب قدمي. حاولت الإمساك بها، إلا أنها هربت، فتبعتها إلى أن دخلت باب غرفة مفتوح.

وجدت الغرفة تعج بشباب في مقتبل العمر، وهم جالسون بخشوع إصغاءً لكلام رجل كهل يبدو أنه صاحب القطة التي حملها على كتفيه، ومن دون أن ألفت انتباه أحد جلست قرب أحد الأشخاص فسألته:

⁴³ ورد ذكره في ملحمة جلجامش

- أين أنا؟

قال الشخص الذي بجانبني:

- أنت في محاضرة الدكتور شرودنغر⁴⁴

وقف أحد الشباب وقال:

- هل الإلكترون يدور على نفسه؟

رد الدكتور شرودنغر:

- نعم، ولكي أشبه ذلك أكثر؛ فإن هذه العملية تسمى باللف

المغزلي، فكما تدور الأرض حول نفسها وحول الشمس، فإن الإلكترون

يلتف حول نفسه، وفي نفس الوقت يدور في مدار النواة.

لم أكن أفهم الحوار الدائر بين الدكتور شرودنغر، والشباب المتجمع

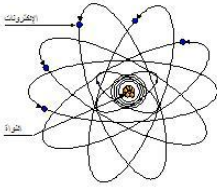
عليه فقال الدكتور صاحب القطة وهو منحن على آلة صغيرة موضوعة

فوق الطاولة:

- من يتطوع إلى هنا، ويلقي نظرة على المجهر، لتتبع حركة

الإلكترون في النواة؟

بسرعة رفعت يدي وقلت:



- أنا أتطوع.

- إذن، فلتتقدم عندي.

ألقيت نظرة على المجهر، فأصبحت

بالذهول، وأنا أتأمل في مسار هذا

المسمى الإلكترون فقلت بعد تأمل:

- إنه يرسم زهرة الحياة، نعم إنها زهرة الحياة. كل شيء مرتبط.

قاطعني الدكتور قائلا:

⁴⁴شرودنغر: Erwin Schrödinger فيزيائي نمساوي معروف بإسهاماته في ميكانيكا الكم وخصوصا معادلة شرودنجر والتي حاز عبرها على جائزة نوبل في الفيزياء عام 1933م

- وما هي زهرة الحياة؟
 - لا، لا شيء.
 - إرجع إلى مكانك أيها الطالب.
- إسترسل صاحب القطة التي لم تفارق كتفه قائلاً:

- لقد قال زميلكم أثناء رؤيته للمجهر أن كل شيء مرتبط، وهنا أريد أن أحيلكم على "نظرية كل شيء"⁴⁵ من الجيد أن تطلعوا عليها، فنظرية "كل شيء" تشكل وصفا شمولياً للمادة في الفيزياء النظرية، من المفترض أنها قادرة على تفسير جميع الظواهر الفيزيائية بشكل كامل، فهي تربط العناصر الأربعة المعروفة. قاطعت صاحب القطة وقالت:

- العناصر الأربعة: النار، والهواء، والماء، والتراب.
- ضحك شرودنغر كثيراً وقال:

- لا يا بني العناصر الأربعة المعروفة هي: القوة النووية الشديدة، والتأثر الكهرومغناطيسي، القوة الضعيفة، وقوة الجاذبية.

لم أكن أستوعب الدرس الذي قدمه الدكتور شرودنغر صاحب القطة، فانتزعت من البلورة، وعدت إلى النهر حيث الميركابا، وقالت:

- نعم كل شيء مرتبط بزهرة الحياة إنها هندسة فريدة للكون.

وجدت بلورة أخرى سابحة بالقرب مني، فقلت ربما تتوفر هذه على إجابات معينة، فاقتربت منها لأجد نفسي في مكان فسيح بين الأشجار،

⁴⁵ نظرية كل شيء Theory of everything يرمز إليها اختصاراً بـ TOE وتسمى بمعادلة الكون

على هضبة تطل على مدينة ضخمة ذات عمران شاهق إلى السماء، كانت مدينة بلا أسوار، لكن هناك طرق كثيرة تلفها معبدة بالقار، وتخرج منها عربات كثيرة غير مجرورة بالأحصنة، فيما بعض الناس فضلوا الخروج منها راكضين، كأنهم مفزوعون من شيء ما.

كان أحد الأشخاص واقفا بالقرب مني مرتديا ملابس غريبة ومنتسخة، يبدو كأنه متشرد ذو لحية بيضاء كثيفة، فكان يشاهد منظر الهروب مثلي، لكنه كان يضحك من هذا الفعل، فقلت له:

- سيدي، ماذا هناك، لماذا الجميع يهرب؟
نظر الرجل نحوي بغرابة، ثم أمسك قارورة زجاجية، فشرب منها ثم قال:

- يا صاح أي مخدر تستعمل، لا تدعي أنك لا تعرف شيء!
- حقا لا أعرف، قل لي ماذا هناك؟
ضحك الرجل مرة أخرى بقوة وقال:

- العالم كله يتربص هذا الضوء القادم من السماء، إلا أنت!!
- وما هو هذا الضوء؟
أشار الرجل بيده إلى الأعلى وقال:

- حسنا أيها المجنون، هناك في السماء حيث الضوء، يقال بأن نجم نيوتروني⁴⁶ سيضرب أشعته الأرض وستنبحر كالنفاث، وستنتهي هذه الحياة البنيسة.

رشف الرجل رشفة أخرى من زجاجته، ثم بدا ضوء السماء يشع أكثر، فلم أستطع التحمل، ونزعت البلورة من وجهي، لأعود إلى النهر.

⁴⁶ هو نوع من البقايا النجمية التي يمكن أنت تنتج من انهيار جاذبية نجم عملاق ويسمى بالنجم النابض أو النجم الطارق

قلت:

- يا لها من نهاية حزينة للأرض.
لاحظت بلورة أخرى أقل حجما لكنها أكثر إضاءة، فسبحت نحوها بسرعة، قبل أن تختفي بين البلورات، فاصطدم وجهي بها لأجد نفسي في بوابة غابة الأرز، وبها وجدت رجلا ضخم البيئة، ملتحفا برداء أحمر، وهو يبكي كالأطفال، فاقتربت منه وقلت له:

- ما يبكيك يا رجل؟

- لقد فقدت أعز ما أحب، صديقي وحبيبي أنكيدو.

نهض الرجل، وبدأ بالصراخ عاليا:

- أنا جلجماش خامس ملوك أوروك⁴⁷ خسرت نفسي و خسرت أنكيدو.

التفت نحوي ثم قال:

- إسمع يا بني سأحكي لك قصة لعلها تظل راسخة في الأذهان ويستفيد منها غيري.

لقد كنت ملكا على مدينة أوروك، فتجبرت على شعبها وأرهقتهم وأخذت نساءهم، ثم التقيت بأنكيدو وبعد صراع طويل، قمت معه برحلة للبحث عن الخلود.

قلت بلهفة:

- هل عثرتما على زهرة الحياة المؤدية إلى الخلود؟

قال جلجماش بصوت مجهش بالبكاء:

⁴⁷ هي مدينة الوركاء تقع في محافظة المثنى جنوب العراق

- لقد التقيت رجلا كبير السن، هو أول من وصل إلى سر الخلود، اسمه أوتنابشتم، أتدري بماذا أخبرني؟!
تذكرت حين غصت في إحدى البلورات، قد التقيت بسفينة أوتنابشتم فقلت لجلجماش بلهفة:

- بماذا أخبرك؟

إقترب لجلجماش من أذني وقال:

- لا يحصل الإنسان على الخلود بالقوة، أو الحكم، أو المال، أو بنبئة سحرية، أو أي علاج أو دواء.
لكن يستطيع الإنسان الحصول على الخلود بطريق واحد فقط.

قلت بعد أن قتلتني الشوق:

- ماهي هذه الطريقة؟ أخبرني أرجوك.

قال لجلجماش:

- أكتب

- ماذا أكتب؟

- أكتب ماضيك وحاضرك وأرسم مستقبلك.

- لم أفهم!

- إسمع يا بني لا يمكننا أن نتحايل على الموت، لكن بفضل الكتابة قد نظل خالدين؛ التدوين يا إبني هو سر الخلود.

- فهتم نوعا ما.

نهض لجلجماش ثم قال:

- سأعود إلى أوروك، سأكتب قصتي ليخلد اسمي بين الأمم، أما

أنت يا بني أدخل إلى غابة الأرز لمواجهة ذاتك هناك، وستفهم قصدي.

نزعت البلورة من عيني، وقلت:

- نعم إنها الكتابة، سأكتب قصتي أنا كذلك ليقراها العالم أجمع.
بحق إيل؛ العالم كله يسبح أمامي متدفقا كالنهر، أشاهد أحداثا متفرقة
غير مرتبطة بالزمن، قصصا وأحداث متفرقة؛ إن مصائر المخلوقات
كلها أمامي.

فجأة وجدت نفسي ارتطم مع بلورة أخرى دون أن أقصد مشاهدتها،
فوجدت نفسي في ممر طويل أدى بي إلى غرفة كبيرة يقف قريبا عدد
من الأشخاص.

إقتربت من أحدهم وسألته:

- أين نحن؟

رد الرجل:

- إنه جناح العمليات.

لمحت ضوءاً قويا منبعثاً من خلف زجاج البوابة فقلت:

- من الذي يرقد هنا؟

قال الرجل:

- إنه صديقي إلياس، لقد تعرض لصعقة برق قوية.

- كيف حدث هذا؟

نظر الرجل في وجهي باستغراب وقال:

- ألسنت من المنطقة!! فكل المدينة تعلم أمر الفندق الذي انهار

بحي الديوان بسبب صعقة برق أصابته، وصديقي هذا قد نجا بأعجوبة

بعد أن أصابته الصعقة مباشرة، وانهار الفندق فوق رأسه، فلقد أمضى نصف يوم كامل تحت الأنقاض، قبل أن يأتوا به إلى هنا. كنت أرى هالة قوية منبعثة من القاعة، فاجتزت الباب من دون أن أفتحها، وجدت شخصا مدرجا في دمانه والحروق تغطي جسده، وحوله بعض الأشخاص وهم يطببون جراحه فقلت:

- الأكيد أنه إلياس الذي تعرض لصعقة برق.
لم ينتبه الأشخاص الذين يعالجونه لتواجدي بينهم؛ فقال أحدهم:

- إننا نفقده، جسمه لا يستجيب للعلاج.
قال شخص آخر:

- أعدوا جهاز الصدمات الكهربائي.
كانت هالة إلياس بدأت بالخفوت، وبالرغم من محاولات إنعاش قلبه، فإنه لم يستجب، فلم أشعر بنفسي إلا وأنا أتدخل لعلاج؛ وضعت يدي على رأسه، ثم مسحت على كل جسده لامتصاص الأضرار التي حلت بجسمه، وقلت متعجبا:

- إنها ليست برقة طبيعية، إنها سحر أسود من صنع عزازيل، لقد حاول قتله، لماذا يا ترى!!؟

بحثت في جسم إلياس عن سر تعرضه لمحاولة القتل من قبل الظلام، فوضعت يدي على جبينه، ثم غصت في ذاكرته، فوجدت أن إلياس زار قبر الملك شامهارش، قاضي الجن والفاصل في المنازعات التي تطرأ بين العالمين المادي والروحي، وعثر في جدار قبره على نسخة من اتفاقية، وقعها الجن والإنس في قديم الزمان فقلت:

- ربما بسببها حاول عزازيل قتله.

بحثت في شكراته، وأصلحت العيوب التي تعرض لها، ثم أخرجت السحر الأسود من جسده حيث كنت أرى كل ما يدب في عروقه؛ عادت هالته بالتوهج من جديد، فصدمت مرة أخرى بقوتها وقلت:

- إنه مستتير آخر سيأتي بعدي ليحفظ سري، بحق إيل إنه من سلالتي ويحمل دمي الممزوج بدم ليلي؛ الآن فهمت لماذا أراد عزازيل قتله، لأن إلياس هو من سيقا تل الوحش ذو الستة مئة والستة وستين وجها، يجب أن أساعده على فهم ما يجري وإلا راح ضحية عزازيل وجنوده.

دمدمت بعض الكلمات التي تعلمتها ومنحت إلياس جزءاً من ذاكرتي، وخطا يمكن أن يصل به إلى الهدف المنشود، وبعد أن أصلحت جسده غادرت الغرفة فقال أحد المتواجدين:

- إنه يستجيب للعلاج، إن حالته تتحسن.

لازلت في النهر أسبح بين البلورات التي تأخذني إلى أحداث متفرقة من العالم غير مرتبطة بالزمان، قد أكون في الماضي وقد أكون في المستقبل؛ نعم، هذا ما أخبرني به الحكماء، أنه لا زمان ولا مكان داخل الميركابا، فاكتشفت أنني لا أبحث عن أجوبة بقدر ما كنت أبحث عن أوجه متعددة لسؤال الخلود.

لا أدري كم من الوقت قد استغرقت، ولكنني لا أدري كذلك كيف سأخرج من النهر، فحاولت السباحة عكس التيار، إلا أنني اكتشفت بلورة حمراء أكبر حجماً، فقد كنت أشعر بالإغراء كلما تمعنت في بلورة ما، فلا أدري حتى أجد نفسي قد ولجتها، فاقتربت من البلورة الحمراء ببطء، حتى وجدت نفسي جالسا في مقعد بين حشد من الجالسين، وأمامنا منصة كبيرة، ومكبرات للصوت، فقال أحد الجالسين على المنصة:

- الدكتور تيدروس أدهانوم غيبريسوس⁴⁸ تفضل بالكلمة سيدي:
وقف رجل أسمر اللون على المنصة وقال:

- أتصور عالمًا يستطيع كل إنسان فيه أن ينعم بحياة تملؤها الصحة والعافية، وأن يصبح قادرًا على الإنتاج وتحقيق النجاحات، بغض النظر عن الهوية التي ينتمي إليها أو الرقعة التي يعيش عليها. أو من تمامًا بأن الالتزام العالمي الذي قطعناه على أنفسنا بالتنمية المستدامة سيوفر فرصة فريدة ومميزة للنهوض بالصحة العالمية، لكن إذا كنتم قلقين من أن البشرية على أعتاب ثمانية مليار نسمة، وأن موارد الأرض لا تستطيع إطعام كل هذه الأفواه، وإذا كنتم قلقين من ارتفاع الفقر والهشاشة في هذا العالم؛ فإن ما يقلقتني هو أخطر من هذا؛ إنه الموت الصامت الزاحف لتدمير البشرية.
قلت بصوت خافض:

- هل يقصد الطاعون الأسود الذي صنعه عزازيل؟
إسترسل الدكتور مكملًا كلامه:

- إنه أخطر من الطاعون الذي سبق وأن ضرب العالم أكثر من مرة؛ إنها الأمراض المنتشرة في صمت بيننا وداخل هذه القاعة، إنها أمراض القلب والسكري وضغط الدم، والسرطان الذي أصبح منتشرًا بكثافة.

أيها السادة الحضور، يوسفني أن أبلغكم أن أزيد من أربعة مليار نسمة مصابون بهذه الأمراض، أي نصف سكان العالم مرضى، فإذا لم نجد الحل في هذا العقد من الزمن، قد نخسر نصف البشرية مستقبلاً.

أدعوكم أيها السادة إلى توحيد الجهود من أجل ضمان الصحة للعالم أجمع.

⁴⁸ رئيس منظمة الصحة العالمية Tedros Adhanom Ghebreyesus

تراجعت إلى الخلف، فرجعت إلى النهر لكنني هذه المرة كنت أكثر حزنا وتعاسة، بسبب هذه الأمراض الأشرس من الطاعون الذي سيطر على البشرية من قبل.

سبحت بين البلورات مكتشفا عوالمها الواحدة تلو الأخرى كأنني أحاول أن أنهل من كل المعارف، وأخبار البشرية، حتى اكتفيت، فقررت الابتعاد والارتفاع إلى الأفق، فاكتشفت هناك بلورة معزولة عن الجميع، كانت صغيرة الحجم، لكنها براقّة وجذابة، سبحت نحوها، لكنني لم أستطع ولوجها، حاولت أكثر من مرة، لكن دون جدوى، وقبل أن أصرف النظر عنها، لمحت داخلها، شكلا متموجا شبيها بالأشكال المرسومة على السيف الذي منحه لي حكماء مدرسة الحكمة، فقلت:

- بحق إيل إنه سر زهرة الحياة إنني أرى النار تتحول إلى بخار، والبخار يتحول إلى ماء، والماء يتحول إلى تراب، ثم التراب يتحول إلى نار إنها دورة عناصر الطبيعة.

رأيت كذلك أشكالا مرافقة لعناصر الطبيعة عبارة عن مثلث رباعي الجهات اتخذ عدة أوجه بمكعبات عجزت عن عدها لكثرة حركتها داخل البلورة.

قال صوت في أذني:

- لكل أثر في عناصر الحياة أثير يؤثر فيه، فما عليك إلا أن تتسجم مع الطبيعة لتفهمها، وكل ابتعاد عنها أو محاولة لتدميرها، سينهار التوازن المقدس والهندسة الفريدة للكون، وبالتالي سينهار كل شيء وسيعم الظلام.

فجأة عم الظلام، واختفى نهر المعرفة الذي كنت أسبح فيه مع البلورات، وتجلّى أمامي كون فسيح، وكواكب سيارا، ونجوم مضيئة

كثيفة، وشموس براقعة مشعة. تهت في ملكوت السماء، حتى تجلى لي
الإنس والجن في صعيد واحد، فلمحت بينهم حبيبتي ليلي تشع نورا.
لم أتمالك نفسي؛ فركضت نحوها بسرعة، خوفا من أن أفقدها بين
الحشود، لكنني لم أشعر بنفسي إلا وخسف يبتلعني، ودخلت في غيبوبة
كأنني أودع الحياة.

-37-

فتحت الميركايا بابها، وتدقق سائل لزج ذو لون بنفسجي، توجهت نحوه ليلى والحكماء الأربعة ليجدوا يراع وسط السائل يترنج ويتنفس بصعوبة، ويخرج قينا أصفر من فمه. كان جسمه متورما، وجلده متجعدا بلا شعر ولا لحية ولا حاجبين.

مسكت ليلى معظفا ولفت به جسم يراع، ووضعت يدها على رأسه حتى تماثل للشفاء وتوقف عن الارتعاد والتقيؤ، ثم حمله الحكيم نموشالغ نحو خيمة حمراء، وذهن جسده بزيت الزيتون حتى أصبح طبيعيا، ثم قال:

- يجب أن نتركه يستريح، وستشرفين أنت يا ليلى على علاجه، فلك من الخبرة ما يكفي لذلك.

بعد أسبوع استفاق يراع، وفتح عينيه، فوجد ليلى جالسة بالقرب منه، وهي تعد حساءً من حبات اليقطين، فقال بصوت ضعيف:

- ليلى!

ردت عليه بلهفة:

- أخيرا استفتت يا يراع.

قال يراع وهو يحاول أن يعدل من وضعية رأسه:

- هل خرجت من الميركايا؟ أم أنني أحم.

أجابته ليلى وهي تضع وسادة أخرى تحته:

- نعم لقد خرجت أيها البطل، لقد أمضيت في الميركايا أربعة أشهر

قمرية، وهذا ما أثر على جسدي.

- ماذا؛ أربعة أشهر؟

قال الحكيم نموشالغ وهو يدخل الخيمة، ومن بعده باقي الحكماء.

- نعم أربعة أشهر كاملة.
قالت ليلى:

- تناول حساء اليقطين لتسترجع عافيتك يا يراع.
بعد فترة نقاهة، إستعاد يراع عافيته، وبدأ يتجول بين أشجار النخيل الممتدة على طول نهر النيل وهو ملتحف برداء أبيض من الكتان، وممسكا عصا طويلة يتكى عليها حين يشعر بالتعب، وقد إستعاد بعضا من شعر رأسه، وظهرت حواجبه من جديد، وكانت ليلى تمشي بالقرب منه؛ فقالت له:

- ما بك تبدووا حزينا يا يراع؟
تنهد يراع وضرب بعصاه على الأرض وقال:

- لو تعلمين ماذا شاهدت لأصابتك الأحزان بكل أصنافها.
حاولت ليلى تغيير الموضوع فقالت:

- بدأت تستعيد شعرك أيها الأصلع.

- أشعر كأني ولدت من جديد.

- أحبك أيها الأصلع.

- أتعلمين أن حبي لك، هو ما يبقيني على قيد الحياة، هو ما يزرع في الأمل، فلقد فقدت الرغبة في كل شيء، لم أعد أهتم لا بجاه ولا بقوة كل شيء سيتم تدميره؛ هذا الحب هو ما جعل قلبي يزال ينبض إلى الآن.
ضحكت ليلى وعانقتة، وقالت:

- دعك مما سيحدث في المستقبل، دعنا نعيش اللحظة، نعيش اليوم، أما الغد ففيما بعد نتدبر أمره.

قبل يراع ليلى، وبدأ يداعب خصلات شعرها وقال:

- أتذكرين يوم جرحنا يدينا واختلطت دماؤنا؟

قالت ليلى وهي تقبله بشرافة:

- نعم.

- منذ ذاك الحين ومصيرنا مشترك.

ظلا طيلة المساء يداعبان بعضهما البعض بين أشجار النخيل إلى أن حل الليل، فدخل يراع خيمته وتبعته ليلى التي أشارت بيدها نحو ضوء الشموع فصار باهتا، ثم فسخت ربطة معطفها البني، فآزالتة لتظل عارية تماما.

تأمل يراع جسد ليلى الوهاج، كان صافيا شديد البياض، براقا أكثر من ضوء الشموع؛ شاهدها وهي تزيل مقبضا حديديا من رأسها، فتدلى شعرها الأشقر الطويل، وبرزت بوضوح أذناها المدببتان.

كانت عيناها فاترتين هادنتين، وخذها براقا لامعا؛ اقتربت أكثر منه، ووضعت يدها على عنقه، ثم دفعت بصدرها النافر كحبات الرمان نحوه. أمسك يراع خصرها، وسحبها نحوه ثم ارتميا فوق السرير، وناما معا.

حل الصباح الباكر، وكانت ليلى نائمة على صدر يراع الذي جافاه النوم، حيث ظل يمرر أصابع يده اليمنى على خصلات شعرها، وصولا إلى أذنيها المدببتين اللذان أثارا استغرابه، فمهما تشبه الجن بالإنس، إلا أن الأذن تظل علامة فارقة بين الجنسين.

أحس يراع بحركة غريبة قرب الخيمة، فلقد أصبحت لديه قدرة كبيرة على استشعار الآخر الخفي، فبدأ يترقب إلى أن سمع صوتا ينادي عليه:

- أخرج إلى هنا يا يراع.

كان صوت الحكيمة أم تعامة ينادي عليه، فانسل بصعوبة من تحت جسد ليلى التي كانت منهكة بليلة حافلة من الحب.

- أهلا بالحكيمة أم تعامة.

- إن الحكماء ينتظرونك لتتعرف على مهمتك الجديدة، أترك ليلى نائمة وهيا معي.

انتقلا معا نحو ربوة صغيرة بين الأشجار الكثيفة، فضربت الحكمة بصولجانها صخرة متوسطة الحجم؛ لتختفي وتكشف عن ممر كان مدخلا لمدرسة الحكمة المتخفية هناك.

تقدم يراع بين طلاب المدرسة وهو يلقي التحية عليهم، إلى أن وصل إلى قاعة كبيرة ذات أبواب سامقة، ففتحت في وجهه وهو يحملق في المكان؛ فقد كان دائما يتساءل كيف لمكان يبدو صغيرا من الخارج، أن يكون كبيرا جدا من الداخل؛ أهو سحر، أم تحكم في قوانين الطبيعة.

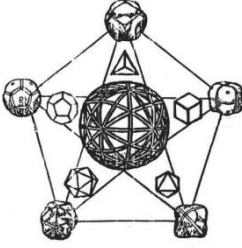
قال الحكيم فقطش، وهو يربت على كتف يراع:

- أهلا بالمستنير، كيف أصبحت صحتك؟
- بخير؛ لقد تحسنت حالتي.
- اجلس هنا أيها المستنير.
- جلس يراع إلى جانب الحكماء الأربعة على طاولة خماسية الأضلاع، وبدأ يدقق فيها النظر وقال:

- هذه الطاولة تشبه التي عند أبي مهلائيل في قصره ببابل.
قال الحكيم فقطش:

- ربما نعم، فالطاولات الخماسية الأضلاع تدل على القوة والحكمة، فهي ترمز إلى العناصر الأربعة النار والهواء والماء والتراب والعنصر الخامس الذي يتشكل منهم وهو الأثير.
- آه فهمت، لكن هذه الرموز المنقوشة على الطاولة ماهو معناها؟
- كاد يراع أن يقول بأن تلك الرموز قد رآها داخل الميركايا، لكنه غير سؤاله بسرعة حتى يرى إجابة الحكماء، فهو الآن صار متيقنا أن لا أحد من بني الجن يستطيع اختراق هالته، وقراءة أفكاره التي يفكر فيها.

مرر فقطش يده على الطاولة
الخماسية الأضلاع، فبدأت الرموز
المنقوشة على الطاولة بالتلألأ، وقال:



- هذه هي رموز عناصر الطبيعة
الخفية، هذا المثلث رباعي الأوجه يخص
النار، وهذا المكعب سداسي الأوجه
يخص التراب، أما هذا الشكل ذو الثمانية

أسطح فيخص الهواء، أما ذو الإثني عشر وجها فيخص الماء، وهذا ذو
العشرين وجها فهو رمز الأثير، فإذا فهمت هذه العناصر الأربعة ستتمكن
من فهم زهرة الحياة المرسومة في وسط هذه الطاولة، والمنقوشة على
السوار الذي منحته لك ليلي. أنظر في قبضة سيفك، تلك الدائرة السوداء
ستتجلى فيها عناصر الطبيعة حين تفهمها.

- أهذه مهمتي الجديدة؟

- في غابات الأرز شمالا، ستكون هناك مهمتك الأخيرة، قبل
مواجهة الظلام.

- حسنا؛ لكن قبل أن أنطلق هل هناك أخبار عن بابل؟ فلقد أمضيت
أزيد من أربعة أشهر وأنا في الميركابا ولا أعرف ماذا وقع؟

- سأكون صريحا معك يا بني، فالظلام في طريقه نحو بابل، بعد
أن سقطت سوسة.

وقف يراغ مفزوعا وقال:

- ماذا؟ سقطت سوسة!

قال الحكيم فقطش وهو يمسك يد يراغ ويعيد إجلاسه على الطاولة.

- نعم يا بني. لا وقت لدينا، وأنت غير جاهز لمواجهة عزازيل.

- لا بل جاهز، وأستطيع القضاء عليه.

قطب الحكيم فقطش حاجبيه ورد:

- يا بني حاول أن تتحكم في أعصابك وانفعالاتك، لا تأخذك ردة الفعل، إمتص الضربة، ثم أنتج الفعل مباشرة.
- أخذ يراغ شهيقا، ثم زفيرا قويا ثم شهيقا آخر، فأكمل الحكيم فقطش:
- طبعا التنفس يساعد على إزالة الغضب.
- أخبرني هل تعرض أخي يارد لمكروه؟
- الجميع بخير، وقد نجحوا في الوصول إلى بابل، ماعدا الأمير براثيل فقد قتل.
- تسللت دمعتان من عينيه، فمسحهما بسرعة وقال:
- مسكين يا خالي، سأنتقم لك.
- هل أنت جاهز للمغادرة؟ فقد هيأنا لك الطريق نحو غابة الأرز في الشمال الشرقي.
- نعم جاهز، لكن علي أن أودع ليلي.
- قالت أم تعامة وهي تضع يدها على كتف يراغ:
- لا تفعل، فقلبها سينفطر عليك، دعها نائمة إنها تحلم أحلاما سعيدة.
- حسنا أنا جاهز.
- مسك الحكيم فقطش يد يراغ، وتوجه به نحو دائرة مرسومة على الأرض يحيط بها عدد من الرموز التي سبق أن استعملها الحكيم نموشالخ في انتقاله من سوسة إلى مدرسة الحكمة بسرعة البرق، واستعملها يراغ للوصول إليهم كذلك.
- وقف يراغ وسطها، فقال الحكيم فقطش:
- أيها المستنير، تذكر يجب عليك فهم العناصر الأربعة، فهي حيث تولي نظرك، ما عليك إلا فهمها وأن يتناغم جسدك معها.
- وأما يراغ برأسه وقال:

- أنا جاهز.

رفع الحكماء الأربعة صولجاناتهم عاليا وقالوا:

- إهيه أشِرْ إهيه أدوناي صباووتْ إيل شداي

فأحاطت ببراغ كرة من ضوء أزرق شفاف متوهج، ثم اختفى من مدرسة الحكمة.

قالت الحكيمة أم تعامة:

- أتظن أنه سينجح؟

- نعم يستطيع.

-38-

كانت الشمس في كبد سماء يوم حار، حين وصلت إلى غابة الأرز
قرب بحر الشمال، حيث هوت بي كرة الضوء قرب الأشجار، متسببة في
فرار كل الطيور فزعا من الصوت الذي أحدثته.

خرجت من الكرة الضوئية فاخترت وقلت:

- يا له من وصول مكشوف.

وقفت متأملا في أشجار الأرز الباسقة، ثم تفحصت عدتي التي جلبتها
معي، فبالإضافة إلى معطفي الأسود؛ كان سيفي معلقا على خصري،
وكيس صغير أحمر يحتوي على بيضة الحياة والبلورة الكاشفة،
وخنجران صغيران خلف ظهري، إضافة إلى حبل طويل، وكيس يضم
بعض الأعشاب الطبية التي قد سبق لحبيبتني ليلي أن أعدتها لعلاجي.

تقدمت بخطوات بطينة داخل الغابة، وأنا أزيل الأغصان الكثيفة التي
تعيق تقدمي، وفجأة سمعت صوتا قويا تسبب في فرار كل الحيوانات
والطيور من أمامي.

مرة أخرى، انطلقت زمجرة قوية أفرغتني أنا كذلك، فأخرجت سيفي،
ثم تقدمت نحو بعض الأغصان، فأزلتها لأشاهد وحشا ضخما يركض في
اتجاهي، كان الوحش كثيف الشعر، ذا قرنين صغيرين ويدين طويلتين،
فضرب بهما الأرض، ثم ارتفع عاليا محاولا الانقضاض علي، لكنني
سرعان ما تراجع بخطوات مفاجئة إلى الخلف، فسقط الوحش بالقرب
مني، ثم رفع يديه عاليا وضربني ضربة قوية أسقطتني بعيدا.

كانت ضربة قوية تبعثها زمجرة أظهرت أنياب الوحش الذي استعد لهجوم ثان، فأخرج مخالفه الحادة وركض نحوي، نهضت سريعا وهربت نحو الأشجار.

ظل الوحش يطاردني، ويكسر الأشجار خلفي بضربة واحدة بيده، وأنا أركض بكل قوة، وهمي الوحيد هو البحث عن طريقة لالتفادي بها هجوم الوحش الكاسح، والذي لم يترك لي فرصة لالتقاط أنفاسي.

بدأت أشعر بالتعب، وأحسست أنني عما قريب سأستسلم له، فتذكرت الأيام الخوالي في بابل حين كانت هوايتي هي مصارعة الحيوانات المفترسة والوحوش الفتاكة، لكن هذا الوحش مغاير تماما إنه أكثر رشاقة وقوة، وقلت في قرارة نفسي "لكن كل الوحوش تشترك مع بعضها البعض في خاصية وحيدة؛ إنها قوية لكنها غبية".

نظرت إلى سيفي الذي بيدي، فوضعت مقبضه بسرعة في فمي، حتى يتسنى لي استخدام كلتي يدي، وقفزت عاليا نحو غصن شجرة، تسلفتها بسرعة، ثم قفزت إلى الخلف بقوة ملتفا إلى الوراء، حيث كنت قد ربطت طرف الحبل في غصن بأعلى الشجرة، ثم سقطت خلف الوحش، وركضت مجددا بين الأشجار دورة كاملة، حيث حاول الوحش الدوران نحوي، لكنه وجد نفسه محاصرا بحبال قوية عجز عن قطعها، فما كان منه إلا أن جر الحبال بقوة حتى كسرت الأشجار المربوطة بها.

أحسست أن خطتي ستفشل، وبينما هو منشغل مع الحبال قفزت خلف ظهره، ثم ارتقيت عاليا، وغرزت سيفي بين كتفيه، فانتفض الوحش بقوة حتى سقطت، ثم أخرجت خنجرا ورميته في اتجاهه حتى أنغرز في صدره، فخر على الأرض.

إقتربت من الوحش بكل ثقة، وأخرجت ببطة خنجري الثاني وقلت:

- إنها نهايتك أيها الوحش اللعين.

- أرجوك لا تقتلني.

فقلت متعجبا:

- إنك تتكلم مثلنا!!

- كيف لي ألا أتكلم وأنا حارس هذه الغابة، إنني أتكلم لغات كل المخلوقات التي قد تلج إلى هنا.

- وما إسمك؟

- أنا حارس الغابة يمكن أن تتاديني خمبابا⁴⁹

قلت وأنا ألعب بخنجري الثاني:

- إذن يا خمبابا، لماذا هاجمتني؟

- أنا خمبابا حارس الغابة، وأنا مرصود لمهاجمة أي شخص يقترب من هنا.

- هل تريد أن أبقى على حياتك، أو أرديك قتيلا؟

- في لحظة فزع قلت لك أرجوك لا تقتلني، ولكن الآن أقول لك افعل ما شئت.

- حسنا لن أقتلك.

قفزت فوق ظهر الوحش، ثم نزعت السيف من ظهره، وتحولت نحو صدره بسرعة لأنزع الخنجر الصغير.

- أئن تقتلني!!؟

- لا؛ لن أقتلك.

كنت أعلم أن نهاية الوحش خمبابا ستكون على يد أنكيدو، هذا ما أخبرني به جلجماش في الميركابا.

⁴⁹ ورد ذكره في ملحمة جلجماش

- أشكرك أيها النبيل، لكنني في كل الأحوال سأموت بسبب هذا
النزيف.

تذكرت كيس الدواء الذي منحتة لي ليلي فقلت:

- دواؤك عندي.

إقتربت من الوحش خمبابا، وفتحت الكيس، وأخرجت معجون
النباتات الطبية، ووضعتها على جرحه، فلاحظت أن الجروح عميقة جدا،
فنظرت إلى أعين الوحش المتالم، ثم أخرجت كل كمية الدواء التي
بحوزتي، ووضعتها على جراحه وقلت:

- حسنا، سأستعمل كل الدواء من أجلك.

- أيها النبيل، ما اسمك؟

- يراع؛ يراع بن مهلائيل.

- أنا مدين لك بحياتي، وسأكون في خدمتك يا سيدي النبيل.

نهض الوحش خمبابا بعد أن اختفت جراحه بسرعة وقال:

- أخبرني ما سبب قدومك إلى الغابة؟

- لقد جئت كي أفهم عناصر الطبيعة الأربعة: النار والماء والتراب

والهواء؛ هل لديك ما سترشدني به؟

- هناك في أقصى الجبل رجل اسمه أوتنابشتم، ربما قد تجد

جوابك عنده، فمن الفوهة التي يسكن فيها تخرج النار، وتنساب مع ماء

الوادي، فجزء منها يتحول إلى صخور صلبة، وجزء آخر يتحول إلى

هواء.

- حسنا؛ شكرا لك؛ سأذهب للبحث عنه.

تقدمت بخطوات نحو عمق الغابة، والوحش خمبابا يتتبعني بنظراته

فقال بصوت قوي:

- انتبه يا يراع؛ فالغابة شاسعة جدا، وقد أمضيت فيها زمنا وأنا أركض بلا نهاية؛ إياك والتهيه، وأن تضل عن هدفك، واعلم أن هذه بوابة دخول الغابة، وماعليك إلا تتبع الوادي خلف الجبل لتجد مخرجا منها، فهناك في الجنوب بوابة الخروج.
- وقفت متأملا في كلامه ثم أردف قائلا:
- وأخبرك كذلك؛ بأن الغابة فيها مخلوقات كثيرة تسكنها. بعضها خير وبعضها شرير، فافهم ترشد.
- شكرا على التنبيه.

-39-

تقدمت أربعة أيام في الغابة بين أشجارها دون أن أصل إلى سفح الجبل لكي أصعده، حيث كنت أرى قمته فقط، وكلما توغلت في الغابة أكثر، كلما ابتعد الجبل عني أكثر.

إختفى الرعب من قلبي، واستأنست بأجواء الغابة وطيورها، وحيواناتها الأليفة، والتي لم تكن غابة خاصة بأشجار الأرز فقط، بل صادفت فيها الكثير من الأشجار الجميلة ذات الفاكهة الطيبة والرائحة الزكية العطرة.

كانت الغابة تشع بألوان البهجة والفرح، وكنت أركض فيها كالطفل، متذكرا أيام صباي التي قضيتها متنقلا بين حدائق بابل، مطاردا الفراشات والطيور الجميلة المتعددة الألوان.

وما إن اقتربت من الوادي حتى وجدته غاصا بالأسماك من مختلف الأشكال، فنزعت ثيابي، وتركت سيفي جانبا، وغطست في الوادي سابحا بين الأسماك التي كانت سهلة الاصطياد.

أخرجت الكثير من الأسماك بيدي فقط، ثم أوقدت نارا كبيرة طهيت عليها ما اصطدته، وأكلت حتى امتلأت بطني وقلت:

- يا له من واد منعش والسباحة فيه رائعة وخيراته كثيرة، لم أشبع هكذا منذ زمن طويل.

أحسست بتثاقل شديد في جسمي، فنمت قرب موقد النار حتى أشرفت شمس يوم جديد، فنهضت بتكاسل قاصدا أقرب شجرة مليئة بالفواكه المتنوعة، فكل غصن يضم نوعا معينا مختلفا عن الآخر.

تسلقتها بصعوبة، وبدأت أكل منها، ثم رفعت عيني عاليا نحو قمة الجبل فوجدته أصبح أكثر بعدا، وتغطي قمته الكثير من السحب، فنزلت من على الشجرة، وتوجهت نحو الوادي لأستحم فيه، ثم أخذت قيلولاة صغيرة، وارتديت ملابسني، ثم عزمت على مواصلة الطريق نحو قمة الجبل.

مشيت قرب الوادي كي لا أضل في أعماق الغابة، حتى توسطت الشمس كبد السماء، فشعرت بتعب وجوع شديدين؛ استرحت قليلا، ثم قمت بالبحث بين الأشجار حتى عثرت على بعض الأرناب، فأخرجت خنجري، وقمت باصطياد عدد كبير منهم، ثم أوقدت نارا وطميت ما اصطدته وقلت:

- يا لها من طرائد سهلة المنال، صراحة كل شيء في هذه الغابة سهل المنال.

قررت الرجوع إلى جنب الوادي، إلا أنني لاحظت تواجد قطع كبيرة من الذهب والأحجار الكريمة على ضفتي الوادي، فركضت نحوها بسرعة، لأكتشف وجود تل كبير من الأحجار الكريمة براقاة الألوان من اللازورد والياقوت والزمرد، أما التراب فكان من تبر الذهب الخام.

أحسست بفرح شديد، واتسعت عيناي وقلت:

- كيف لي أن أحمل كل هذا إلى بابل!! أحتاج إلى جيش لنقله؛ سنصبح مملكة غنية.

فجأة تناهى إلى سمعي صوت أقدام الجياد تركض بسرعة فالتفت خلفي لأجد نفسي محاصرا بكتيبة كبيرة من الفتيات والنساء الحسنات، وهن ممتطيات جيادا بيضاء وسوداء، فاقتربت إحدهن مني وقالت:

- ماذا تفعل هنا؟
قلت بدهشة:

- لا شيء؛ لا شيء على الإطلاق. لقد كنت مارا من هنا فوجدت هذا التل من الأحجار الكريمة.
قالت امرأة أخرى من فوق فرسها:

- نقصد ماذا تفعل في الغابة؟ وكيف سمح لك الحارس خمبابا بالدخول؟

كنت من شدة افتتاني بالغابة ومحتوياتها قد نسيت لماذا دخلت إليها، وما مهمتي فيها فقلت:

- آه؛ الحارس خمبابا!! نعم؛ نعم تذكرت؛ الجبل.
أشرت بيدي نحو السماء فلم أجد قمة الجبل وقلت:

- أين الجبل؟

كان الجبل بالفعل قد اختفى من الوجود، فقالت السيدة التي سألتني أولا:

- حسنا؛ إقبضن عليه، واذهبين به نحو مولاتنا غايا.
إقتربت مجموعة من النساء مني، وأخرجن سياطهن الطويلة ورمينها حولي، فألقت السياط علي حتى سقطت على الأرض، فأقترين مني ونزعن كل ملابسي، وأخذن أسلحتي وأكياسي، ثم وضعني في قفص ضخم على عربة طويلة تضم عددا من الأقفاص التي كانت مليئة بالحيوانات المتنوعة، ثم توجهن بي وسط الغابة.

إقتربت الشمس من المغيب، فوصلت الفتيات بعرباتهن إلى سهل فسيح ممتد على شلال كبير، فأخرجن كل محتويات الأقفاص إلا أنا بقيت في قفصي فقلت لإحداهن:

- هه أنت، هل ستتركونني هنا؟

- سنذهب بك داخل القفص إلى مولاتنا غايا، وهي التي ستحكم في مصيرك.

تقدم عدد من الفتيات وحملن القفص نحو خيمة كبيرة نصبت بين أربعة أشجار من شجر الأرز، فقالت غايا:

- من أنت؟ ولماذا أنت هنا؟

- أنا يراع، ولا أتذكر صراحة لماذا جئت إلى هنا!

إقتربت السيدة غايا من القفص، ومدت يدها ووضعته على جبيني، ثم أخرجتها وقالت:

- إنه صادق؛ حسنا أخرجوه من القفص، وقدموا له أشهى الطعام. خرجت من القفص، فشاهدت مملكة نسانية بامتياز، هنا توجد نساء مكتنزات، وأخريات نحيفات، والطويلات والقصيرات، وحتى السمراوات والبيضاوات.

كل ما يشتهي المرء من النساء قد يجده في هذه الغابة، كلهن يرتدين نوعا واحدا من اللباس؛ قصير ذو لون أخضر يحيط بخصرهن كأنه مصنوع من أوراق الأشجار الكبيرة، وصدفات البحر تحيط بحلمات أثنائهن، إلا السيدة غايا فقد كانت مميزة عنهن بجمالها البراق، وبالرغم من أنها تبدو أكبرهن سنا، فقد كانت أكثر رشاقة وخفة وجمالا، وكانت تضع فوق رأسها تاجا أصفر يحمل ياقوتة حمراء متوهجة تدور حول نفسها.

إقتربت مني فتاة جميلة ذات شعر أسود طويل، وأعطتني ملابسني وأسلحتني، وكيسي الذي يحتوي على البلورة الكاشفة وبيضة الحياة.

قلت وأنا أرثدي ملابسني:

- ألا يوجد رجال هنا معكن؟

أحست الفتاة بالخجل واحمرت وجنتاها، فلاحظت آنذاك أن الكثير من النساء يتأملن في جسدي، ثم يتبادلن الضحكات والهمسات.

انسحبت الفتاة من قربي، واقتربت مني السيدة غايا وقالت:

- لا؛ لا يوجد رجل هنا على الإطلاق.
أمسكت يدي وأكملت:

- تقدم معي.

بدأت أمشي بخطوات ثقيلة بجانب السيدة غايا، ثم غصت في أعماق ذهني قائلاً بأنها غاية مثيرة، فيها ما لذ وطاب من أكل وشرب، فيها الأحجار الكريمة والذهب والياقوت ما لا يستطيع جيش حمله، وفيها من النساء الجميلات والحسناوات؛ والفارسات القويات؛ إني أستطيع أن أبني مملكة قوية بمفردي في هذه الغاية.

بدأت أتخيل نفسي مرتدياً تاجاً عظيماً، وبين يدي تتحلق العديد من النساء، والكثير من الذهب والطعام، إنها حياة مثيرة فيها المال والسلطة والنساء، كل هذا مجموع في مكان واحد؛ يا لها من صدفة.

قاطعت السيدة غايا تفكيري قائلة:

- اجلس هنا.

جلست على طاولة خشبية وسط ساحة كبيرة نصبت فيها المشاعل، فأشعلت النيران القوية وبدأت النساء بضرب الطبول، وعزف المزامير. بدأ الصخب والاحتفال، حيث كان الجميع يتراقص حول النار وبعضهن الأخر يمررن الطعام لي من فواكه متنوعة، وأطباق اللحوم المشوية، والسمك الطازج، فأتناول ما أريد حتى شعرت بكسل شديد.

تناولت كأسا من العصير المسكر، ثم نظرت إلى عنق غايا الجذاب
فكدت أهوي عليها بالقبل، لكنها التفت إلي، فقلت بسرعة:

- أخبريني أيتها السيدة غايا، لماذا لا يوجد رجال هنا؟
- كل الرجال خائنون، وكل من خان نقتله، وهكذا قتلنا كل
الرجال، فأصبحت الغابة تعيش بؤس وسلام.
تراجعت إلى الخلف بعد أن سمعت هذا الكلام المفزع، فتناولت السيدة
غايا كأسا أخرى من العصير المخمر وأكملت:

- صراحة كان يجب علينا أن نترك رجلا واحدا في قبيلتنا
للتزاوج، لكن للأسف كان بدوره خائنا فقتلناه، وها أنت الآن بيننا.
قبل أن أتأمل في الكلام الذي قالته السيدة غايا، انحنت نحو أذني
وأردفت:

- سنتزوج مع كل نساء الغابة، وستصبح سيدا عليهن جميعا،
وسننصبك ملكا علينا، وستتوسع مملكتك إلى ما خلف الجبل الكبير، حيث
سيكون الذهب والياقوت والأحجار الكريمة ملكا لك وحدك.
بدأت هذه الأمور تتجلى أمامي وقلت:

- هذا أقصى ما قد يطمح إليه الإنسان.
إبتسمت السيدة غايا ووضعت يدها على كتفي وقالت:
- هذه الليلة ليلتك أيها الشاب، اختر من النساء ما تشاء،
وعاشرهن إلى أن تشرق الشمس.
أحسست بوجع كبير في قلبي، فوضعت يدي على صدري وقلت:

- هذه الليلة لا أستطيع فإني منهك القوى وأشعر بالفشل وبتعب
كبير، ربما غدا سأكون على أحسن ما يرام.
ضحكت السيدة غايا وقالت:

- أنتم الرجال غريبو الأطوار.

نهضت غايا من مجلسها وأردفت قائلة:

- حسنا يا يراع؛ إحتفل هذه الليلة، وغدا سنكمل النقاش.

نظرت إلى كأسى الفارغة فلاحظت انعكاس ضوء القمر عليها، ثم

دققت النظر أكثر، فتخيلت شجرة التوت، وصورة فتاة شقراء جميلة

فقلت:

- ليلي؛ ماذا حدث لي، كأي فقدت ذاكرتي، وانهارت قواي.

نظرت إلى جرح يدي وقلت:

- نعم ليلي، لقد كدت أن أنساك يا حبيبتي؛ أجل أنت حبيبتي.

أغمضت عيني، وبدأت أتذكر يوم جرحنا يدنا معا، وتذكرت ليلة

الحب التي قضيناها مع بعض، ثم تذكرت المهمة الجديدة التي أوكلني

بها الحكماء الأربعة فقلت:

- المهمة، نعم لقد كلفت أن أدخل إلى هذه الغابة لمهمة ما، لكن ما

هي؟

ظللت أتصارع مع أفكاري وأحاول استخراج ما بعمق ذاكرتي، إنه

صراع قوي من أجل استرجاع واعي، لكنني فجأة وقفت من مكاني بعد

ارتفاع موسيقى الطبول والمزامير، ثم توجهت نحو النار، وبدأت أرقص

مع الفتيات العاريات، حتى شعرت بتعب شديد وسقطت نائما بينهن.

فتحت عيني قبيل الفجر، فوجدت جميع الفتيات نائمات على الأرض،

وبعضهن نائمات على طاولات الأكل، وكانت النار ضعيفة توشك على

الانطفاء، فيما بدأ لون السماء تتخلله خيوط الشمس البيضاء مؤذنة

ببزوغ يوم جديد.

أحسست بصداع قوي، فلم أقو على الوقوف، ثم تذكرت ليلتي والمهمة التي قدمت من أجلها إلى الغابة فقلت بصوت خافت:

- نعم تذكرت.

كنت أقاوم ذاكرتي حتى لا أنسى كل شيء، فجأة بدأت أتحسس الكيس المربوط في خصري، فأخرجت بيضة الحياة وقلت:

- أنا أبحث عن زهرة الحياة. نعم جنت إلى هنا لكي أفهم سر العناصر الأربعة النار والهواء والماء والتراب.

تذكرت الجبل الذي أود الصعود إليه، فأعدت بيضة الحياة إلى الكيس، لأجد بالقرب منها البلورة الكاشفة التي منحها لي الحكيم نموشالغ قبل الصعود إلى الميركابا، والتي تمكن من رؤية كل ما لا يرى، فأخرجتها ووضعتها على عيني قصد رؤية الجبل، فذهلت لما رأيته، وفتحت فمي مصدوما.

شاهدت حشرات كبيرة تحلق في السماء شبيهة بالذباب، لكن حجمها كان يعادل حجم الدجاجة، وهي مخلوقات لديها مناقير طويلة كأنها خراطيم الفيلة.

نظرت إلى جسми فشهدت أن تلك الحشرات تحيط بي من كل جانب، وتتناوب على غرز خراطيمها في جسми دون أن أشعر بها، حاولت الالتفات إلى الخلف حيث كانت حشرة ضخمة تضع خرطومها على رقبتني، فأمسكتها بيدي ونزعتها من عنقي بصعوبة وقلت:

- بحق إيل لقد أزلتها بيدي وهي لا ترى بالعين العادية، لقد استرجعت ذاكرتي بعد أن أزلتها.

أخرجت سيفي، وأحكمت تثبيت البلورة الصغيرة على عيني، ثم بدأت أضرب الحشرات العالقة في جسми بقوة، فكلما قتلت منها، كلما استعدت نشاطي وحيويتي، ثم بدأت أصرخ بقوة وأنا أقتل الحشرة تلوي الأخرى،

حتى استفاقت معظم الفتيات وبدأن بالصراخ خوفا من سيفي، ثم هربن بعيدا مني.

-40-

ركضت السيدة غايا نحوي وقالت:

- ما بك يا يراع؟

لوحث بسيفي نحوها وقلت:

- ما هذه الوحوش الصغيرة التي تغرز خراطيمها في جسمي دون أن أشعر بها.

- وكيف تمكنت من رؤيتها؟

- هذا ليس من شأنك، أخبريني فقط ما هي هذه الوحوش التي لا ترى وإلا قتلتك.

- يطلق عليهم اسم مصاصي الطاقة؛ إنهم يقتاتون من طاقتك.

- لهذا كنت أشعر بالفشل والكسل، وأحببت كل ما لذ وطاب من أكل ونساء هنا، وزاد جسعي للذهب والأحجار الكريمة التي عثرت عليها.

- لا؛ قد يسبب مصاصو الطاقة الفتور في الجسم، ونقص في الذاكرة والوهن النفسي؛ لكن حب الجاه والسلطة والقوة، قد انفجرت من داخلك، لقد أخرجت أسوء ما فيك يا يراع، وهذه أمور لا يقاومها أحد. ضربت وحشا آخر حاول الاقتراب مني، وقلت وأنا ألتفت يمينا وشمالا:

- حسنا سأغادر، وأتمنى ألا تتبعني إحدان.

- حسنا يا يراع؛ هدى من روعك.

أشارت السيدة غايا بيدها، فأزاحت كل الحشرات مصاصات الطاقة من المنطقة ثم قالت بصوت ناعم:

- ضع سيفك جانبا، ودعنا نكمل نقاش البارحة.
قلت وأنا ألوح بسيفي اتجاهها:

- إبتعدي عني، فأنا أستطيع أن أرى جناحك أيتها الجنية،
وأستطيع أن أرى الجبل الذي خلفك، فأنا أريد الوصول إليه.
بدأت نساء الغابة بإنشاد أصوات جميلة بأفواههن حتى عادت
أعصابي إلى الهدوء، ثم اقتربت مني السيدة غايا ونزعت سيفي من
يدي، ووضعت في غمده المعلق بخصري وقالت:

- اجلس معي يا يراع.
جلست بالقرب منها، فأمسكت يدي وقالت:

- نحن نحتاجك يا يراع، نحتاج رجلا بجانبنا؛ ستكون ملكا على كل
النساء، وسنسخرك ما تريد لتبني مملكتك.
أمسكتني من ذقني وأدارت وجهي نحوها واسترسلت:

- أنظر، فكل ما ستشتهي نفسك من النساء ستجدهن تحت إمرتك،
ما عليك إلا أن تكون رجلا وتباشرن.
بدأت أمرر نظري على كل الفتيات، وأستمع لصوتهن الحسن ثم
أردفت قائلة:

- سنخرج لك ما في باطن الأرض من ذهب وفضة وأحجار
كريمة، وسنخضع لك كل المخلوقات التي تعيش هنا ويمكن أن توسع
مملكتك في كل الاتجاهات.
أومأت برأسي فقالت السيدة غايا مجددا:

- حسنا، من تختار من النساء اللواتي هن واقفات أمامك، أم
تختارني أنا سيدتهن وعظيמתهن، فكل رجال الكون يمتنون أن يعيشوا
قربي، لكنني أنا أختار أن تكون أنت بجانبني أيها الملك.

رمشت عيناى بسرعة وقلت بتأثر:

- سيدتي الجميلة لقد قلت إن الخيانة عندكم هنا عقوبتها الموت،
يؤسفني أن أخبرك أنى أحب فتاة جنية جميلة اسمها ليلى بنت الملك
برقان، فإذا خنتها مع واحدة منكن سأستحق الموت، وأنا لن أخونها ولو
قتلت فداءً لها.

سكتت السيدة غايا وظهرت الحسرة على وجهها، فأسرعت في
كلامي قائلا:

- وهل ترضين أن أكون خائنا؟
- لا؛ إطلاقا لا أَرْضى بذلك، ولا أحب أن تكون إحدى بناتي من
الخائنات أو المتسببات في الخيانة.
وقفت السيدة غايا وقالت:

- يا له من حب عظيم؛ صمد أمام كل سحرنا وإغرائنا، هنيئا لها بهذا
القلب الصافي.
قلت بعد أن اطمأن قلبي:

- أشكرك سيدتي على تفهمك.
- إذن، هل تريد صعود الجبل؟
- نعم.
- إتجه بين تلك الأشجار، ثم التف نحو الوادي، حيث ستجد هناك
سفح الجبل، وهو عبارة عن فج صغير بين صخرتين كبيرتين، فاصعد
بينهما، ثم ستجد نفسك في القمة، أما بوابة الخروج من الغابة فستكون
خلف ذلك الجبل مباشرة.

- سيدتي؛ لا أعرف كيف أشكرك.
- لا عليك أيها الشاب الصالح.

أومات برأسي، فنزعت السيدة غايا الياقوتة الحمراء من تاجها ومدتها لي وقالت:

- خذ هذه الياقوتة ستحميك من مصاصي الطاقة ومن كل الوحوش على هذه الغابة، لكن احذر مما ستواجهه في أعلى القمة سيكون شيئا شريرا؛ شريرا جدا.

- شريرا؛ أسيكون أقوى من شر عزازيل؟!
- إنه أقوى.

- حسنا؛ وداعا أيتها السيدة الجميلة.

طبعت قبلة على خذها، ثم توجهت نحو الطريق الذي أرشدتني إليه، فتسلقت الصخور حتى وصلت إلى فج طويل، أمضيت فيه الليل كله وأنا أركض بدون توقف، محاولا تعويض الوقت الذي أضعته في السفح.

مع شروق الشمس كنت قد وصلت إلى أعلى الجبل، فشاهدت دخانا كثيفا يخرج من فوهته، تنبعث منه نار سائلة، وتحتها بقليل يوجد كهف مظلم يخرج منه ماء فوار، فتمتزج النار بالماء لتتشكل الصخور الصلبة على ضفتي الوادي المنبعث من الكهف.

- إنها العلامة التي أخبرني بها حارس الغابة خمبابا.
حاولت الاقتراب من قمة الجبل، إلا أنني لمحت حركة غريبة تترقبني بين الأشجار.

- لا بد أنه الشرير الذي أخبرتني به السيدة غايا.
إهتز السيف في غمده فأخرجته لأجد قبضته متوهجة ومرسوم فيها شكل مثلث رباعي الأوجه فقلت:

- إنها علامة النار.

بينما أنا منتبه إلى الشكل الذي نقش على قبضة السيف، أخرج الشخص المتخفي بين الأشجار خنجرا شبيها بخنجري، ثم رماه نحوي

فأصاب ذراعي وسقطت على الأرض. توجه الرجل نحوي حاملا خنجرا
أخر، لكنني أصبت بالصدمة حيث أن الرجل يشبهني كثيرا، بل أنه نسخة
مطابقة مني فقلت وأنا أحاول الوقوف:

- من أنت أيها الغريب؟ إنك تشبهني.
قال الرجل الغريب:

- أنا يراع بن مهلائيل.
أزلت الخنجر من ذراعي، وحملت سيفي، ثم تراجعت بخطوات إلى
الخلف وقلت:

- كيف ذلك! لم أفهم هذا الأمر كأنك نسخة مطابقة لي.
ضحك الرجل الغريب وقال:

- وبمثل قوتك كذلك، ألا ترى أنك تشبهني؟
- بل أنا هو يراع بن مهلائيل؛ وأنت من تشبهني.
هاجمني الرجل الغريب وهو يقول:

- أنا هو أنت، وأنت هو أنا ألا تفهم!!؟
حاولت تفادي ضربات سيفه القوية وقلت:

- إذا كنت أنا هو أنت، وأنت هو أنا فلماذا تهاجمني!!؟
- أريد أن أتخلص منك لأكمل مسيرتك نحو الخلود.

كنت أصد ضربات سيفه، وأنا لم أستوعب بعد ما وقع، كيف لرجل
يشبهني ويحمل نفس اسمي يريد التخلص مني ليحل محلي، هل تم
استنساخه ليعوضني!! كنت أحدث نفسي قبل أن ينطق الرجل الغريب
قائلا:

- أنا نفسك الشريرة، أنا جشعك، أنا حبك للسلطة والجاه والقوة، كنت دائما تكبنتي وتدفني في أعماقك، لكني قد تحررت منك أسفل الجبل، والآن يجب عليك مواجهتي.
قلت وأنا أصد هجماته المتتالية:

- الآن فهمت سر إرسالي إلى غابة الأرز، فقبل مواجهة الظلام، يجب أن أحارب الظلام الذي يقبع في داخلي. نعم هذه هي الحكمة، قبل أن أرى الشر الذي في الآخر يجب أن أرى الشر الكامن في قلبي.
- الخلود مع الجاه والقوة، والكثير من النساء، والسلطة التي لا تفنى، هذا أقصى ما قد يتمناه المرء. لماذا رفضته!!؟
بارزته بقوة وأنا أقول:

- إن أرواحنا خالدة، ما علينا إلا أن نطهرها من النفوس الفاسدة
مثلك.
- لكن الخلود هو أن تسيطر على الأرض وعلى من فيها سيطرة
أزلية.
- إذن ما الفرق بينك وبين عزازيل؟
- قد أصل إلى اتفاق معه.
درت حول نفسي نصف دورة بسرعة، ثم قلبت سيفي وعرزته في
بطنه ثم قلت:

- لكل إنسان جانب من الخير وجانب من الشر، أنا الآن أتطهر
منك وأخلي قلبي من كل الشهوات.
سقط الرجل الغريب مضرجا في دمانه، فاهتز سيفي مجددا وشع
الضوء من قبضته وتحول المثلث المنقوش إلى مكعب سداسي الأوجه
الذال على التراب.
قلت مجددا:

- خلقنا من تراب، وإلى التراب نعود.
- فجأة انقض الرجل الغريب على رجلي وأسقطني أرضاً ثم أخرج خنجره بسرعة وغرزه في كتفي وقال:
- سأقتلك وسأعثر على شجرة الحياة، ثم سأقطف من ثمرها حبة واحدة تكفيني لأصير خالداً إلى الأبد.
- إنها خطيئة آدم الأولى التي سببت لنا في السقوط والخروج من جنة عدن، فما وجودنا في الأرض إلا للتحرر من الخطيئة الأولى، يجب أن نحرر أجسادنا البالية لكي نعيش الحياة الأبدية في ملكوت إيل.
- بصعوبة نزع الرجل الغريب من خصري كيس بيضة الحياة، ثم ابتعد عني قليلاً وأخرجها، انبهر بها وقال:
- خطيئة آدم هي أنه أخطأ شجرة الخلود وأكل من شجرة المعرفة، وها نحن الآن نملك المعرفة وما علينا إلا استغلال الفرصة لقطف ثمرة من شجرة الخلود.
- رأيت قبضة سيفي تتحول من المكعب السداسي إلى شكل آخر ذي ثمانية أوجه متساوية، فاستنشقت هواءً عليلًا وقلت:
- نعم إنه عنصر الهواء، إنني أتحرر من نفسي الشريرة.
- حملت سيفي، واستجمعت قواي، كأن الرياح تحاول مساعدتي على النهوض، ثم هاجمت الرجل الغريب، فتبادلنا ضربات السيوف بصعوبة، حيث كنا معاً مصابين بجروح متفاوتة في أنحاء جسمينا، فقلت له:
- خلودنا هو ألا يمحي اسمنا كأننا لم نكن على هذه الأرض، هذا هو الفناء الحقيقي.
- إهتز سيفي مجدداً وانبعث من قبضته نور قوي ليتشكل فيه الشكل الرابع ذو الإثنى عشر وجهاً علامة الماء، فاستغل الرجل الغريب دهشتي وهوى بسيفه على رأسي، حاولت التراجع إلى الخلف لكن حده لامس

عيني اليسرى ففقاها وسال دم كثير حجب عني الرؤيا مما اضطرني إلى غلق عيني اليمنى كذلك.

أحسست بالرجل الغريب يرفع سيفه مجددا نحوي، فتجنبت ضربته بسهولة معتمدا فقط على حدسي، اشتعلت في قلبي بصيرة تمكنت بها من رصد كل تحركاته، ووقع خطواته، وصليل سيفه الذي يوجهه نحوي دون جدوى.

فتحت عيني اليمنى بصعوبة، ونظرت إليه بغضب، وفي الحقيقة كنت أنظر إلى نفسي وشروري، وكل أخطائي وهي متجسدة أمامي وتحاول السيطرة علي، قلت في قرارة نفسي "إن قوته تعادل قوتي لا يمكنني أن أقضي عليه بالسيف، لقد فهمت العناصر الأربعة يجب أن أوظفها في هذا القتال".

رفعت يدي عاليا، وأشرت إلى الرياح التي هبت بقوة وحاصرته، ثم أشرت إلى صخرة كبيرة فارتفعت في السماء وهوت عليه.

- أرجوك لا تقتلني فأنا جزء منك.

لم أنتبه إلى كلامه فنظرت إلى فوهة الجبل فإذا بالنار السائلة ترتفع إلى السماء وتنهمر عليه لتحرقه، ثم جاء ماء النهر وغسل المكان من سواده المتطاير.

ظهر شيخ كبير طاعن في السن في أعلى الكهف، كان ذا لحية بيضاء، وشعر أشيب مربوط للخلف، فصفق بيده، ثم طار في السماء ونزل بالقرب مني وقال:

- أحسنت أيها المستنير يراع.

- أ أنت الحكيم أوتنا بستم؟

- نعم أنا هو.

- ولكن كيف تعرف اسمي؟
- منذ تجاوزك باب الغابة علمت كل شيء عنك، لقد أخبرتني الريح بذلك.
- هل تستطيع قراءة الأخبار التي تحملها الريح؟
- نعم، وأنت كذلك تستطيع، لقد أصبحت مندمجا مع الطبيعة، ويمكنك أن تستعمل أي عنصر من عناصرها لصالحك.
- كما فعلت مع الرجل الغريب؟
- لم يكن غريبا كثيرا، بل كان جزءا منك.
- ولكن العنصر الخامس لم أراه بعد؟
- ضحك أوتناباشتم ووضع يده على صدري وقال:
- العنصر الخامس الأثير مفتاح زهرة الحياة إنه داخلك أيها المستنير، إنها روحك التي تطهرت من كل الخطايا، أنظر إلى بيضة الحياة التي بحوزتك.
- أخرجت البيضة من الكيس، وسرعان ما تفتحت متحولة إلى زهرة الحياة، ثم اندمجت في يدي وسارت تجري في عروقي إلى أن اختفت تماما داخلي.
- إن مهمتك أيها المستنير الأول تتجلى أساسا في حفظ توازن الطبيعة، واعتراض مهمة عزازيل الذي يحاول جعل هذه الأرض بقعة ظلام يسودها الخراب والفتن والحروب.
- أيها الشيخ أوتناباشتم ألا تلاحظ أنني أنزف، ولا أستطيع النظر بهذه العين الجريحة، فلتعالجني من جروحي.
- هناك من تنتظرك أسفل الجبل، حيث البوابة الخلفية المطلة على الجنوب، ستقدم لك العلاج الذي تحتاج.
- بلهفة قلت:
- إنها ليلى، شكرا لك أيها الشيخ سأغادر الآن.

- حاول ألا تركض، فجسمك الجريح لن يستطيع الصمود، وإنما حلق في السماء كالطير حتى تصل إلى البوابة الخلفية للغابة.
- أحلق! كيف؟
- رفع أوتناشتم يده في السماء وقال:
- تستطيع أن تندمج مع الريح ومع كل عناصر الطبيعة، ما عليك إلا أن تثق في قدراتك يا بني.
- صعدت صخرة كبيرة على حافة الجبل، فقال أوتناشتم:
- يا بني لا تخبر أحدا بأن زهرة الحياة قد اندمجت في جسمك، لا تخبر حكماء مدرسة الحكمة، ولا تخبر ليلي، ولا تخبر أحدا، حتى نفسك لا تخبرها، ما عشته في الغاية أتركه في الغابة.
- رفعت يدي عاليا كالطير، وبكل ثقة في النفس قفزت نحو السفح، فوجدت نفسي أسبح في الهواء بكل حرية كالريح الحرة، فأغمضت عيني وقصدت الجهة الخلفية للجبل حيث حبيبتي ليلي بالانتظار.

-41-

وصل يراع إلى حافة الجبل بسرعة، والشوق يأخذه للقاء ليلي، كانت الدماء تسيل بغزارة من جروحه حتى كاد أن يغمى عليه، فلمح ممرا طويلا يفضي إلى باب وسط الأشجار الكثيفة، فاجتازه ليسقط على أرض منبسطة خضراء لا وجود فيها لأثر الأشجار والنباتات الكبيرة.

ركضت ليلي نحوه وتبعتهما الحكمة أم تعامة إلى أن اقتربا منه:

- أيتها الحكمة إنه يفقد الوعي وجروحه خطيرة.

- إذن عالجيه فهو يحتاجك.

مررت ليلي يديها ذهابا وإيابا على جراحه حتى بدأت بالاندمال، ثم أخرجت قارورة ماء مخلوط ببعض الأعشاب الطبية وسقته منها.

استفاق يراع ليجد نفسه مرة أخرى بين أحضان ليلي، فقال بصوت ضعيف:

- حبيبتي

- لقد اشتقت إليك يا حبيبي

جلس يراع أرضا، وبدأ يسترجع أنفاسه ويتأمل جراحه وهي تندمل تاركة أثارا على جسده، وقال:

- لم أسترد بعد النظر بهذه العين، هل إصابتها بليغة؟

قالت الحكمة أم تعامة:

- الجرح سيندمل، لكن للأسف فقد فقت عينك ولن تستطيع النظر

بها مجددا.

أحس يراع بغضب شديد من خبر فقء عينه اليسرى، ثم تنفس بعمق، فهذا أول اختبار حقيقي يصيب جسده فقال:

- يجب أن أصبر على هذا المصاب الذي أصابني، فلم يفقأ عيني إلا نفسي الشريرة التي تطهرت منها.
عانقته ليلى وقالت:

- لا عليك يا حبيبي.

قالت الحكيمة أم تعامة:

- لدي حل قد يساعده.

قالت ليلى:

- ما هو؟

- سنزرع له البلورة الكاشفة التي منحناها له قبل دخوله الميركابا، ستمكنه من رؤية حتى العوالم الخفية.

- نعم بالفعل، لقد استعملتها في غابة الأرز، وكانت مفيدة.

قالت ليلى:

- ألن يشكل زرعها أذى في جسمه فهي متوهجة؟

- لا. يراع قوي وسيتحمل جسده الاندماج، وسرعان ما ستصح

له بصره.

- أنا مستعد.

قالت الحكيمة أم تعامة:

- استلق على ظهرك.

استلقى يراع على ظهره، فاقتربت منه الحكيمة أم تعامة وزرعت البلورة الكاشفة في محجر عينه، ثم رددت ترنيمة الشفاء حتى اندمجت بشكل كامل. أحس بداية بالدوار وتشتت بصره، لكن بعد وقت قليل تصحح نظره، وبدأ يرى كل شيء؛ العالم المادي الذي يحيط به، وكذا المخلوقات المتخفية في الأثير.

قالت ليلي:

- أيتها الحكيمة ألا ترين أن اختلاف لون عيني يراع قد تفضح وجود البلورة الكاشفة.

- لا تقلقي، فمع الوقت ستصير عينيه متشابهتين تماما وإلى حين ذلك سأضع عليها طلسم التمويه.

وضعت الحكيمة يدها على عين يراع، وبدأت تقرأ طلسم التمويه إلى أن خفتت عينه اليسرى وأصبحت شبيهة باليمنى، لكن الحكيمة أم تعامة أثناء وضع يدها أحست وكأنها صعقت ببرق أصاب يدها فقالت:

- أخبرني يا يراع هل كشفت عن زهرة الحياة؟

- لا ففي غابة الأزرق كنت أواجه نفسي الشريرة.

- لكن أين بيضة الحياة؟

أحس يراع أن الحكيمة أم تعامة تحاول الكشف عن سره فقال:

- بيضة الحياة قد اختفت في السماء مباشرة بعد أن التقيت الشيخ أوتنابشتم.

- الحكيم أوتنابشتم، إنه حكيم الحكماء، لكن غريب أمر البيضة كيف اختفت.

- هذا ما حدث.

- لا عليك، لعل في الأمر حكمة ما.

- كم أمضيت من الوقت في غابة الأرز؟

قالت ليلي:

- لقد أمضيت شهرا كاملا.

- شهرا!! إنها مدة طويلة، لقد كانت بضعة أيام في الغابة.

- ولقد كنا في انتظارك هنا.

- أخبريني أيتها الحكيمة هل سنرجع إلى مدرسة الحكمة، أم سأذهب مباشرة لمواجهة الظلام؟ ما هي خططكم؟
- قالت الحكيمة بحسرة:
- الظلام يحاصر الآن مدرسة الحكمة، فلقد تمكن عزازيل من تحديد موقعها، ونزل إليها بنفسه.
- ماذا؟
- وأمت الحكيمة أم تعامة برأسها ومسكت يد ليلى وقالت:
- لقد غادرنا معاً مدرسة الحكمة لكي نستقبلك هنا، بعدها علمت عن طريق النجوم أن عزازيل حدد موقعها وحاصرها بسرعة قبل أن يفروا إلى جهة أخرى مجهولة.
- إلى أين سنذهب الآن؟
- سنتجه إلى بابل فهي الأقرب إلينا، وهي بدورها محتاجة لك.
- قال يراع بسرعة وبطريقة حادة:
- ماذا!! ماذا هناك؟ أخبريني.
- هجم عليها جيش مولوخ بدعم من سيدة الظلام ليليث، خاضت معه لحدود الآن معركتين؛ المعركة الأولى انتصر فيها جيش مهلائيل حيث اعترضهم قبل الوصول إليه بجيش جرار، فدحروهم وبعد يومين نشبت معركة أخرى تدخلت فيها سيدة الظلام بالسحر الأسود، فكانت الغلبة لجيش مولوخ، فترجع أبوك بجيشه خلف أسوار بابل.
- ومن مولوخ هذا؟
- إنه إنسي من بني جلدتكم من سلالة قايين، كان يعيش مع قبيلته في مدينة اسمها حنوك، وقد استدرجتهم ليليث جميعاً لمقاتلة أبناء عمومتهم أبناء شيت.
- دعيني أستوعب الأمر. سوسة سقطت، ومدرسة الحكمة محاصرة من طرف عزازيل وجنوده، الآن بابل في حرب مع جيش إنسي

يخدم الظلام، يعني إذا نجحت مخططات عزازيل، سيسيطر على الأرض كلها ولن تبقى هناك مقاومة.

- بعد أن ينتهي عزازيل من السيطرة على الأرض سيتجه إليك ليخطف شرك حول زهرة الحياة.

- كيف؟

- عزازيل قدر له أن يعيش طويلا، فهو لا يقتل أبدا، لكنه يعلم بأنه سيأتي يوم وسيموت فيه ككل المخلوقات، فأكد أنه يبحث عن سر الخلود وعن كيفية الوصول إلى شجرة الحياة لقطف ثمارها.

- إذن هيا بنا إلى بابل.

رسمت الحكمة أم تعامة دائرة على الأرض، ووقفوا جميعا داخلها وقالت:

- أحتاج إلى قوتك كذلك يا يراع حتى نحط داخل بابل.

- قوتي لا تضاهي قوتك، لن تفيدك في شيء.

- لا بل قوتك تضاهي قوة الحكماء، إنني أرى هذا من خلال هالتك الكبرى، فلو اقترب منك الجان لأحترق، فيجب أن تستكشف طاقتك أيها المستنير.

- سأفجر طاقتي خلال هذه الحرب التي سأخوضها ضد عزازيل، فهيا بنا بسرعة إلى بابل.

أكملت الحكمة أم تعامة رسم طلاسم السفر، وأمسك الجميع بعضهم ببعض، فتشكلت كرة ضوء قوية ذات شرارات زرقاء متوهجة، ثم اختفوا متوجهين نحو بابل.

حلت كرة الضوء فجأة في ساحة المعركة بين جيشي بابل ومولوخ، مما أثار فزع الجميع، فكان الجيش البابلي خارج الأسوار يستعد للانطلاق نحو جيش مولوخ البعيد منه بمسافة قصيرة، وشاهدت ليليث

كرة الضوء المتوهجة وهي تحط قرب أسوار بابل، فنهضت سريعا بفرع شديد، وقالت لها لاقيس:

- ما هذا؟

- إنها كرة سفر خاصة بمدرسة الحكمة.

- ومن فيها؟ ولماذا قدموا إلى هنا؟

- إنتظرت ليليث حتى اختفى شرر الكرة فقالت:

- ما هذا!! الحكيمة أم تعامة شخصيا هنا، ومعها ليلي بنت بركان.

- ومن ذلك الشاب الوسيم؟

- إنه المستنير؛ لقد سبق أن أخبرني عنه أبوك عزازيل، إنه

الباحث عن شجرة الخلود.

- أنظري إلى هالته إنها قوية جدا، لا نستطيع الاقتراب منه.

- سيقترب منه عزازيل، وسيدمره تدميرا.

أخرج الجيش البابلي جميع أسلحته من سيوف ونبال، ووجهوها نحو

كرة الضوء، إلا أن يارد والقائد العام عرام سبق لهما أن شاهدا مثل

تلك الكرة أيام قدوم وفد مملكة بركان إليهم، فتقدم عرام نحو الكرة

وخلفه كل من يارد ويانيل، وحين اختفى الشرر، ظهر لهم ثلاثة أشخاص

يرتدون معاطف سوداء وأقبية تحجب وجوههم.

أزال الثلاثة أقبية معاطفهم فقال القائد العام عرام متعجبا:

- يراع!!!

قال يانيل:

- إحذر أيها القائد قد يكون جنيا متخفيا في صورة يراع.

- أنا أعرف يراع جيدا؛ أشم رائحته قبل أن أراه.

هرول يراع نحو القائد العام عرام وعانقه، ثم تقدم إليه كل من يارد

ويانيل وتبادلوا العناق جميعا فقال:

- هذه ليلي تعرفونها، وهذه الحكمة أم تعامة جاءت معنا.
قال يارد:

- ما حل بشعرك يا أخي؟ وأين لحيتك؟ وماذا حل بوجهك؟ هذا الجرح العميق على عينك أثره لن يمحي أبدا.
- إنها حكاية طويلة؛ لكن شعري قد بدأ بالبروز الآن كما ترى، وستنبث لحيتي من جديد، أما هذا الندب على وجهي فقد كدت أن أفقد بسببه البصر سأحكي لكم قصتي حين تحين الفرصة.
قال القائد العام عمرام:

- نحمد إيل على سلامتك يا بني.
- أخبرني أين أبي؟
- لقد تعرض الملك مهلائيل لإصابة بليغة في آخر معركة جرت، لقد استعملوا السحر بعد أن هزمتهم شر هزيمة في المعركة الأولى، وهذه المعركة الثالثة التي تدور بيننا وبين الظلام من الإنس والجن.
- أشكر إيل أنني وصلت قبل انطلاق هذه الجولة.
- أخي يراع أنظر هناك في شرفة القصر أبونا الملك يتابع أطوار المعركة.
- إذن، فلترسل أحد الجنود ليخبره بقدمي، وليخبره كذلك أنني سألق بالظلام هزيمة نكراء.
بدأ مولوخ يتحرك نحو بابل، فقال القائد العام عمرام:

- هيا اصطفوا أيها الجنود.
قالت الحكمة أم تعامة:
- سأقوم أنا وليلي بالتنصدي لكل أعمال السحر، وأنت يا يراع لديك من القوة ما تستطيع بها هزم جيشي الإنس والجن معا.
تحرك عمرام بفرسه وقال:

- أيها الجنود لا تخافوا من شهب الطاعون، ولا من براميل السحر والنار التي كان المردة يمطرونكم بها، فالجن من مدرسة الحكمة أرسلوا لنا الحكيمة أم تعامة للتصدي لسحر الظلام، ركزوا فقط على جيش مولوخ.

صرخ الجنود فرحا بهذا الخبر، فأعطى القائد العام إشارة الانطلاق للجنود المتمركزين فوق أسوار بابل، فبدؤوا يمطرون جيش مولوخ بالسهم، فيما كان الفرسان المنقسمون إلى قسمين قد ذهب القسم الأول إلى ميمنة جيش مولوخ فيما القسم الثاني إلى ميسرته.

كانت كل من ليلي والحكيمة أم تعامة ترسلان كرات النار نحو الماردات المحلقات في السماء، حتى لا يصيب سحرهن جنود بابل، فاحتدم الجيشان بقوة كبيرة، وتقدم جيش مولوخ بعربات حديدية ضخمة تضم مناقير كبيرة قصد ضرب جدران المدينة، وإحداث كسور فيها، كما كانت العربات تضم سلالم حديدية يتسلقها الجنود من أجل القفز داخل بابل، تقدم يراع بقوة كبيرة مخترقا جيش مولوخ لوحده فقال له القائد العام عمرام:

- لا تتسرع يا يراع.

- لا تخف أيها القائد، فلدي من القوة ما يكفي لصدهم.

إنبهر كل من القائد العام عمرام ويارد ويانيل بشجاعة يراع الذي أخرج سيفا براقا، فكان يقتل عدد كبيرا بضربة واحدة، فانهال لوحده عليهم مما دفعهم للخوف من مواجهته والهروب من أمامه.

-42-

كان الملك مهلائيل وحاشيته يراقبون المعركة من الشرفة العليا
للقصر فقال:

- داك يراع البطل يكاد يفني الجميع.
أحست فايا زوجة يارد بغضب شديد، خاصة أنها تكره يراع بسبب
رفضه الزواج منها، واتفاقه مع أخيه يارد بأن يتزوجها بدلا منه فقالت:

- إنه يستعمل السحر مثل جيوش الظلام.
وضع مهلائيل يده على جرح في صدره وقال:

- لا إنها الحكمة.
مسكت فايا ببطنها وبدأت تتألم، فقالت الأم ديناً:

- إبنتي، أنت حامل لا تشاهدي المعركة؛ رجاءً هيا معي.
سحبته بعيداً ووضعته على أريكة طويلة مصنوعة من الجلد
والصوف وقالت:

- حبيبي إستريح هنا.
حل المساء وظلت المعركة محتدمة بين الجانبين، وكان يراع يتقدم
لوحده وسط جيش حنوك إلى أن التقى مع القائد مولوخ الذي كان مدعماً
بسحر من ليليث، فنشبت بينهما معركة قوية، أما ليلى فقد توقفت عن
قذف الماردات بشهب النار بعدما رأت أختها كحلة تحط بالقرب منها،
فقالت:

- أختي كحلة أنت بخير؟
قالت الحكيمة أم تعامة بصوت عالٍ:

- انتبهي يا ليلي، فأختك صارت خادمة للظلام، لقد باعت روحها إليه، أنظري إلى عينيها كم هما سوداوتان.

تراجعت ليلي بخطوات إلى الخلف، فسمعت ضحكات قوية من بين الجنود، ثم ظهرت ليليث واقتربت من كحلة بنت برقان وقالت:

- كحلة باعت روحها لسيد الظلام عزازيل بإرادتها، والآن أصبحت واحدة منا.

أخرجت ليليث صولجانها، ووجهت شرارته الحمراء بسرعة نحو الحكيمة أم تعامة، التي سارعت بدورها إلى اعتراضه بإخراج شرارة ضوء أزرق من صولجانها، فاحتدم الضوءان معا، وتكونت هالة كبرى بينهما، تحرق كل من اقترب منها من الجيشين.

في تلك الأثناء انتبه يراع للضوء القوي المنبعث خلفه، فتشتت تركيزه خوفا على ليلي، واستغل مولوخ الوضع وصوب سيفه السحري نحوه، إلا أنه انتبه في آخر لحظة وتمكن من صده.

أخرجت كحلة بنت برقان كرتي نار من يديها وصوبتها نحو أختها ليلي التي فضلت عدم المواجهة واحتمت فقط بمعطفها تتلقى الضربات، وفي غفلة منها ارتمين عليها مارادات الظلام فقالت ليليث لهن:

- لا تقتلها. أريدها حية.

مسكت المارادات بليلى، ونزعت معطفها، ثم حملتها بعيدا، فتراجعت ليليث إلى الخلف، وأوقفت شرارتها الضوئية، وفرت بعيدا مختفية بين الجنود، أما الحكيمة فسقطت أرضا من كثرة الطاقة التي استنزفتها في حربها ضد سيدة الظلام.

حل الليل، وشعر الجيشان بالتعب، فترجع مولوخ للخلف محاولا توقيف المعركة، لكن يراع ظل يطارده إلى أن اعترضه فيلق من الفرسان، قصد تمكين مولوخ من الانسحاب.

كان جيش بابل يحتفل بالفوز المؤقت، بينما ظل يراع كالمجنون يبحث عن ليلى في أرجاء المعسكر غير آبه بالتهاني التي يتلقاها من طرف الجنود إلى أن وصل إلى الحكيمة أم تعامة وقال:

- أين ليلى؟

- لقد خطفها جيش الظلام.

بدأ يراع بالصراخ غضبا ثم انهار بالبكاء، فاقترب منه القائد العام عمرام في محاولة لمواساته فقال:

- لا عليك يا بني، سنسترجعها.

وقف يراع ومسح الدمع من عينه اليمنى بكم معطفه وقال:

- هل لازالت على قيد الحياة أيتها الحكيمة؟

- نعم لقد أمرتهم ليليث بأن يبقوا عليها حية.

امتطى يراع فرسه وقال:

- سألحق بجيشهم.

رد يارد:

- هل جننت؟

قال القائد العام عمرام:

- هيا بنا إلى داخل القصر لتلقي التحية على أبيك مهلائيل أولا،

فهو مريض جدا ثم بعدها نخطط لهجوم ساحق، ونسترجع ليلى بكل تأكيد.

تنهد يراع وأطلق زفيراً قويا وقال:

- حسنا.

دخل الجيش إلى بابل حاملا جرحاه وعتاده، فدخل يراع إلى قصر أبيه، ليجد أمه وإخوته الصغار في انتظاره؛ عانقهم بقوة ثم مسح دموع أمه التي قالت:

- ماذا حل بعينك يا بني؟ إنه جرح غائر يا حبيبي.
 - لا تقلقي يا أمي، فبالرغم من هذا الجرح الغائر في وجهي، فإنني أبصر جيدا.
 عانق يراع أمه وقبل رأسها ويديها ثم استرسل قائلا:

- كيف حال أبي؟
 - حالته تسوء.
 دخل الجميع إلى قاعة العرش حيث الشرفة المطلة على ساحة المعركة، وكان مهلائيل نانما في سريره بعد أن اشتد عليه الألم، فقال يراع لأمه:

- دعيه يرتاح سأظل بجانبه.
 نظر يراع نحو الحكيمة أم تعامة قائلا:

- هل هناك إمكانية مساعدته في الشفاء؟
 إقتربت الحكيمة من الملك مهلائيل وهو ممدود على فراشه، ثم رفعت يديها فوق جسمه، وأغمضت عينيها، وبدأت تمرر أصابعها فوقه من أخمص قدميه إلى أعلى رأسه ذهابا وإيابا وقالت:

- لقد أصيب بسلاح سحري، والسم قد تغلغل في جسمه ووصل إلى كل عروقه، لو كان الجرح حديثا لتمكنت من علاجه، لكن كل ما سأحاول فعله هو التقليل من ألمه وإبطاء السحر في جسمه ليعيش مدة أطول، لكن لا أستطيع إزالته للأسف.
 بدأ الجميع بالبكاء على هذا الخبر المحزن فقال القائد العام عمرام:

- الملك مهلائيل سيغادرنا.
ثم بدأ يبكي، فسقطت فايا أرضا من هول الصدمة.
تقدم يارد بسرعة نحوها، فقالت له:
- اذهب بي إلى غرفتي.
حملها يارد وركض بها نحو غرفته، فقالت أمه:
- مسكينة فايا حملها صعب؛ جاء في وقت الحرب مع كل هذه
الأخبار المؤلمة، لن تستطيع التحمل.
وضع يارد زوجته فايا على سريرها، ووضع يده على بطنها، وبدأ
يتحسس ركلات الجنين وقال:
- هل أنت بخير يا حبيبتي؟
- قليلا.
أمسكت بيده واسترسلت:
- أشكرك حبيبتي، فأنت اليوم مرهق ومتعب بسبب المعركة ولا
داعي للاثقال عليك بمشاكلي.
قبل يارد رأسها وقال:
- لا عليك حبيبتي، هيا أنجبي لي بسرعة ولي عهدي أريد أن
أرفعه بيدي عاليا.
- لقد حل اليوم يراع بالمعركة، وقلب موازين القوة، لقد كان أبوك
فرحا به، وظل طيلة المعركة يهتف باسمه.
- أحمقا؟ إنه مشتاق له كثيرا، كما أن هذا الفوز يرجع الفضل فيه
إلى يراع، لقد حل علينا في الوقت المناسب.
- أولا تخشى من أخيك أن يظفر بقلب أبيك ويسلمه عرشه الذي
أنت وريثه.

حملق يارد بتعجب في وجه فايا وقال:

- لا أظن ذلك، فلقد سبق لأبي مهلائيل أن أعلن أنني وريثه في الحكم.

- في ذلك الوقت، لم يكن يراع موجودا هنا، وكان والدك غاضبا عليه، أما الآن وقد شاهده كيف يقاتل وكيف يستخدم السحر، وكيف أن حكماء الجن صاروا في خدمته، فسيغير رأيه بالتأكيد.
ظل يارد صامتا فأردفت فايا قائلة:

- لقد سمعنا الجنود يهتفون بحياة أخيك، سيلتف الجميع حوله، وستصبح أنت نسيا منسيا.
وضعت يده على بطنها وأكملت:

- فكر في مصلحة ابنك، لقد قلت وريث عهدك، فماذا سيرث إذا لم تكن أنت حاكم بابل!
ظل يارد صامتا يفكر في كلام زوجته فايا، وحين أحست بأنه اقترب من الاقتناع بكلامها أردفت:

- فكر في مصلحة بابل، ثم في مصلحتك أنت ومستقبلك.

- وما عساي أن أفعل؟!!

عدلت فايا من جلستها، واقتربت من وجهه وقالت:

- أقتله.

- لا. لا مستحيل، هذا أخي.

- أخوك!! لقد جاء لسرقة عرشك، لماذا جاء الآن لماذا جاء في

هذا الوقت؟ هيا أجب.

ظل يارد ساكتا ثم قالت فايا بصوت ناعم:

- يا حبيبي لقد علم بإصابة أبيك، وأنه لن يعيش طويلا، وجاء لينزع عرشك، هيا نفذ الأمر.
- سيعلم الجميع أنني قتلته، وقد أصير منبوذا في بابل.
- أَدعُ أخاك ليتناول العشاء معك، واحرص على ألا يراك أحد، ثم قدم له وجبة عشاء مسمومة.
- اقتربت من أذنه وقالت بصوت فحيح:
- سيصبح ميتا وسيظن الجميع أن عزازيل قد قتلته.
- حسنا سأنفذ الأمر.

-43-

ظلت أم تعامة طيلة الوقت ترقب السماء من شرفة القصر، فيما كان يراخ جالسا في حزن أمه وإخوته مجتمعون حوله، وهم يسمعون قصصه ومغامراته منذ خروجه من بابل نحو سوسة إلى أن عاد من غابة الأرز والتحق بالقتال مباشرة في المعركة، كما حدثهم عن حبه لليلي الذي يزيد تعاظما يوما بعد يوم.

قالت الأم دينا:

- كيف يا بني تريد الزواج من ليلي، وهي من بني الجن وأنت من بني الإنس؟
- يا أمي الحب أقوى من كل الفوارق.
- تعلم يا بني دائما أدمك، لكن أنا خائفة عليك من هذه الخطوة.
- ولم يا أمي قد تخافين علي؟
- سيكون زواجا شادا، فلم يسبق أن حدث ذلك سابقا.
- قال يراخ وهو يعدل من جلسته.
- كم من أمر كان شادا البارحة، أصبح اليوم أمرا مألوفاً.
- تدخلت الأخت دانييلا قائلة:
- أمي ربما قد يكون زواج أنسي من جنية فيه خير كثير.
- كيف ذلك؟
- قد يساهم في تقوية التحالف الواقع بين الجنسين الإنس والجن ضد الشر المشترك بينهم، ألم تلاحظي كيف تحالف أبناء قايين مع الظلام لكي يهاجمونا!!
- تدخلت الحكيمة أم تعامة من أمام الشرفة مقاطعة حديث يراخ مع إخوته قائلة:

- يا بني أحتاج أن أقرأ السماء حالا، وأريد الصعود إلى فوق أكبر
بناية عندكم.

نهض يراعى وقال:

- حسنا، سأوصلك إلى هناك.

ثم التفت إلى أمه فقبل خدها وقال:

- سأعود بعد قليل.

- استرح يا بني، فإنك منهك بالسفر والحرب، وغدا أنت مقبل

على أمر هام.

- لا يا أمي سأعود إليك، وسأنتظر أبي مهلانييل إلى أن يستفيق.

- أبوك ظل منذ إصابته متقطع النوم بسبب الألم الذي كان يسري

بجسده، لكن بعد أن مررت بالحكمة أم تعامة يديها عليه، شعر بتحسن

وغط في نوم عميق، إني أراه مرتاحا الآن ولن يستفيق إلا بعد الفجر،

فهي أذهب واسترح يا بني.

- حسنا يا أمي، نلتقي في الصباح إذن.

إنطلق يراعى مع الحكمة أم تعامة بسرعة نحو المعبد الملكي، فوقفت

الحكمة والتفتت نحو يراعى وقالت:

- تصبح على خير يا بني.

- مالي أراك على غير عادتك، أشعر أنك متوترة قليلا.

- لا. لا شيء يذكر.

- أظن أن هناك خطب ما.

تهدت الحكمة أم تعامة ولوت رأسها نحو السماء في ضيق شديد

وقالت:

- عزازيل يخوض الآن هجوما كاسحا على مدرسة الحكمة قد لا

تصمد إلى الصبح.

- هذا خبر سيء.
- والخبر الأسوأ هو أن جيش مولوخ انسحب من المعركة بعد أن ظفروا ببليلي.
- قال يراع بعد أن أمسك رأسه:

- لا يعقل. كيف هذا!!!
- لقد قرأت السماء فوجدت فيها أن عزازيل قد أرسل طلبا إلى ليليث يدعوها إلى الانسحاب من المعركة والتراجع إلى الخلف، وفور سيطرته على مدرسة الحكمة سيخوض هجوما كاسحا بنفسه على بابل آخر القلاع.
- ضرب حائط المعبد بقبضة يده وقال:

- لن يتمكن من هذا ما حييت.
- لا عليك أيها المستنير، فأنت سيق لك أن تلمست طريقك نحو النور، وقليل من النور سيهزم الظلام مهما كان حالكا.
- إلى اللقاء أيتها الحكيم كان إيل في رعايتنا.
- دخلت الحكمة إلى المعبد وصعدت إلى مسطبة العلوية لتتأمل أخبار السماء، أما يراع فقد هرع مهرولا نحو القصر الملكي، وأثناء صعوده إلى غرفته التقى بأخيه يارد فقال:

- يارد ماذا تفعل هنا يا أخي؟
- كنت أعد بعض الطعام وأنا متوجه به إلى غرفتي.
- وضع يارد يده على كتف أخيه ثم أكمل قائلا:
- هيا بنا نصعد إلى سطح القصر ونتناول هذا الطعام. أظنك جائعا؟
- نعم جائع جدا، هيا بنا.
- توجه الأخوان يراع ويارد نحو عليّة القصر المطلّة على حديقة الياسمين، وهما يتجاذبان أطراف الحديث، وكل واحد منهما يحكي للآخر

قصته، فجلسا معا في العلية، واسترخى يراع على حصير صوفي وبدأ يراقب ضوء القمر، بينما يارد توجه إلى طاولة صغيرة وبدأ يعد عليها وجبة العشاء التي حملها معه.

قال يارد:

- إن بابل في خطر يا أخي، وأبي مهلائيل لم يعد قادرا على مقاومة التسمم الذي يسري في جسده أخاف أن ينهار ملكنا.
- نعم، فالظلام يحدق بنا من كل جانب، ولم تبق إلا بابل هي التي تتقف في طريق عزازيل لتحقيق رغبته في نشر الظلام على كل العالم.
أخرج يارد اللحم المسموم من سلة القش، ووضعها على الطاولة وقال:

- إذا مات أبي مهلائيل كيف سنسوس بابل، هل لديك خطة يا أخي؟
أحس يراع أن هناك خطبا ما في كلام أخيه، وسمع صوت دقات قلبه تتسارع وهو يعد اللحم، فقال وهو ينظر إلى القمر:

- صراحة لا أفكر حاليا إلا في استرجاع حبيبتي ليلي والزواج منها، ثم أعيش معها في كوخ بعيد في غابة لا يقربها أحد، وأن أنجب الكثير والكثير من الأولاد.

- ولكن مملكة أبيك بابل تحتاج إليك، يجب أن يسيرها رجل قوي.
- أنت لها يا أخي. أنت الأكبر سنا، والأقوى في بابل الكل يخافك ويحترمك، أما أنا صراحة وبكل صدق لا أفكر في الملك أو حكم بابل، أشعر كأنني ريح حرة لا أحبذ البقاء في مكان مغلق.

- أحقا يا أخي؟

- نعم أنت تستطيع تسيير الحكم في بابل، أما أنا فلدي خطط أخرى.

نهض يارد من مكانه، وحمل معه اللحم المسمم، وتوجه به جانب الحائط، ورماه نحو الحديقة فقال يراع:

- ما بك يا أخي؟ لم ترمي الطعام؟

قال يارد بعد أن أحس بذنب كبير وخطورة ما كان سيتسبب به:

- إنه لحم فاسد. شممت فيه رائحة كريهة، سأويخ خادم المطبخ على إهماله.

- لا توبخه، فنحن في حالة حرب، وقد تجده كان متوترا، ولم ينتبه للطعام الفاسد.

قال يراد وهو يهيم بالمغادرة:

- حسنا يا أخي، سأذهب لأتفقد زوجتي فهي مريضة.

- أبلغها تحياتي.

- هل ستظل هنا، أم ستنزل إلى غرفتك؟

- سأنام هنا على هذا الحصير.

- حسنا، سأطلب من خادم المطبخ أن يرسل إليك طعاما جديدا إلى هنا.

- سأنتظر، فإني أتضور جوعا.

أمضى يراع ليلته في علية القصر وباله كله مع حبيبته ليلي، فأغمض عينيه وبدأ يتخيل نفسه يداعب خصلات شعرها الأصفر، ولم يفتحهما إلا على خيوط شمس يوم جديد. نهض مسرعا وارتدى ملابسه، ثم نزل بسرعة نحو قاعة العرش، فاستقبلته أمه بالعناق.

- كيف حال أبي؟

- لقد استفاق ولأول مرة يتناول الطعام منذ ثلاثة أيام، شكرا

للحكيمة أم تعامة.

دخل يراع إلى قاعة العرش وقبل يد أبيه الذي قال:

- ما هذه الجروح التي في وجهك؟ ماذا حل بك؟
حكى له يراع بالتفاصيل ما وقع له، فكان الملك مهلائيل بين الفينة والأخرى يربت على كتفه، ثم خرج باكيا من غرفته، فتبعته أمه متسائلة:

- ما بك يا بني؟

- سأشتاق إلى أبي، سأشتاق إليكم جميعا؛ يجب أن أغادر الآن.
عانق أمه وإخوته وتوجه نحو المعبد حيث كانت الحكمة لازالت في السطح، فصعد إليها ليجدها في وضعية تأمل:

- آسف أيتها الحكمة على مقاطعتك، سأذهب نحو جيش مولوخ لأسترد ليلي.

- جيش مولوخ انسحب من المعركة، وهو متوجه غربا صوب وادي هنوم.

- ومدرسة الحكمة ما أخبارها؟

- لم تصمد أيها المستنير، فلقد تمكن عزازيل من الإطاحة بها، فدخلها ودمرها تدميرا كما ألقى القبض على كل طلابها.
شحب وجه يراع وقال بكثير من القلق:

- والحكماء؟

- لقد تمك..

قاطعها قائلا:

- لا، لا تقولي إن عزازيل تمكن منهم.

- لقد تمكن من الحكماء الستة الجدد الذين تم انتدابهم، أما

الحكماء فقطش وكرير ونموشالخ فقد تمكنوا من الفرار.

- هل حاوت التواصل معهم؟

- إذا تواصلوا معي عبر النجوم، قد يكتشف عزازيل مكانهم الجديد.
- أمسك يراع رأسه وصاح بغضب شديد:
- لا يعقل هذا.
- تنفس بعمق وقال مجددا:
- يجب أن أذهب لأحرر ليلى قبل أن يصلوا إلى وادي هنوم، فلن أعتز عليها هناك.
- أيها المستتير مصير العالم الآن بين يدي، فيجب أن تكون عاقلا قبل أن تكون قادرا.
- ومصير ليلى بدوره بين يدي، وليلى عندي أهم من العالم أجمع.

-44-

نظر يراع إلى السماء، ثم تقدم خطوات على المسطبة إلى أن وصل إلى حاشية الجدار فقالت الحكيمة أم تعامة:

- ماذا ستفعل يا يراع؟

رفع يديه إلى السماء وأخذ نفسا عميقا وقال:

- سأخلق في السماء عاليا حتى ألحق بجيش مولوخ قبل أن يصل إلى قصرهنوم.

- أتستطيع ذلك؟

- نعم أستطيع.

أغمض يراع عينه، وقفز من ارتفاع شاهق، فهوى قليلا، ثم ارتفع عاليا في السماء متجها نحو الغرب.

قالت الحكيمة أم تعامة:

- لقد تمكنت أيها المستنير من زهرة الحياة.

لمح يراع جيش مولوخ، فانخفض بين الأشجار، حتى لا تكشفه الماردات المحلقات في السماء، وانتظر مختبئا حتى بدأ الجيش بإنزال حملته ونصب الخيام استعدادا للمبيت.

مع توقف حركة الجيش، انسل يراع بين الأشجار، فدخل معسكر مولوخ متخفيا نحو العربات الحديدية، حيث اختلط مع الحدادين، ثم توجه إلى أقفاص تضم أسرى الجيش البابلي، فبدأ يبحث بينهم عن ليلي لكن دون جدوى.

فجأة ظهرت له فتاة ترتدي نفس الرداء التي كانت ترتديه ليلى، فتعقبها إلى أن وصلت إلى خيمة منزوية فاستدارت وأزالت القبعة من رأسها فقال يراع:

- لا يعقل إنها ليلى.

رفعت الفتاة رأسها وقالت:

- يراع ماذا تفعل هنا؟

- يستحيل أن تكوني أنت ليلى.

أغمض عينيه قليلا وفتحهما، وركز نظره على البلورة الكاشفة المنغرس في عينه يسرى، وكانت الفتاة قد اقتربت منه كثيرا محاولة عناقه، إلا أن يراع أخرج سيفه بسرعة وغرزه في بطنها، فصرخت صرخة قوية.

قال وهو يسحب سيفه من بطنها:

- أعلم أنك لست ليلى أنت جنية من الماردات.

قالت له الفتاة بألم شديد:

- ولكن كيف كشفت أمرى.

ثم سقطت أرضا مدرجة في دمها الأسود اللزج. كانت الماردات قد تحلقن حول يراع، وخلفهن وقف جنود مولوخ على أهبة الاستعداد، وقالت لاقيس:

- لقد قتلت كحلة بنت برفان، سننتقم منك.

أخرجت لاقيس كرة النار ورمتها نحوه لكن يراع صدها بسهولة بمعطفه الحامي، ثم توالى الماردات بقذفه بكرات النار إلا أنه كان خفيف الحركة سريع المناورة مما تسبب في فزعهن جميعا.

دخل القائد مولوخ وسط الماردات وقال:

- أنت هنا، ألا تخاف!
- ومن أنت لكي أخاف منك!! بل أنت الذي يجب أن تخاف مني، فأنا قادر لوحدي أن أهلك جيشك هذا كله.
- كان يراعى يحاول بكلماته زرع الخوف في نفوس المستمعين، خاصة أنهم خبروه في المعركة قرب بابل، ثم شاهدوه كيف ينقض على الماردات بسهولة دون أن تؤثر كرات النار في جسده.
- أخرج يراعى سيفه وهاجم مولوخ بضربات قوية إلى أن تدخلت ليليث من بعيد قائلة:

- المستنير هنا، إنها جراحة كبيرة منك.
تراجع مولوخ إلى الخلف واقتربت ليليث منه وهي تقول:

- لقد كنت أراقبك منذ خروجك من بابل ومحاولتك اللحاق بنا.
- الكثير سيعتبر هذا الأمر تهورا، لكن أنا اعتبرها شجاعة منك.
- هناك شيء ما يخصني؛ أريد استرجاعه، وأعدكم أنني سأترككم تعودون أحياء.
- ضحكت ليليث بقوة، وقالت:

- لم أكن أعلم أنهم يعلمونكم في مدرسة الحكمة التعجرف إلى هذا الحد. أنظر إلى حالك أيها الصبي كنت متهورا في السابق، الآن أصبحت متهورا ومتعجرفا.
قال يراعى بكلمات واثقة:

- هل تريدون أن تجربيني.
- ضحكت ليليث مرة أخرى وقالت:

- أيها المسكين، أنت لا تعلم فيم ورطت نفسك، أنظن أن حكماء المدرسة منحوك مهمة المستنير الباحث عن شجرة الحياة حبا فيك أيها الإنسي؛ لا أيها الصبي؛ لم يمنحوك هذه المهمة إلا بعد فشلهم المتوالي في الوصول إليها، فكل واحد منهم يمني نفسه بالخلود.
- كلامك لا يهمني أيتها الجنية الماكرة، فأنا كذلك أعرف عنك الكثير، وعن مكرك وخبثك وخيانتك للملك برقان.
- الخيانة هي أسمى ما قد نقدمه لسيد الظلام عزازيل.
- حسنا أيتها الخانثة، أخبريني أين هي، وسأترجع عن هذه الحرب، وأتخلى عن مهمة البحث عن الخلود، مما سيمنحك فرصة موأتية للسيطرة على كل هذه الأرض.
- حاول يراع بدوره مناورة ليليث بأنه سينسحب من المعركة إن مكنته من ليلي، إلا أنها كانت كاشفة لكذبه، فقالت وهي تلتف ببطء حوله:
- الآن بدأت تشبهنا، محاولة جيدة أيها الصبي، مناورة لا بأس بها، وأنا أحب الكذابين.
- فجأة سمع يراع صراخ ليلي في السماء؛ رفع رأسه ليجدها مربوطة بحبل سحري يمسكه القائدان طيش وطوش، فلم يتمالك نفسه وهاجم ليليث بسيفه، إلا أنها كانت تختفي من أمامه كلما اقترب منها كأنها سراب، ضحكت مرة أخرى وقالت:
- ألم أقل لك إنك ضعيف، ما رأيك لو أمرت القائدان طيش وطوش بجر الحبل السحري، ستصبح ليلي مجرد شرائح صغيرة من اللحم، وسأطعم بها عبيدي.
- لا أرجوك لا تفعلي.
- قالت ليليث بسخرية.
- وما يمنعني من ذلك، هل هي قوتك التي كنت تتباهى بها قبل قليل!!

رمى يراع سيفه في الأرض وقال:

- حسنا، أطلقني سراحها.
- لم أنت مهتم بها لهذا الحد، لقد نشأت بالقرب مني؛ إنها تافهة مقارنة بأختها كحلة التي قتلتها قبل قليل.
ثم التفتت إلى لاقيس التي كانت واقفة بالقرب منها وقالت:

- أليس كذلك؟
أومأت لاقيس برأسها وقالت:

- نعم.
- حسنا أيها العاشق، إذا أردت أن تحافظ على حياتها إنزع معطفك، ونم على بطنك.

بلا تردد نزع يراع معطفه، وانحنى على ركبته، ثم نام على بطنه، وببطء شديد بدأ مولوخ وجنديان آخران يقتربان منه، فضرب مولوخ سيفه برجله بعيدا وحمل جندي آخر معطفه، فتم تكبيل يديه ورجليه بحبل سحري، ثم انهال عليه بلكمات قوية حتى قالت ليليث:

- توقف يا مولوخ، ضعه فقط في القفص السحري وشد عليه الحراسة.

أعطت ليليث إشارة للقائدين طيش وطوش فحلقا بليلى بعيدا، فقال يراع:

- إلى أين سيأخذونها؟
- سيأخذونها إلى وادي هنوم لينظر سيد الظلام عزازيل في أمرها، أما أنت فسترافقنا إلى أن نصل إلى هناك، لينظر في أمرك كذلك.
- أنا متشوق لملاقاته.
إقترب ليليث من القفص وهي تضحك بسخرية وقالت:

- أخبرني أمرا، لازال يحيرني.
- ما هو؟
- كيف اكتشفت أن كحلة التي قتلتها ليست هي ليلى، بالرغم من أنها كانت متلبسة بصورتها، فلا يستطيع أحد رؤية صورتها الحقيقية.
- لم تكن ليليث تعلم أن يراع فقد بصره في عينه اليسرى، وزرعت له حكيمة أم تعامة بلورة كاشفة عوضها والتي اندمجت في جسده، وصارت جزء منه، وأصبح يستطيع من خلالها رؤية كل الستائر التي قد يصنعها الجن بأسحارهم.
- إنه الحب والحب لا يخطئ.
- لم يقتعني كلامك، لكن عزازيل خبير في فضح الكاذبين، سيكشف كل أسرارك، ثم سيسلبك قوتك التي .
توجهت ليليث نحو لاقيس وقالت:
- خذي كتيبة من المردة، وحلقن عاليا في السماء أريدكن أن ترصدن أي حركة صغيرة كانت أم كبيرة.
- أمرك سيدتي.
- إنصرفت ليليث مع الماردات، فاقترب رجل كبير في السن من القفص وقال:
- المستنير!
- ماذا تريد أيها العجوز؟
- قال الرجل وهو يحملق في وجه يراع كأنه يريد افتراسه:
- أنا اسمي رأوبين.
- ما بك تحملق في هكذا!!
- سمعت أنك تبحث عن شجرة الحياة.
- لم أسمع بهذه الشجرة من قبل.
- غضب رأوبين وقال:

- معاشرتك للجن علمتك الكذب، مد لي يدك كي أتمسها.
- ابتعد عني أيها العجوز.
- سمعت أنك كنت مع الحكيمة أم تعامة.
- لا أعرف عن ماذا تتحدث أيها العجوز، أغرب عني.
- سيفك الآن معي، فلقد طلبت من القائد مولوخ أن يعطيني إياه،
وها هو أصبح ملكي، وقد رأيت فيه رموز عناصر الطبيعة، فلا تكذب
علي أيها المستنير أخبرني فقط، وسأساعدك على الفرار.
- إسمع أيها العجوز، سأكون معك صادقا هذه المرة، أنا لا أفكر في
الهرب، أنا أريد الذهاب إلى وادي هنوم وألتقي بعزازيل، وسأخلص
العالم من ظلامه، ثم سأحرر حبيبتي ليلي. هل فهمت؟
- بؤسا لك أيها المجنون، ألا تعلم أن وادي هنوم هو بوابة لقصر
عزازيل، وأن تحتها يوجد العالم السفلي، فإذا دخلته لن تستطيع الخروج
منه أبدا. لا يوجد مخرج، أتفهم لا يوجد مخرج، ستهلك هناك، وسيهلك
معك سرك حول الخلود.
- أشاح يراع بوجهه عن رأوبين وقال:
- أتركني لحالي أيها العجوز.

-45-

بعد رحلة استمرت سبعة أيام وصل جيش مولوخ إلى مقربة من وادي هنوم، فأنزل الجيش كل معداته في سهل فسيح قرب الوادي، واقتربت ليليث من مولوخ وقالت له:

- هنا ستبني مدينة لجنودك لكي يعمرها هذا المكان.
- ولكن السيدة ليليث قد وعدتني بأن أدخل إلى بابل، أنا لا أفهم لماذا انسحبنا من المعركة، ولماذا تطالبيني ببناء مدينة هنا.
- هذا أمر عازيل؛ هو من أمر بالانسحاب من المعركة بعد أن حقق نصرا على مدرسة الحكمة، ربما يريد أن يقود بنفسه المعركة ضد بابل، لكن لا تقلق فقد أخبرني بأنك من سيكون الحاكم فيها.
- حسنا سيدتي.
- وكذلك بناء مدينة هنا في هذا المكان هو أمر عازيل.
- أوما مولوخ برأسه وقال:

- سأمر الجنود بالاستقرار هنا.
- هيا جهز المستنير لكي ننزله إلى قصر عازيل.
- هل سأنزل بدوري لملافاة سيد الظلام؟
- لا أحد يدخل أو يخرج من قصر عازيل إلا بإذنه، ولا يمكن أن يدخل إنسي أو جني للعالم السفلي ثم يعود إلى الأرض إلا بظلم المرور الذي يمنحه سيد الظلام.
- إذن إذا دخل يراع إلى العالم السفلي لن يعود إلى الأرض.
- نعم يا مولوخ، وبهذا سننتهي من قصته.
- سأجهزه حالا سيدتي.

توجه مولوخ وعدد من الجنود نحو قفص يراع الذي كان يغط في نوم ثقيل، فأدخل مولوخ عصا طويلة إلى القفص، وضرب بها يراع حتى استفاق مفزوعا، فأمره بالوقوف بمحاذاة شبك، وإخراج يديه منه لتكبيها.

دخل الجنود إلى القفص وأحكموا ربط يراع جيدا بحبال سحرية، ثم وضعوا كيسا على وجهه وتوجهوا به نحو ليليث.

تقدم القائد الأعلى سانوخ نحو ليليث وقال:

- يبدو أنك أتيت بصيد ثمين.

وضعت ليليث رجلها اليمنى على يراع وقالت:

- نعم إنه المستنير، سأقدمه إلى سيد الظلام.

قبل دنهش أخته لاقيس ثم توجه إلى ليليث ووضع قبلة قوية على خذها وقال:

- أنظري إلى فوزنا وعظمة قوتنا؛ لقد استطعنا تدمير مدرسة الحكمة وهادم كل الطلاب أسرى لدينا.

- لم تحققوا أي شيء مادام الحكماء الأربعة فارين من قبضتكم.

- لا. لقد أمسكنا بالحكماء الستة الذين تم انتدابهم، ولم يبق إلا فقطش وكريير ونموشالخ وأم تعامة.

- بالنسبة لأم تعامة، فهي مختبئة في بابل، لقد كانت ترافق هذا المستنير مع ليلى بنت برقان.

قال سانوخ:

- بالمناسبة فإن طيش وطوش قد قدما ليلى بنت برقان إلى

عزازيل، لكنها رفضت أن تسجد له وأن تمنحه روحها وقد أمر بأن ينزلوها إلى أسفل العالم السفلي وأمر الغولم بتعذيبها.

- أدخلنا المستنير إلى العالم السفلي.
نزل الجميع إلى الطابق الأول من العالم السفلي حيث قصر عزازيل
الذي كان جالسا على عرشه، تقدمت ليليث قربه وقالت:

- سيدي عزازيل ها هو المستنير بين يديك
طار عزازيل من عرشه وحط وسط ساحة القصر، ثم التف حول
يراع ببطء وقال:

- أطلق سراحه يا دنهش.
نزع دنهش كل الحبال من جسمه وفك يديه ورجليه، فوقف يراع على
قدميه متأملا في الساحة الفسيحة الدائرية الشكل، وفي الكم الهائل من
الجن على جنبات القصر، وهم يرتدون معاطف سوداء، تخفي كل ملامح
وجوههم همهم الوحيد هو ترديد التعويذات لعزازيل حتى يشحنوا الطاقة
في قصره.

قال عزازيل:

المستنير، كنت أظنك شخصا قوي البنية، كثير الحكمة، لكنك لازلت
صبيا ضعيف الجسد، منهك القوة، وأكثر من كل هذا أنك متهور، كيف
تقدم على اللحاق بجيش مولوخ لوحدك، هل هذه الحكمة التي تم تعليمها
لك في مدرسة الحكمة؟

- لقد أتيت إلى هنا لأرى كيف يبدو شكلك.
ضحك عزازيل وقال:

- ومتعجرف كذلك، إنها صفات بني البشر، الغرور يملككم في كل
شيء.

ظل يراع صامتا، فطاف به عزازيل مرة أخرى وقال:

- أخبرني لكي أبقى على روحك، ما هو سر الخلود؟

- لا أدري.

انتفض عزازيل وضرب يراع بصفعة على وجهه حتى أسقطه أرضاً
وقال:

- لا تكذب أيها الفتى.

قال يراع بعد أن مسح الدم السائل من بين أسنانه:

- ومالي لا أكذب مادمت في أرض الخطينة.

- حسنا أيها الفتى المتعجرف لقد أخبرني أحد طلاب الحكمة بأن

حكماء المدرسة قد منحوك بيضة الحياة فأين هي؟

- لقد انتهى دور بيضة الحياة، وقد تحولت إلى زهرة، ويوسفني

أن أبلغك أنني فهمت سرها.

- سأعرض عليك صفقة أيها الفتى ستمنحني ما توصلت له،

وتعلن الخضوع لي مقابل أن أبقى على ليلى حية، كما أني سأجعلك

حاكما على العالم الأرضي كله.

ضحك يراع بقوة وقال:

- ما كنت أظنك بهذا الغباء يا عزازيل.

قاطعته القائد الأعلى سانوخ قائلاً:

- كيف تتجرأ على مخاطبة سيد الظلام هكذا!!!

ثم ضربه بعضا على رقبتة إلى أن خر جاثياً، فانقض عزازيل عليه

ووضع كلتي يديه على رأسه محاولاً اختراق هالته الضونية لكن دون

جدوى.

تأمل عزازيل شاكراته فوجدها في توازن تام، فقال:

- تبا لك أيها الإنسي.

ثم مسك رقبتة وأردف:

- أنت لا تريد الاستسلام، إذن سأنزع روحك، وسأسلب قوتك.
حاول عزازيل امتصاص روح يراع، فكان يجذبها منه بكل قوة لكنها ظلت ملتصقة به، حاول أكثر من مرة لكن دون جدوى، حتى استسلم في الأخير ونزع يده منه ليسقط يراع معشياً عليه.

قال عزازيل:

- أيها القائد سانوخ إحمل المستير وأذقه أشد أنواع العذاب حتى تضعف قوته، هيا فلينصرف الجميع من هنا، فأنا أريد أن أظل لوحدي.
انصرف الجميع، فظل عزازيل لوحده يترنح يمينا وشمالا والغضب باد عليه لعدم قدرته على اختراق هالة يراع، ولا النفاذ إلى جسمه عبر شاكرااته، ولا سحب روحه وطاقته.

تساءل كيف لهذا الإنسي أن يصمد أمام قوته، ثم تذكر صراعه مع آدم، وكيف انتهى به المطاف مطرودا من جنة عدن، فقرر الانتقام من سلالته والقضاء عليهم قبل أن يتكاثروا كالجراد فيصعب عليه محاربتهم بالقوة.

قطع القائد سانوخ تفكير عزازيل بعد أن دخل عليه بدون استئذان قائلا:

- سيدي عزازيل، سيدي عزازيل.
- كيف لك أن تتجرأ وتقطع خلوتي.
- إنحني القائد الأعلى سانوخ واضعا ركبته على الأرض قائلا:
- سيدي لقد أتيتك بخبر عظيم.
- إنطق ماذا هناك؟
- سيدي تم القبض على الحكمة أم تعامة، فقد كانت تتجول بالقرب من وادي هنوم فألقت ليليث عليها القبض بسهولة تامة.

إنشرح قلب عزازيل وقال:

- أتعلم لو كان خيرا أقل أهمية من هذا، لقطعت رقبتك فوراً.
ضحك عزازيل بقوة ثم أردف:

- هيا أدخلها إلى هنا.

إنصرف القائد الأعلى سانوخ بسرعة، ثم عاد برفقة كل من ليليث ولاقيس ودنهش، وتتوسطهم الحكيمة أم تعامة وهي مربوطة بسلاسل حديدية.

قال عزازيل:

- الحكيمة أم تعامة شخصيا هنا بقصري؛ هذا شيء لا يصدق.
رفعت الحكيمة أم تعامة رأسها وتدلّى شعرها الأبيض وقالت:

- لازلت وضيعا كما عرفتك.
ضحك عزازيل ورد:

- ذاك زمان ولى وانقرض، أنا الآن شخص آخر لقد صنعت
عظمتي بنفسى.

- آه من تكبرك.

ضحك عزازيل مجدداً، فأكملت أم تعامة حديثها:

- التكبر صفة سيئة، لكن إذا كنت متكبرا وحقيرا.
قاطع عزازيل كلامها قائلاً:

- حقير ومتكبر؛ تساوي عزازيل.

- بل تساوي المعزول والمنبوذ من السماء.

سلمت ليليث الصولجان الخاص بأم تعامة لعزازيل، فأمسكه ثم وجهه صوب الحكيمة وقذفها بشرارة قوية من نار أحمر ملتهب وقال:

- هيا أسجدي لي، وسأضمن لك موتا رحيمًا.
أصبح جسم الحكيمة شفافًا، ولم تعد الشرارة المنبثقة من صولجانها
تؤديها، ثم قالت:

- التكبر لا يعني أبدا ثقة زائدة في النفس، وإنما هو نقص تخفيه
وتحاول تعويضه بهذا التكبر.

كان عزازيل منذ طفولته يتيم الأبوين حيث قضى جل حياته في معبد
سوميا خادما هناك، وكان زوار المعبد يمنحونه العطف والاهتمام، إلا أن
عزازيل كانت تخنقه تلك النظرات المرفوقة بالشفقة والدونية التي يقرأها
في ملامح أعيان الجن أثناء زيارتهم لمعبد سوميا، وكان أسوء يوم في
حياته، يوم قرر الزواج ببنت أحد زعماء الجن، حيث طلب الزواج من
تعامة بنت طاوو، لكن أباها رفض ذلك رفضا مطلقا بل أصر على سوميا
أن يطرده من خدمة المعبد، وبالرغم من أن سوميا رفض طلب العفريت
طاوو إلا أن عزازيل اختفى وصعد إلى السماء للتعبد هناك.

قال عزازيل:

- هيا أنزلوها للعالم السفلي مع المعذبين والمنبوذين، فلن تتمكني
من الصعود إلى الأرض مجددا، موتي هناك تحت سياطي وعذابي.
أمسك دنهش وسانوخ بالحكيمة أم تعامة، ثم توجهها بها إلى الطبقة
التاسعة من العالم السفلي لتنضم إلى باقي المعتقلين.

لم يحاول عزازيل أن يضع يده على رأسها خوفا من فشله، فهو لا
يستحمل أن يفشل مرتين في يوم واحد، فحدث نفسه "قد فشلت مع
براع، فكيف لي أن أنجح مع أم تعامة وهي التي علمته قوة الحكمة!"

قالت ليليث:

- سيدي ما لي أراك منزعجا.

- أشعر أنني منهك وغالبي التعب؛ سأخذ حماما من الدماء الساخنة وسأنام قليلا، ثم نعد العدة لمهاجمة بابل، فهي آخر القلاع على الأرض؛ أريد أن أنتهي من هذه القصة وأبسط ظلامي على كل العوالم.

-46-

مضت عشرة أيام وعزازيل يستعد للهجوم على بابل، حيث جمع كل الحشود من بني الجن الذين بايعوه ذكورا وإناثا، ومن مختلف فصائل الجن وقبائلهم، فكانت سماء وادي هنوم مكتظة بالمردة الطيارين، حتى أنهم حجبوا أشعة الشمس عن السطوع على أرض هنوم، كأنهم كوكبة نحل سوداء تملأ السماء طنيناً.

قسم عزازيل جيشه الضخم إلى مئة كتيبة، كل كتيبة تضم عشرة آلاف مقاتل، وعلى رأس كل كتيبة قائد عسكري، ثم كون مجلسا من قواد الكتائب، وحثهم على الخطة التي يجب أن يتبعوها، ثم وزع المهام بين القائد الأعلى سانوخ ودينهش، فمنح سانوخ أحقية قيادة الجيوش، أما دينهش فقد كلفه بالعتاد والأسلحة، في حين كلف ابنته لاقيس بقيادة النساء من الجنيات اللواتي اجتمعن في خمس كتائب حربية.

قالت ليليث:

- ألن تعتمد على جيش الغولم الستة مئة والستة والستين.
- سأترك جيش الغولم في العالم السفلي يعذبون الأسرى، وينهكون قوتهم حتى أعود من بابل، وحينئذ سأتلذذ بتعذيبهم شخصياً.
- إنه جيش ضخم يا سيدي، فلقد جمعت كل مخلوقات الأرض لمحاربة بابل.
- إني أتباهى بأتباعي. أنظري فكل هذا الحشد يخدمني أنا، وبعد أن أقضي على بني الإنس في بابل؛ لن يستطيع أحد أن يقول عني إني منبوذ، ثم سأرفع صوتي عالياً إلى السماء، وسأخاطب آدم وأخبره بأن ذريته أصبحت تعبدني، ومن رفض سأذيقه عذاباً أليماً.

وصل عزازيل إلى مرحلة كبيرة من التكبر، خاصة أنه قاب قوسين من أن يطبق على العالم الأرضي كله، ويسجل اسمه مع الخالدين، فأعطى أمرا بانطلاق الجيش الذي توجه نحو بابل مدمرا كل ما يعترض طريقه.

كان العالم السفلي مظلما وحارا بسبب أخاديد النار المتوهجة التي تضيء على المكان لونا أحمر مانلا للسواد، كانت هناك دهاليز كثيرة، وحفر تسيل بالنار السائلة، فيما الوحوش الصغيرة ذات الأنوف الشبيهة بالخنازير البرية، والتي لا يتعدى طولها القدم الواحد، كانت كالقنران تجري في كل مكان، وكان بعضها يحمل سياتا أطول منه، ويشرفون على جلد الأسرى بين الحين والآخر، أما الغولم فكانوا يصبون قوارير من نار حارقة على رؤوس المكبلين في الأفقاص.

لقى الغولم براميل من النار والقطران ممزوجة بسحر الظلام على جسم الحكيمة أم تعامة، لكن جسمها لم يتأثر بذلك، فأنصرف الغولم لتعبئة براميل أخرى.

كانت الحكيمة مستلقية على جنبها وسادلة شعرها الأبيض، فقال لها يراع:

- يبدو أن جسمك لا يتأثر بهذا السحر.
- رفعت الحكيمة أم تعامة وجهها وقالت:
- إن عزازيل يراهن على طول مدة التعذيب، فكلما طالت المدة إلا وقلت طاقتنا إلى أن تنفذ وننتهي.
- أرى هؤلاء الجن هناك خانري القوة.
- إنهم من رفضوا السجود لعزازيل من أبناء الممالك المدمرة، وعزازيل يستنزف طاقتهم، قبل أن يقتلهم.
- من ذاك الجني الذي كان يعذب عذابا شديدا حتى هلك؟

- مسكين ذاك ملك المرامرة، سبق أن رفض وضع يده في يد عزازيل، فانتقم منه شر انتقام. إسمه مرة الأبيض؛ أنظر إنه ميت لكنهم لم يكفوا عن تعذيب جثته.
- ومن ذاك المعلق في تلك الناحية؟ يبدو أن تعذيبهم له لا يؤثر في جسده القوي.
- أنا لا أعرف اسمه، لكنه قوي جدا إنه من فصيلة العفاريت.
- قال يراع بصوت عالٍ:
- أنت ما اسمك؟
- أنا اسمي شام قائد جند مملكة هاراش قبل أن يستولي عليها عزازيل.
- كان شام قوي البنية، مقتول العضلات ومجنح الظهر؛ ذا مخالب كبيرة، وأنياب بارزة وقرون ملتفة على أذنيه الكبيرتين. كان يمكنه أن يتشكل في أي صورة شاء؛ إلا أن عزازيل أمر بإحكام القبضة عليه، وألا يترك له مجال للحركة، فكان كل جسمه مربوطا بسلاسل نارية ضخمة؛ ملفوفة عليه من عنقه الضخم إلى أخمص قدميه، ويتعرض لشتى أنواع العذاب من طرف عناصر الغولم، إلا أن شام كان لا يصرخ أبدا من شدة الألم بل كان يصرخ بكل ما أوتي من قوة ليزعج عزازيل في قصره الواقع في الطابق الأول من العالم السفلي.
- قالت الحكيمة أم تعامة بصوت خافت:
- إنه الوقت المناسب للمغادرة.
- كيف؟
- جيش عزازيل قد انطلق إلى بابل، لقد سمعت الوحوش تتداول في ذلك، ألا ترى أن الحراسة أصبحت مخففة؟
- ولكن هذه المخلوقات الضخمة.
- آه، الغولم إنهم مصنعون من تراب ولا يموتون إلا بسر واحد.
- لقد أخبرنا بهم الحكيم نموشالخ حين زارنا في بابل.

- أنظر، دقق النظر في جباه الغولم ستجد نقشا يحمل اسم الحياة ما عليك إلا مسح حرف واحد فيتحول الغولم إلى ميت.



- وكيف سنتمكن من الفرار من العالم السفلي؟ فقد سمعت أن من يدخله لن يخرج منه أبدا.

ابتسمت الحكيمة أم تعامة وقالت:

- أنتن أنهن تمكنوا من إلقاء القبض علي بهذه السهولة، لا يا بني. أنا التي سلمت نفسي لهم، ومنحتهم فرصة القبض علي، حتى أتمكن من إنقاذك وإنقاذ ليلي، وبالنسبة للمخرج ليس هناك شيء مطلق أو كامل، فلا بد من وجود مخرج ما.

- إذن ما هي خطتك؟

أغمضت الحكيمة عينيها، وبدأت تردد ترنيمة سرية، فانبثقت من يدها نجمة صغيرة براقّة بحجم بيضة الطيور، فارتفعت قليلا ثم التفت حول الحبال السحرية التي تربطها ففسختها، ثم انتقلت النجمة بسرعة إلى يد يراع، وبمجرد لمسها بيده، اختفت الحبال السحرية وتحرر من كل القيود.

وبسرعة البرق انتقلت النجمة إلى الجهة الأخرى فحررت ليلي، وبصوت تخاطري قالت الحكيمة أم تعامة ليراع وليلى:

- يجب أن نتسلل من الأقفاص دون أن يلحظنا أحد.

قال يراع:

- أقترح أن نحرر الجميع.

- لا يمكن، فهنا أزيد من ألف معتقل؛ سيكون ضجيجا صاخبا،

وتحريرهم سيلفت انتباه الغولم والوحوش الموجودة هنا.

- بل سنحرر الجميع، لا يمكن أن أتخلى عن طلاب مدرسة الحكمة، ولا عن باقي الأسرى من المماليك المدمرة.

قالت ليلي:

- أنا مع رأي يراع، فلا يمكن أن نتخلى عنهم ونسحب.

ردت أم تعامة:

- حسنا أنا موافقة، لكن يجب أن نتحرك بسرعة.

قال يراع:

- دعيني أتحمك في النجمة.

- لك ذلك.

مرر يراع النجمة بسرعة نحو باقي الأقفاس مع رسالة تخاطرية تدعوهم إلى انتظار إشارة الفرار، ثم رفع عينه وخاطب العفريت شام قائلاً:

- أنت أيها العفريت، أتريد أن أحررك؟

قال شام :

- لو حررتني من هذا السجن، سأكون مدينا لك طول حياتي، لكن لا

أظنك تستطيع ذلك.

أطلق يراع النجمة نحو شام، فحررت جسمه من كل القيود، ثم فجأة فتحت أبواب الأقفاس دفعة واحدة، فخرج منها الأسرى هائجين.

تدخل الغولم والوحوش الصغيرة من أجل إعادة الأسرى إلى أقفاسهم، لكن العفريت شام أطلق جناحيه عاليا ثم طفق يقتل في الوحوش وينهش أجسامهم، إلا أن الغولم كان لا يموت، فكلما انهار أحدهم إلا وتم تشكيله من جديد.

ركض يراع نحو ليلي وعانقها بقوة فقالت له:

- أيها المجنون لقد أحدثت ثورة في العالم السفلي.

- كل هذه الثورة في سبيل حبك، لقد عاهدتك أمام شجرة التوت وأنا

أفي بوعدى.

قالت الحكمة أم تعامة:

- لا وقت لدينا للحب، هيا لنقضي على الغولم بتحويل كلمة الحياة على جباههم إلى موت.

ظلت الثورة قائمة في العالم السفلي إلى أن تم القضاء على جميع الغولم الست مئة والستة والستين، الذين صنعهم عزازيل بتعويذته السحرية، وفرت الوحوش الصغيرة مذعورة فعانقت ليلي يراع وقالت:

- أحبك أيها المجنون.

إقتربت الحكمة أم تعامة من ليلي ويراع فعانقتهما.

قال يراع:

- أيتها الحكمة أم تعامة، لقد عرضت حياتك للخطر من أجل إنقاذنا.

- لو تعلم قيمتك أيها المستتير، لعرفت أن أختيار هذا العالم كلهم

مستعدون أن يقدموا حياتهم قربانا لكي تنجح مهمتك ضد الظلام.

- أتمنى أن تكون لك خطة للخروج من هذا العالم السفلي البئيس.

احتشد الأسرى المعتقلون في العالم السفلي حول يراع وليلي

والحكمة أم تعامة شاكرين إياهم إنقاذهم من الجحيم الذي كانوا فيه،

فتقدم العفريت شام إلى يراع وقال:

- أنا شام من قبيلة هارش أشكرك على إنقاذنا من هذا الجحيم،

فنحن كلنا مدينون لك بحياتنا، ونحن في خدمتك وجنودي تحت إمرتك.

أعلن الجميع أنه تحت إمرة يراع، وخدمته في الحرب والسلم وهتفوا

بحياته، فقال يراع:

- أيتها الحكمة أرجو أن تجدي لنا مخرجا من هذا المكان.

- نحن الآن في الطابق التاسع من العالم السفلي على مسافة ثلاثة

ألاف وستة مئة ساعة مضاعفة أي مسيرة عشرة أشهر إلى الطابق

الأول، وهناك سنصطدم بقصر عزازيل الذي لا يمكن اختراقه إلا بإذنه؛

وبالتالي يستحيل علينا اختيار الطريق أعلاه؛ أولا لطول مسافة الصعود،

وثانيا لأنه طريق مسدود.

قالت ليلي:

- وما الحل؟

رفعت الحكيمة وجهها كأنها تتفقد المكان وقالت:

- يجب أن نتبع طرقا أخرى؛ فكما أقول دائما لا شيء كامل، ولا شيء مطلق، فلا بد من وجود ثغرة ما.

جلست على الأرض ورفعت كفيها عاليا، وأغمضت عينيها، ثم بدأت تدندن بترانيمها الخاصة، حتى انبعثت كتلة صغيرة سوداء من بين يديها كأنها حبات الرمل، فتحوّلت إلى شبه فراشة صغيرة، انطلقت من بين يديها عاليا، ثم تحوّلت الفراشة إلى نسر كبير باسط جناحيه، فبدأ النسر في التحليق بعيدا في أرجاء الطبقة التاسعة، وظل الجميع في سكون يرقب تحركاته حتى استقر على دهليز صغير فدخله.

قالت الحكيمة أم تعامة:

- ذاك هو مخرجنا فلنتبع الطير.

قال يراع:

- وكيف عرف الطير الطريق، ألا يمكن أن يخطئ؟

- إنه يتبع الهواء إلى أن يخرج، يجب أن نتبع مساره.

-47-

تقدمت كتائب جيش عزازيل ببطء إلى أن اقتربت من نهر الفرات، حيث بدت أشجار النخيل منتشرة بكثافة حول مملكة بابل، فأمر عزازيل بإحراقها وإحراق كل الأشجار الأخرى في المنطقة، وتدمير كل المحاصيل الزراعية التي زرعتها سكان بابل خلال موسمهم الفلاحي. ظل عزازيل يحرق ويقتلع الغابات المجاورة حتى بدت الأرض كلها مستوية أمامه، فأمر جنوده بضرب طوق ضخم حول المملكة حتى يغلق جميع منافذها، ثم تمركز قبالة البوابة الرئيسية التي كانت تسمى بباب إيل، وتؤدي مباشرة عبر الممر الملكي إلى وسط المدينة ومنه إلى قصر الملك مهلائيل.

نصبت الأبراج الطويلة التي يستخدمها قواد الكتائب من أجل توجيه الجنود الذين هم تحت إمرتهم، وحلق الجن المارد في السماء بكثافة حتى كاد أن يحجب الشمس على بابل، فاصطفت الغيلان في المقدمة، وخلفها العفاريث من كل الأصناف والقبائل، وخلفهم كتائب الجن العادي الذين كانوا يشكلون نصف جيش الظلام ممن باعوا أرواحهم لعزازيل. مقابل باب إيل مباشرة نصب عزازيل عرشه الضخم، فجلس عليه رفقة ليليث وهو يراقب استعدادات جيشه للانقضاض على أول ممالك بني الإنس وقد تكون آخرها.

وضعت ليليث رجلها اليمنى على اليسرى وقالت:

- نتحرك ببطء أمام بابل يا سيدي.
- لا، ليس كذلك. إنني أتباهي بجيشي أمام هؤلاء البشر، وأزرع الرعب في قلوبهم.

- أحسنت سيدي، لكنني أرى على وجهك القلق والغضب.
- إن ما يقلقتني هو تمكن الأسرى في العالم السفلي من الخروج من أقفاصهم وقتل الغولم الذي صنعت بيدي.

قالت متعجبة:

- وكيف استطاعوا ذلك يا سيدي!!؟

بلهجة غاضبة رد:

- لا بد أنها أم تعامة، فهي تستطيع أن تقرأ كلمة الحياة على جباههم.

- لا يمكنهم الهرب، أليس كذلك يا سيدي!!؟

- أنا واثق أنهم لن يستطيعوا ذلك، وحتى إذا وصلوا إلى الطابق الأول فلن يستطيعوا تجاوز قصري، لكن..

ظل عزازيل صامتا كأن فكرة جديدة قد خطرت على باله فقالت ليليث:

- لكن ماذا؟

- إلا إذا ساعدتهم غايا⁵⁰ بفتح نفق من العالم السفلي إلى سطح الأرض.

- لكنها قد عاهدتك على طاعتك.

- لا أدري، ولكن أريدك أن ترسلي كتيبتين من الجن المارد، ليحلقوا في السماء بحثا عن أي منفذ قد تفتحه غايا من العالم السفلي.

- حسنا سيدي، سأنفذ هذا الأمر الآن.

وصلت الشمس إلى منتصف السماء، فدق الجيش البابلي طبول الحرب، ثم نفخ في بوق ضخم إيذانا ببدء المعركة. أشار القائد العام عمرام بيده وأعطى إشارة لفرقة النبالة المنتشرين فوق أسوار بابل بتوجيه أقواسهم نحو السماء، ثم أعطى انطلاقة الحرب قانلا بصوت مرتفع:

- ما أتى عزازيل به من سحر فإن إيل سيبطله بسهامكم ورماحكم.

كان جنود بابل على أهبة الاستعداد ناصبين أزيد من ألفي قوس على جداري المدينة الأول والثاني، حيث عمل الرماة الموزعون على الجدار

⁵⁰ غايا: هي أم الأرض وروحها وترمز إلى الصخرة الأم تسمى بالإغريقية Γαῖα وبالرومانية Terra وتعني اليابسة

الأول الأمامي على توجيه أقواسهم نحو جنود عزازيل المرابطين أمامهم، أما الرماة الموزعون على الجدار الثاني فقد وجهوا أقواسهم الضخمة نحو كبد السماء، حيث يخلق مرده الظلام بشكل كثيف.

أعطى القائد العام عمرام الإشارة الثانية، فحمل كل الجنود سهامهم وغطسوها في قوارير مملوءة بمياه سوداء تم تركيبها على طول الجدران حتى تظل قريبة من الرماة، كما خصص القائد عمرام جنودا خاصين بملئها حين تفرغ من السائل الأسود.

وأما الملك مهلائيل برأسه من أعلى الشرفة التي كان يراقب منها تحركات جيشه، فالتقط القائد العام إشارته ببدء الهجوم فقال لمهلائيل:

- باسم إيل اضربوا.

قصف الرماة الممركزون على الجدارين في آن واحد جنود الظلام، حيث أحرقت السهام الموجهة نحو السماء مرده الجن وجعلتهم كالشهب المضينة في عز النهار، أما على الأرض فقد اعترضت الغيلان الضخمة معظم السهام لتسقطهم بين قتيل وجريح.

قالت ليليث:

- الآن فهمت لماذا قدمت الغيلان في المقدمة.

أعطى عزازيل إشارة انطلاق الهجوم، فأمر سانوخ بانطلاق فيلقين من العفاريت نحو بابل، التي بدأت بالقفز سريعا نحو أسوارها. كان عزازيل مصدوما من مبادرة بني الإنس بالهجوم، ولم يتوقع سقوط ذاك الكم الهائل من المرده من السماء، وكأنه قدمهم على طبق من ذهب لمهلائيل.

قالت ليليث مجددا:

- لا يعقل أن تكون تلك السهام بهذه القوة لتتسبب في قتلهم وإحراقهم هكذا.

ظل عزازيل صامتا وهو يرقب انطلاق فوج ثان من السهام القوية، وهي تخترق صدور العفاريت بالرغم من مناوراتهم السريعة، إلا أن

كثافة القصف أردت الكتيبتين معا قبل أن يصلوا إلى أسوار بابل، وهو نفس الشيء الذي وقع مع المردة المحلقين في السماء، فقد تم قصفهم حتى قبل أن يتمكنوا من قذف البراميل المملوءة بالنار والطاعون على أرض بابل.

قال يارد فرحا:

- أيها القائد عمرام تبدو خطة محكمة.

رد عمرام وهو يرقب جيش الظلام:

- لقد كانوا مغرورين قبل أن نمطرهم بسهامنا، أما الآن فإني أشم رائحة خوفهم وعجزهم عن التحرك.

- لقد فاجأناهم بالقار الذي استعملناه، وبسببه أصبحوا مذعورين.

كان الحكيم نموشالغ أثناء زيارته مع وفد ليلي إلى مملكة بابل قد مكن بني الإنس من نقاط ضعف الجن وما يتسبب في هلاكهم مباشرة، حيث أعطاهم وصفة سلاح القار المكون من الملح الأسود الذي يبطل كل أسرار الجن وتعويذاتهم، وفصوص الثوم التي تسبب لهم تشويشا في تفكيرهم وعدم التركيز، ونبته الشذاب التي تسبب شللا في حركتهم، ثم محلول الفضة المنصهرة التي تتغلغل في أجسادهم وتدمرها من الداخل، فتم خلط هذه المكونات مع سائل القار الذي يتم استخراجها من ضواحي نهر الفرات، ووضعت الخلطة في قارورات إذا لمسها الجن فإن جسمه ينفجر كأنفجار الشهب في السماء.

قال القائد العام عمرام:

- لقد حان دورك يا يارد.

انطلق يارد بفرسه وتبعه فيلق مكون من مئة فارس، حيث اجتاز الجدار الأول فأغلقت أبوابه، ثم أنزل الجنود بوابة الجدار الثاني المؤدي إلى خارج المدينة المحاطة بخندق كبير من الماء؛ حيث تتحول البوابة إلى قنطرة للعبور نحو الضفة الأخرى.

تقدم الفرسان المئة خلف يارد إلى خارج أسوار المدينة متقدمين لوحدهم في اتجاه جيش الظلام، فوقف عزازيل مشدوها بهذه الجراءة على التقدم، حيث كان يتوقع أن يحاصر بابل ويمطرها بوابل من شهب النار وبراميل الطاعون إلى أن يرضخوا له مبايعين لكن العكس هو الذي جرى، فبنى الإنس في بابل كانوا السباقين إلى مهاجمة جيشه وأخذ زمام المبادرة في كل شيء.

رأى عزازيل قلة الفرسان الذين خرجوا من بابل ورأى أن أبوابها لا زالت مفتوحة، فحاول أخذ زمام المبادرة واقتحام بابل فقال:
- هيا هجموا.

أعطى القائد الأعلى سانوخ أمرا لأربعة كتائب من مشاة الجن بالتقدم بسرعة لاعتراض فرسان بابل المئة ثم أمر كتيبتيين للانطلاق كذلك؛ الأولى تلتف حول ميمنة الفرسان والثانية حول ميسرتهم، ثم أمر الغيلان التي لا زالت على قيد الحياة بالركض بسرعة نحو البوابة المفتوحة مستغلين اشتباك الطرفين حتى يتمكنوا من ضمان الأبواب مفتوحة لحين وصول باقي أفراد جيش المشاة، الذين يتميزون بارتداء أدرع حديدية تقيهم من شر السهام البابلية الحارقة.

إلا أن يارد كانت له خطة أخرى، فبعد اقترابه من كتائب المشاة التي خرجت لملاقاته، تراجع وانسحب إلى الخلف هاربا مع باقي فرسانه مما دفع جنود الظلام للإسراع في مطاردتهم، ومع اقترابهم من باب إيل أخرج الرماة سهامهم من فوق الجدار الأول، وأشعلوا في مقدمتها نارا ظلت مشعلة بسبب القار المدهون فيها، ثم قذفوا بها نحو جند الظلام الذين توقفوا عن الحركة والتصفوا مع بعضهم البعض لحماية أنفسهم من السهام؛ كما أخرجت الأطراف الجانبية أدرعا حديدية لصد كل إمكانية في أن تصيب أجسامهم سهام القار القاتلة، فأصبحوا كلهم مثل كتلة حديدية مستطيلة الشكل.

كانت للقائد عمرا م خطة مختلفة؛ فقد كان هدفه استدراج أكبر عدد ممكن من جنود الظلام نحو خنادق صغيرة مدفونة تحت التراب مملوءة بسائل القار الأسود، حيث أصابتها السهام المشتعلة، فتسببت في حريق كبير على طول الأخاديد المحيطة بجنود المشاة فأحرقتهم جميعا، كما تم توجيه سهام أخرى حارقة نحو الغيلان المتقدمة نحو البوابة فقتلتهم جميعا.

عاد يارد وجنوده أدرجهم بزهو كبير، فدخلوا بابل ورفعت الأبواب. قال مهلائيل بعد أن نزل من شرفته، وامتنى فرسه والتحق بالمعركة:

- أحسنت يا بني.
- أنت مريض يا أبي، ما كان عليك أن تغادر شرفتك.
- لا أستطيع صبرا، أريد أن أموت وأنا حامل سيفي كأسد في صراع مع الثيران، ولا أريد أن تكون نهايتي كنعجة ماتت في حظيرة.
- قال القائد العام عمرا م:
- لقد نزل أبوك الملك خصيصا لكي يخبرك بأمر هام.
- ما هو؟
- وضع الملك مهلائيل يده اليمنى على كتف يارد وقال:
- أريد أن أبشرك بأن زوجتك فايبا، قد ولدت لك مولودا ذكرا بكرا.
- أحس يارد بفرح كبير وقال بلهفة:
- كيف حال صحة فايبا؟
- إنها بخير.
- يا أبي اختر له اسما.
- سكت مهلائيل قليلا ثم قال:

- أخنوخ⁵¹ سميّه أخنوخ .

حل الغروب سريعا وعزازيل في حالة صدمة مما رآه من خطط لدى بني الإنس، متعجبا أن جيشه بالرغم من كثرتّه لم يستطع التقدّم وأصبحت نفسيته مهزوزة، خاصة بعد مقتل كل الغيلان وخسارة نصف المردة في السماء، وفيلقين من العفاريت وستة كتائب من المشاة المدرعين، فأمر عزازيل جنوده بالتوقف عن الهجوم لإعادة رص الصفوف، كما أمر المردة الطيارين بالابتعاد عن سماء بابل، ثم دعا إلى اجتماع خاص مع سانوخ ودهش وليليث ولاقيس فويخهم على هذا التقصير، وعلى عدم قدرتهم على التجسس على خطط بني الإنس، حيث أن التوابع التي صنعها ديباج والتي كان الهدف منها الاطلاع على ما في نفوس الجميع، لم تعد تعمل بعد الغدر به ومقتله داخل أرض صوعن.

51أخنوخ ١١١١ ورد ذكره في سفر الخروج على أنه ابن يارد، والد متوشالح والجد الأكبر للنبي نوح وعند الصابئة ذكر باسم دنانوخ وعند المسلمين ب إدريس وهو من أحدث ثورة في الكتابة عند البشرية وأسس في عهده 188 مدينة.

-48-

مضى الفارون بلا توقف؛ وهم يركضون في سراديب العالم السفلي؛
متبعين طائر النسر لمدة يومين كاملين، حتى وصلوا إلى أرض مستوية
شبه دائرية، كأنها قاع بئر ضخم تظهر أشعة شمس الغروب ذات اللون
القرمزي المائل إلى السواد، قالت الحكيمة أم تعامة:

- الآن قاربنا على الخروج ما علينا سوى أن نصعد عبر هذه
الجدران الضخمة إلى مكان الضوء وها نحن خارج العالم السفلي.
فجأة سمع ذوي قوي، ثم ظهر ضوء ينبثق من بين حجارة ملساء،
فخرجت منها سيدة جميلة.

قال يراع متعجبا:

- السيدة غايا! مستحيل ماذا تفعلين هنا!!؟
قالت الحكيمة أم تعامة:

- كان لدي إحساس أنها تسهل لنا مهمة الخروج من العالم السفلي.
قالت ليلي وهي تحملق في يراع:

- من هي غايا؟؟
قالت الحكيمة أم تعامة:

- إنها أم الأرض، وهي من فتحت لنا سردابا لنخرج من العالم
السفلي.

ألقت غايا التحية على الحكيمة أم تعامة ثم قبلت يراع في خذه مما
أثار غيرة ليلي، فقال يراع:

- السيدة غايا إني لازلت مشوش التفكير، لقد سمعت الحكمة أم تعامة تقول إنك أنت من فتح لنا طريق العبور.
- أنا أم الأرض وروحها وحاميتها، ويهمني جدا أن تنجح مهمتك أيها المستنير، فالعالم كله يعول عليك.
قالت الحكمة أم تعامة:

- السيدة غايا ليست من الإنس ولا من الجن؛ هي أقدم من ذلك بكثير، لقد وجدت مع وجود هذه الأرض، وتتشكل في أي صورة شاعت من صور المخلوقات التي على ظهرها، لكن غايا لدي سؤال كنت أود أن أسألك عنه منذ زمن طويل، وها أنا الآن قد التقيتك مباشرة.

- تفضلي أيتها الحكمة، إسألني
- كيف سمحت للظلام ببناء العالم السفلي؟
- الظلام يضرب بقوة ويسيطر على كل شيء، وأنا لا أقوى على مجابهته وحدي فاستسلمت له، وعاهدته ألا أقف في طريقه، صراحة لقد أخذت الحياء في صراع عزازيل مع ممالك الجن، لكنني كنت متأكدة أنه سيمضي بالأرض نحو الخراب.
سكنت السيدة غايا قليلا، ونظرت إلى يراع، ثم استرسلت قائلة:

- لكنني منذ أن تعرفت على يراع في غابة الأرز، علمت أنه المستنير الذي سيحمي توازن الطبيعة، وسيضع حدا للظلام، لذا وثقت به وخالفت عهدي مع عزازيل، وفتحت لكم هذه الفجوة إلى الخارج.
نظرت السيدة غايا إلى ليلي وأردفت:

- أنت ليلي أليس كذلك؟
- أو مأت ليلي برأسها وقالت:

- نعم.

- إنه يحبك حبا حقيقيا، لقد حاولت غوايته ومكنته من نفسي لعله يكون معي شريكا في تدبير هذه الأرض، وعرضت عليه خيراتها من ذهب وياقوت ونساء جميلات لكنه رفض وقاوم بسببك يا ليلي.
أمسكت ليلي بيد يراع وحدقت في وجهه لحظة بدهشة وقالت:

- لم تخبرني بهذه القصة يا يراع!!
حك يراع مؤخرة رأسه بحرج وقال:

- كنت سأحكي لك هذا فيما بعد.
- إنه يحبك بجنون، وهذا الحب وهو ما يدفعه لإكمال هذه المهمة، ويجعل قلبه صافيا في مواجهة شرور النفس، أحبيك يا ليلي وأهنتك على هذا الحب العظيم.
قال العفريت شام:

- لقد حل الليل أيتها الحكيمة ولا وقت لدينا.
أجابت أم تعامة:

- يبدو أنك متشوق لرؤية الخارج يا شام.
قال شام وهو يطلق جناحيه:

- بل متشوق لأخوض الحرب بجانب المستنير يراع، والقضاء على عزازيل.
قالت غايا:

- أنتم الآن في أسفل بئر برهوت⁵² إنه بئر الموت والدماء، فلم يبق لكم سوى هذا النفق إلى الأعلى لتتسلقوه، لكنكم لن تستطيعوا ذلك الآن، فانظروا شروق الشمس، ثم انطلقوا ببطء شديد

⁵²بئر عميق لا قعر معروف لديه، فجوته تقدر بأزيد من 100م² يظهر من الأعمار الاصطناعية، ويقع بمحافظة حضر موت باليمن

قال يراع:

- ولماذا لا ننطلق بقوة فمنا الجن الطيارون، والقفاريت التي تستطيع القفزة للأعلى بقوة.
- إياكم ذلك؛ لا تنسوا أنكم ما زلتم في العالم السفلي وهذه الفجوة حساسة جدا، قد تنطبق عليكم، لكنها تكون ضعيفة في ضوء النهار.
- غادرت غايا ومكث الجميع في قاع البئر في انتظار بروز أول خيط شمس يوم جديد مؤدنا بحياة جديدة للفقارين من العالم السفلي، فلم يسبق لأحد الخروج من هناك، وليس من المفترض فيمن يلج العالم السفلي أن يخرج منه مجددا إلا بإذن عزازيل، لكن تعويذاته وقوانينه التي وضعها قد تم خرقها هذه المرة.

-49-

عقد عزازيل اجتماعا مع قواد الكتائب موزع عليهم المهام الجديدة التي يجب أن ينفذوها دون أن يشركهم في الخطط التي يعتزم القيام بها ثم قال في الأخير:

- سنستأنف الهجوم.

غادر قواد الكتائب خيمة الاجتماع بعد أن تلقوا التعليمات اللازمة لتجاوز هجوم البابليين الذين يبدو أنهم قد تمكنوا من اكتشاف نقاط ضعف الجن، واستعملوها كسلاح لمهاجمة جيش الظلام وصد تقدمهم.

قالت ليليث بعد أن انصرف الجميع:

- ما هي خطتك يا سيدي؟

رد عزازيل وهو يتصفح صولجانه:

- بنو الإنس في بابل قد طوقوا مملكتهم بالفضة الدائبة والملح الأسود وفصوص الثوم وزرعوا نبات الشذاب بكثافة؛ فأصبح يستحيل علينا التقدم نحو أسوار المملكة.

- وما العمل إذن؟

- سنقدم الإنس في مواجهة الإنس، أي يجب أن ندفع بأبناء قايين لمواجهة أبناء شيت
ضحكت ليليث وقالت:

- ما أذكاك يا سيدي.

ربت عزازيل على كتفها وقال:

- إسمعي يا ليليث بعد أن أطمئن أنه قد تم الحسم في معركتنا ضد بابل، سأغادر إلى العالم السفلي لأنقم من الفارين من الأقفاس التي صنعت بسحري، فلا تخذليني يا ليليث إنها معركة حاسمة وأريد أن أنهيتها منتصرا.
أومأت ليليث برأسها وقالت:

- كن مطمئنا يا سيدي سأدمر بابل عن آخرها.
كان الظلام قد حل، فأشعلت بابل النيران في أخاديد مملوءة بزيت القير ليتمكن جنودها من رؤية جيوش الظلام بوضوح. أعطى القائد دنهش المكلف بالعتاد أمرا لعربات المناجيق الضخمة من أجل التقدم إلى مقدمة الجيش وتركيب الحجارة الضخمة عليها.

توجه جيش مولوخ نحو باب إبل على شكل مستطيل عمودي حاميا نفسه بالتروس العريضة، في تلك الأثناء أمر دنهش قصف مملكة بابل بالحجارة لتدمير أسوارها الضخمة المزدوجة.

كان عزازيل يراقب تقدم جيشه، فأعطى إشارة للقائد الأعلى سانوخ ببدء تنفيذ الخطة الثانية، فأمر سانوخ كتيبتين من العفاريت وأربعة كتائب من المشاة بالانسحاب إلى الخلف، ثم التوجه إلى أطراف بابل اليمنى واليسرى، والعمل على شق جداول صغيرة في نهر الفرات الذي يخترق المدينة ويقسمها إلى نصفين، حتى يضعف جريانه، ثم رمى حجارة ضخمة فيه حتى ينخفض منسوب المياه المتوجهة إلى المدينة.

وصل جيش مولوخ بصعوبة إلى أسوار بابل، فتموقع قرب الخندق الضخم تحت وابل من السهام والرماح التي لم تجد طريقة لاختراق التروس الحديدية التي يحتمي بها جيش حنوك، وبالرغم من أن الخندق الضخم بدأ يفقد صيبه ومنسوب مياهه في غفلة من البابليين، إلا أن جيش مولوخ لم يستطع التقدم أكثر ليجاوزه.

قال أحد الجنود:

- سيدي مولوخ إلى متى سنظل هنا مختبئين؟ هل سنبقى إلى أن نلقى حتفنا؟
رد مولوخ بصوت قوي متجاوزا الأصوات التي تسببها السهام في التروس الحديدية:

- لا أدري؛ فكل ما كان علي فعله هو الوصول إلى هذه النقطة وانتظار الإشارة.

تسلل الجن في مياه الفرات متجهين إلى داخل المدينة عبر قنوات جريانها دون أن ينتبه لهم أحد، فأعطى عزازيل إشارة إلى سانوخ لبدأ الهجوم الكبير، حيث أطلق القائد الأعلى كرة نار في السماء أحدثت انفجارا ضخما لفت انتباه الجميع، فانطلق المشاة مسرعين نحو بابل، وكثفت المجانيق قصفها لأسوار المدينة، أما المردة فقد عادوا إلى التحليق في السماء تحت قيادة القائدان طيش وطوش، وبدؤوا برمي بابل ببراميل النار والطاعون الحارق.

تمكن الجن من الدخول إلى وسط بابل، ثم بعد تلقيهم الإشارة التي رفعها سانوخ في السماء خرجوا فجأة من بين مياه القنوات خلف الجيش البابلي الذي تراجع جزء من مؤخرته إلى الخلف ونشب قتال بينهم.

أطلق عزازيل من صولجانه كرة نار ضخمة، توجهت بسرعة نحو باب إيل، فاصطدمت بها مسببة داخلها فجوة كبيرة، وبعدها مباشرة خرج من الماء الجن الغطاس وصنعوا جسرا على الخندق فدخل جيش مولوخ إلى البوابة الأولى بكل سهولة، ثم تبعتهم فيالق المشاة إلى داخل بابل.

بدأت المناوشات بالسيوف بين الجيش البابلي الذي كان يحمي البوابة الثانية في الجدار الثاني وجيش الظلام بقيادة مولوخ، فجأة سمع دوي انفجار خلف الباب الثانية، حيث كان الجن الغطاسون قد تمكنوا من الوصول إليها وتفجيرها، فأصبح الطريق إلى وسط المدينة مكشوفاً أمام جيش الظلام، والذي انكب بكل حشده إلى داخل أزقة بابل.

قالت ليليث:

- وأخيراً سقطت بابل؛ آخر معاقل بني الإنس.

كان القائد العام عمرام يضع احتمالات لكل التوقعات الممكنة التي قد تشهدها المعركة، فمباشرة بعد تدمير البوابة الثانية أمر يارد بتنفيذ الخطة الثانية القاضية بإشعال النيران في المحلول الأسود لإيقاف حركة الجن داخل المدينة.

أشعل يارد أحاديث صغيرة موزعة على كل أطراف المدينة وأزقتها مملوءة بالسانل الأسود المكون من الملح الأسود، ومسحوق نبات الشذاب، ومحلول الفضة الذائبة، وفصوص الثوم، وزيت القار، فأصبحت بابل كأنها صهريج نار مشتعل، مما أعاق تقدم جميع أصناف الجن إلى الداخل وأبطأ حركتهم، إلا جيش مولوخ الإنسي، فلم يتأثر بهذا المصل المضاد، وظل في مقدمة المخترقين لأحياء المدينة.

قال القائد العام عمرام:

- يارد خذ كتيبك من الفرسان وتوجه إلى حي الشريعة واعترض طريق جيش مولوخ هناك، أما أنت يا يانيل فستفقد جيش المشاة، وستلتف خلف جيش مولوخ من الخلف حتى لا يتمكن من التراجع.

أعطى القائد العام إشارة لأحد جنوده فور تمكن يراع ويانيل من الانقضاض على جيش مولوخ من المقدمة والمؤخرة بأن يرفع كل

الجسور المعلقة التي تحيط بحي الشريعة حتى ينتهي القتال في تلك الرقعة ضمانا لعدم تقدم جيش حنوك.

توجه القائد العام عرام بفيلقين من الفرسان والمشاة لحماية قصر الملك مهلائيل والمعبد المجاور له، والذي يضم كل من لم يستطع حمل السلاح من المرضى والأطفال دون سن الرابعة عشر، وكذا النساء الحوامل فقط.

أما باقي ساكنة بابل فقد تجندوا جميعا لمثل هذه الظروف، فالجميع يحمل السلاح، والكل يتقن مهارات القتال من نساء ورجال، ليكونوا كجيش احتياطي لمساعدة الجيش الرسمي للمملكة في حالة أي هجوم تتعرض له بابل.

كان القائد العام عرام قد أعد خططا لكل الاحتمالات التي قد تنحو إليها الحرب، كما منح لكل المختبئين في الحصن تحت الزاقورة قارورات طينية تحمل عسلا ممزوجا بسائل من السم لشربه، في حالة اقتحام الحصن من طرف قوى الظلام، وحتى لا يقع المختبئون في أسر عزازيل، فقد منحهم القائد عرام الاختيار بين الاستسلام أو الموت انتحارا لمن أراد، مع تمكين الجميع من إمكانية ذلك.

-50-

لم يستطع العفرية شام النوم وظل يتربّب بزوغ ضوء النهار وكله شوق في التحليق عاليا والمساهمة في القتال ضد جند الظلام الذين دمروا مملكته وعشيرته من جن الهوارش، ومع أول إطلالة للشمس قال بصوت خافت وهو يحرك بيده جسم يراع:

- أنت أيها الإنسي أفق من النوم.
فتح يراع عينيه بصعوبة وقال:

- ماذا هناك أيها العفرية.
- فلننطلق، إنه الصبح
- يبدو أنك متشوق للخروج.
- ومتشوق أكثر لمحاربة الظلام.
- عزازيل قد ذهب إلى بابل، وأنا مثلك أريد اللحاق بالمعركة قبل أن تنتهي.

نهض يراع من مرقدته ثم تأمل المكان حيث كان أغلب الهاريين من العالم السفلي من طلاب مدرسة الحكمة، وأبناء الملوك الذين قتلهم عزازيل، والكثير من الجن ممن رفضوا بيعة عزازيل وتسليم أرواحهم له لا زالوا نائمين، فقال يراع للعفرية شام:

- أين الحكمة أم تعامة؟
- أنا هنا أقوم بجولة أتفقد فيها جدران هذا البئر
- إقتربت أم تعامة وقالت:
- إن هذه الجدران تنبض بالحياة، كأننا في بطن مخلوق ما.

توجه يراع نحو الجدار الذي كان يشبه كتلة لحم نينة، وضع يده عليها، ثم أغمض عينيه وقال:

- هل سمعتم؟
أجابه الجميع بالنفي.

قالت الحكيمة أم تعامة:

- ماذا قال؟
- لا شيء، سمعت دمدمة حسبتهها كلاما.
بعد أن استفاق الجميع قالت الحكيمة:

- إذن، هيا بنا نتسلق هذه الجدران ببطء، وإياكم أن يحلق أحد نحو الأعلى مباشرة.

تسلق الجميع الجدران النينة مسافة قصيرة، فتفاجؤا بخروج أيادٍ كثيفة من شقوق داخل الجدران، تحاول إمساكهم وإسقاطهم. نظر يراع نحو الأسفل، فوجد أن القاع قد اختفى، وأن الظلام يرتفع نحوهم فقال:

أيتها الحكيمة، أنظري إلى الأسفل.
نظرت الحكيمة أم تعامة إلى الأسفل، ثم قالت بنبرة خائفة:

- إن هذه البئر تحاول ابتلاعنا، فلنسرع إلى فوق.
قالت ليلي:

- إنها أياد كثيفة تمنعنا من التقدم.
- من تمكنت منه الأيادي وأسقطته سيموت على الفور؛ إياكم
والسقوط

بدأت جدران البئر تنتفض؛ تتقلص وتمتد كأنها معدة بطن تحاول التخلص من أكل زائد، ثم بدأت بالتموج، وهاجت الأيدي الكثيفة لإسقاط الفارين، وكان كلما سقط أحدهم إلا وابتلع واختفى في الظلام.

نظر يراع أسفله وقال:

- إن هذا الظلام يقترب منا، لو كان لي سيف لقطعت هذه الأيدي التي تعترض طريقنا.

إنطلق العفريت شام بسرعة نحو الأعلى، قاطعا كل الأيدي التي اعترضت طريقه بجناحيه الحادتين، فصنع خلفه طريقا سهلة للعبور.

قالت الحكيمة أم تعامة:

- يراع اتجه خلف العفريت شام، فقد تخلص من الأيدي التي اعترضته.

قال يراع وهو يغير مساره:

- ليس الآن، فأنا متوجه لإنقاذ ليلي؛ ألا ترين أنها عالقة بين الأيدي.

- إذهب أنت خلف شام، وأنا سأحرر ليلي.

- أنا الأقرب منها، أخبري الجميع أن يتجه خلفه.

قالت الحكيمة أم تعامة بصوت خافت:

أنا أفكر فيك، وأنت تفكر في الجميع.

توجه يراع نحو ليلي وحررها وقال:

- امسكي بي جيدا.

بكت ليلي وقالت:

- أحبك أيها المجنون.

ثم قبلته بقوة وسط الأيدي المتشابكة التي تحاول إسقاطهما

رد يراع بعد أن انتهى من تقبيلها:

- أتعلمين يا ليلي أن أجمل القبل هي التي تكون وسط الشدائد
والمحن.

إنطلقا معا في اتجاه الطريق التي رسمها العفريت شام بجناحيه
الحادتين كالسكين، فلاحظ يراع أن الحكمة أم تعامة لم تخبر باقي
المتسلقين بضرورة إتباع طريق شام وتركتهم يعانون ويسقطون في
الأسفل، فقال بصوت عالٍ:

- هيا التحقوا بشام، ألا تلاحظون أنه يقطع الأيدي التي اعترضته
ليفسح لكم المجال للمرور.

كان شام يصعد للأعلى، ثم يتوجه يمينا ويسارا بجناحيه ليقطع أكبر
عدد ممكن من الأيدي، فاسحا المجال لأصدقائه للصعود الآمن في طريق
خالية من الأيدي.

نظر يراع في عيني الحكمة أم تعامة التي بدا عليها الغضب من
قراره، فتساءل في نفسه عن سبب رفضها إخبار المتسلقين بالطريق
السهل للخروج، ثم تذكر أنها كانت ترفض حتى إطلاق سراحهم من
الأسر، وفضلت الانسحاب في غفلة منهم.

أخيرا خرج العفريت شام من بئر برهوت أولا وأطلق جناحيه عاليا
محلقا في السماء معانقا الحرية، ثم عاد إلى فوهة البئر التي كانت
ضخمة جدا، فساعد يراع وليلي على الخروج ثم خلفهما الحكمة أم
تعامة، فتبعهم ما تبقى على قيد الحياة من الأسرى.

خرج الجميع من بئر برهوت، فخر بعضهم باكيا والبعض الآخر
فرحا، لكن الجميع هنا نفسه بمعانقة الحرية والخروج من بطن الظلام.

قال العفريت شام:

- إنها صحراء قاحلة.

قال يراع:

- أيتها الحكيمة كم تبعد علينا بابل؟ لأنني مشتاق لخوض الحرب ضد عزازيل.

قالت الحكيمة وهي تنظر إلى السماء:

- لا زالت أمامك مهمة أخيرة ويكتمل البحث.

- مهمة أخيرة!! لقد ظننت أنني قد انتهيت من المهمات وصرت قادرا على خوض الحرب ضد الظلام.

- أيها المستتير مهمتك هي البحث عن شجرة الحياة.

- بل مهمتي أن أدحر الظلام حتى لا يصل إليها.

إبتسمت الحكيمة أم تعامة وقالت:

- من المستحسن أن تصل أنت أولا إلى شجرة الحياة، وستكون قد قطعت الطريق نهائيا على الظلام للوصول إليها؛ فهذه هي الحكمة يا بني.

إقتنع يراع بطرح الحكيمة أم تعامة وقال:

- وبابل؛ ألن أتأخر عليها.

- إن بابل تبلي البلاء الحسن، وجنود الظلام عموما تضعف قدرتهم في النهار لهذا يجب أن تنهي مهمتك قبل حلول المساء
أوما يراع برأسه فأردفت الحكيمة أم تعامة:

- هيا نبتعد من هذه الفوهة قبل أن تبتلعنا مجددا نحو العالم السفلي، وقبل أن ترصدنا أعين عزازيل فيأتي لمطاردتنا؛ هيا أسرعوا.

ركض الجميع غربا عبر الصحراء إلى أن وجدوا نهرا جاريا من الماء، فوقفت الحكيمة أم تعامة وقالت:

- فليتوقف الجميع هنا بدون حركة حتى لا ترصدكم أعين الظلام، وسأكمل المسيرة أنا ويراع فقط لإنهاء المهمة الأخيرة، ثم سنعود إليكم. أمسكت ليلي بيد يراع وقالت:

- أود أن أذهب معكما، فأنا لا أستطيع أن أفارق يراع بعد الآن.

- إنها مهمة خطيرة، وقد تعرضين حياتك للخطر.

- دعيها تذهب معنا، قد تكون محفزا قويا لي لكي أنجح في مهمتي.

- حسنا، إذا كانت ستساهم في نجاح المهمة.

تحرك الثلاثة متبعين النهر نحو الغرب فقال يراع:

- وكأني رأيت هذا النهر في أحلامي.

- إنه نهر فيشون⁵³ وسيوصلك إلى مهمتك الأخيرة.

⁵³نهر فيشون: ذكر في سفر التكوين 2: 10-11 وهو نهر خارج من جنة عدن

-51-

حل الصباح في بابل والمعركة لم تشهد تقدما من كلا الطرفين، فقد تعدد عزازيل الإبطاء فيها لكسب المزيد من الوقت، حيث أمر جنوده من الجن ألا يتجاوزوا السور الثاني لبابل، واكتفى بقصف المدينة ببراميل النار والطاعون من السماء بواسطة المردة الطيارين، فيما عدا جيش حنوك الإنسي وحده من استطاع التقدم داخل أحياء الشريعة، لكن يارد ويانيل استطاعا صده عن التقدم، واستمرت المناوشات بين الفريقين إلا أن توسطت الشمس كبد السماء.

نزلت لاقيس من السماء بسرعة وحلت على عرش عزازيل، وقالت بصوت لاهت:

- سيد الظلام؛ لقد خرج الأسرى إلى العالم الأرضي، لقد خرجوا من بئر برهوت جنوبا.
وقف عزازيل غاضبا من على عرشه وقال:

- تبا لغايا لقد خانتني سأنتقم منها شر انتقام، وسأدمر هذه الأرض وأخربها عن آخرها، سألوث ماءها، وسأسمم هواءها وسأدمر تربتها، سأنتقم منك يا غايا.
مسكت ليليث بيد عزازيل وقالت:

- لا تنفعل يا مولاي، فإننا نحتاج إلى تركيزك في هذه المعركة.
تراجع عزازيل إلى الخلف، وجلس على كرسيه، ووضع يده على جبينه، ثم نزع تاج التيس الذي يعتمره وقال:

- إسمعي يا لاقيس، خذي نصف الجن المردة الذين يحلقون في سماء بابل، ونصف العفاريت الذين يحاصرون الأسوار، ثم حلقوا جميعا إلى بنر برهوت؛ فالأكيد أنهم سيتوجهون غربا نحو جنة عدن. أريدك أن تراقبيهم جيدا إلى أن أصل إليهم وأفاتلهم بنفسي، وسأقتل ذلك المستتير وسأسلبه طاقته.

قالت لاقيس:

- حاضر يا سيد الظلام. غادرت لاقيس المعسكر وأخذت معها نصف الجند المتبقي نحو الجنوب، وظل عزازيل جالسا على كرسيه، فقالت ليليث:

- سيدي إن الوقت ينفذ والمعركة شبه متوقفة، ويراع يقترب من جنة عدن. سكتت ولم تكمل جملتها بعد أن نظر إليها عزازيل بصمت مريب مما جعلها تشعر بخوف شديد

ثم قال:

- أكملني وأنا جالس لا أحرك ساكنا؛ أهذا ما قصدته. أحنث ليليث رأسها بسرعة وقالت:

- آسفة سيدي، لقد أخذني الانفعال، وأنت المخطط الأكبر، فلا أستطيع أن أجاري خطتك العظيمة. صمت عزازيل مجددا إلى أن أتى القائد الأعلى سانوخ نحوه مسرعا فقال:

- سيدي لقد نضبت حقول النار التي تحتوي على المحلول الأسود، ولقد انطقات نيرانهم، وقلت سهامهم ورماحهم.

وقف عزازيل وقال:

- الآن الفرصة مناسبة لكي ننقض عليهم.
- نهضت ليليث عن كرسيها، فنظر إليها عزازيل وقال:
- خذي كل الجيش واقتحي بابل، وانهشي أجسامهم ودمري بنيانهم واملني شوارعها بالخراب والطاعون.
- بكل سرور سيدي.
- صاح عزازيل بصوت سمعه جميع جند الظلام:
- إن بابل أصبحت وجبة دسمة إنهشوها يا جيوش الظلام.
- ثم قال لليليث:
- الآن سأغادر إلى جنة عدن لأعترض طريق المستير يراع، إياك والفشل في بابل فقد هيات لك كل ظروف الفوز.
- ركضت ليليث بقوة كأنها ريح عاصفة تهب على بابل بكل غضبها، وكلها شوق لتنفيذ أوامر عزازيل.
- فتحت أبواب القصر الملكي، وخرج الملك مهلائيل بفرسه الأبيض، والتحق بجيشه حتى وصل إلى جنب القائد العام عمرام.
- قال عمرام:
- سيدي الملك ما أخرجك من قصرك وأنت مريض؟
- إن هي إلا ميتة واحدة، وأنا أفضل أن أموت بشرف حاملا سيفي.
- أخشى أن تصاب بمكروه يا سيدي.
- وأنا أخشى أن تصاب بابل بمكروه أيضا.
- ابتسم عمرام وقال:

- أعرّفك يا سيدي؛ أنت عنيد وشرف لي أن أموت وأنا أقاتل بجانبك.

رد الملك بابتسامة مماثلة:

- أخبرني أيها القائد عمرام أين ابني يارد؟

- سيدي الملك إن يارد يقاتل جيش مولوخ في حي الشريعة وقد أرسلت جيشا من المشاة مع يانيل لكي يعترضوا طريق مولوخ من الخلف.

- وكيف تسير المعركة.

- إنها بطيئة، ولقد نفذ محلولنا الذي صنعناه، كما نفذت السهام والرمح.

إنطلق الملك بفرسه نحو المقدمة وقال:

- أحسنت في إدارة هذه المعركة أيها القائد العظيم.

قال عمرام وهو يلحق به:

- لكن يا سيدي إنهم يتدفقون كالسيل، وقد لا نستطيع مجاراتهم لكثرتهم.

في الساحة الكبيرة حيث كان القائد العام عمرام معسكرا مع الملك مهلائيل؛ تراجع عدد من قواد جيشه إلى الخلف فقال أحدهم:

- سيدي إن جيش الظلام يجتاح بابل كالجراد.

قال القائد العام عمرام لتابعه وهو ينطلق مسرعا مع كتيبته إلى وسط المدينة.

- فلتستدع كل الجنود لمواجهة الظلام، فإما الفوز أو الموت لا خيار ثالث لنا.

إلا أن جيش الظلام سرعان ما وصل إلى الحي الملكي بقيادة ليليث والقائد الأعلى ساتوخ واعترض طريقه، فتقهقر إلى الوراء بسبب كثرتهم.

كانت ليليث تعلم أنها إذا تمكنت من قتل الملك مهلائيل، فإنها ستحسم الصراع لصالحها بسرعة، لهذا عملت على التوجه بجيشها مباشرة إلى القصر الملكي، فقالت بصوت مرتفع:

- باسم سيد الظلام عزازيل، أمركم بالاستسلام لمشينته؛ فبابل الآن على وشك السقوط في يدينا، فمن باعه روحه نجا، ومن رفض أذقناه عذابا شديدا.

تقدم القائد العام عمرام بفرسه قليلا ثم قال:

- بابل لن تكون لكم ولن تحكموا إنسيا عليها، سندافع عن شرفنا بأرواحنا وأجسادنا، فلا الظلام يخيفنا ولا عزازيل يرهبنا، سنكتشفون قوة بني الإنس الآن.
قالت ليليث بصوت منخفض:

- يا ساتوخ ستهاجم هذا المغرور؛ فهو قائدهم لو ظفرت برأسه سننال الجزاء العظيم من طرف عزازيل.
التفتت إلى دنهش وقالت:

- أما أنت فستهاجم الملك مهلائيل، إنه سهل المنال وإني أنظر إلى السم القاتل يسري بين عروقه وهو عموما على وشك الموت.

كان جيش عزازيل الذي حل بالحي الملكي يتكون من خمسة آلاف مقاتل من نخبة مقاتلي جيش الظلام؛ من العفاريت والمردة من كل الأصناف الذين استقدمتهم ليليث بشكل خاص من أجل إنجاز مهمتها، فيما القائد العام عمرام لم يكن يتوفر في ذاك الحي إلا على خمس مائة

فارس، وثلاث مائة مقاتل من المشاة، ومائتين من النبالة والرماة، وربع جيشه من النساء المقاتلات.

احتدم الجيشان بسرعة في القتال المباشر، بالرغم من أن العفاريت كانوا أكثر قوة وبطشا، إلا أن الجيش البابلي كان أكثر تمرسا ورشاقة؛ بفضل دروعه الصغيرة، وخوذه المحكمة، وسيوفه الطويلة؛ التي كانوا يغرزونها في أجساد جنود الظلام بكل سهولة، أما جنود فرقة الرماة فقد وضعوا على رؤوس رماحهم قوارير ما تبقى من المحلول الأسود المضاد للجن، فكانوا يمطرون خصومهم بوابل من الرماح المعدة لهذا الغرض.

إلا أن جيش الظلام، وبسبب كثرة عددهم، كانوا يجتاحون الجيش البابلي، ويخترقون صفوفه إلى أن وصل دنهش إلى الملك مهلائيل، وبدأ مبارزته.

أما سانوخ فقد اشتبك بداية مع القائد العام عمرام، وبالرغم من أن سيف سانوخ السحري يقسم كل شيء بمجرد أن يلمسه، فهو لم يجد نفعا مع القائد العام عمرام الذي كان محصنا نفسه ضد أي سحر من أسحار الظلام، فقد سبق للحكيم نموشالخ أن أمده بطلسم خاص بالحماية من السحر الأسود.

كانت بابل على وشك السقوط في يد الظلام، وفي لحظة مفاجئة سمع نوي انفجار ضخم في أحد السطوح العالية، وبعد انقشاع الضباب؛ ظهر رجل هناك أثار انتباه الجميع، فقال أحد العفاريت:

- أميرنا ديباج لازال على قيد الحياة.

صرخ جميع العفاريت "إنه الأمير ديباج؛ إنه الأمير ديباج" وعم الخبر بسرعة بين صفوف كل أفراد الجن الذين بدؤوا يهللون باسمه، وأنه لا زال على قيد الحياة وسيقودهم للنصر، إلا أن القائد الأعلى

سانوخ وليليث ودينهش كان لهم رأي آخر فقد علموا أنه سيقطب المعركة
ضدهم.

-52-

في الجهة الأخرى كان يراع يشق طريقه مع الحكمة أم تعامة وليلى عبر نهر فيشون في جو يسوده الصمت والتوتر، فحاول يراع كسر الصمت المطبق سائلا الحكمة أم تعامة عن الوجهة التي يجب أن يتبعوها، لكن الحكمة ظلت صامتا طول الطريق إلى أن حاولت الانتقال إلى الضفة الأخرى من النهر، فقفزت نحو صخرة كبيرة تقسم جريان الماء إلى شقين وتبعها يراع وليلى.

فوق الصخرة قالت الحكمة:

- أيها المستنير ألا تعلم إلى أين تسوقنا الأقدار؟
- لا، لا علم لي.
- سنزور الجنة الأولى، جنة عدن حيث نشأ آدم، فمهمتك أيها المستنير هي أن تدخلها وتقطف من ثمرة شجرة الخلود.
- لا، لا يمكنني ذلك.
- بلى يمكنك ذلك، فأنت المستنير وبإيدك تحولت البيضة إلى زهرة الحياة، واكتشفت سر العناصر الطبيعية الأربعة النار والهواء والماء والتراب، أنت من علمت السر الخامس، فكل الشروط تتوفر فيك يا أيها المستنير، فما عليك إلا دخولها لتعثر على الشجرة الخالدة وتقطف من ثمرها لتصير من الخالدين وتحرم عزائيل منها إلى الأبد.
- ظل يراع صامتا مبديا قلقه بعد أن قطب جبينه، فأمسكت ليلى بيده وقالت:

- ما بك يراع شحب لون وجهك؟
- لا أدري إنها شجرة محرمة نهى إيل الأكل منها.
- تدخلت الحكمة أم تعامة:

- لقد نهى آدم ألا يأكل منها ليختبره، ولم يمنع باقي الإنس والجن من ذلك.

- أخاف أن أسقط في الخطيئة، وأصبح مذموما مطرودا.
- لا تخف يا بني نحن معك، فهدفنا هو محاربة جيش الظلام، وألا تقع الثمار في يد عزازيل، لذا يجب أن تصلها أنت أولا.
أوما يراغ رأسه على مضض معلنا الموافقة على إكمال المهمة ثم قال:

- حسنا، لكن أخبريني لماذا ظللت طول الوقت صامتة كل هذه المسافة؟

ضحكت الحكيمة أم تعامة وقالت:

- تعجبني أسئلتك أيها الفتى، ظللت صامتة مخافة أن يسمعا عزازيل، فحتى الريح يستطيع أن يسخرها في خدمته، أما على هذه الحجرة حيث أقف وسط النهر فصوتنا مقطوع من هنا إلى مسافة مئة قدم لا يسمعا أحد.
قالت ليلى:

- هذا رائع.

أضافت الحكيمة أم تعامة:

- كما أن هناك شخص ما أو شيء ما يتبعنا في تخف شديد، لا أريده أن يسمع حوارنا.

التفت يراغ يمينا ويسارا مركزا نظره على البلورة الكاشفة المزروعة في عينه اليسرى لكنه لم يلاحظ أي شيء يثير الريبة فقال:

- لا أرى شيئا.

- إنه ماهر، ويجيد الاختباء.

قالت ليلى:

- هل يستعمل السحر؟ أم علوم الحكمة في اختبارانه؟

- شيء من هذا، وشيء من ذلك.

تقدمت الحكمة أم تعامة إلى الضفة الأخرى من النهر، وتبعها كل من يراغ وليلى، ثم تقدموا نحو الأحرش، وفجأة التفتت الحكمة يسارا مخرجة يدها من تحت معطفها وهي مشتعلة بشرارة نار زرقاء وجهتها نحو بعض الأحرش، وأصابت شخصا كان مختبئا هناك، فحاول الفرار بعيدا إلا أن الحكمة أم تعامة قفزت قفزة طويلة نحوه وألقت عليه القبض، ثم التحق بها كل من ليلى ويراع، فوجدا الحكمة أم تعامة تحاول إزالة قناع أسود على وجهه يمنحه القوة على التخفي.

بدأ الشخص المقتع يزحف على ظهره في محاولة للتملص من قبضة الحكمة، إلا أن ضربة أخرى بيدها كانت كفيلة لتشل حركته، فأزالت قناعه لتظهر على محياها علامة التعجب والصدمة، تراجعت الحكمة بخطوات إلى الخلف، ووضعت يدها على فمها في مشهد صادم، فقال يراغ:

- رأوبين ماذا تفعل هنا؟ كيف تمكنت من تعقبنا؟

قالت ليلى:

- أتعرفه يا يراغ؟

قال يراغ وهو ينحني عليه:

- إنه من جيش مولوخ.

ثم بدأ بتفتيشه ليعثر بحوزته على مقتنياته الخاصة التي منحها له مدرسة الحكمة، فاسترجع سيفه ومعطفه الأسود، والياقوتة الحمراء التي منحها له السيدة غايا.

قال رأوبين وهو يحاول التملص من يد يراغ:

- وهل كنت سأترككم تقطفون ثمرة الخلود لوحدكم، فلقد كرست حياتي كلها من أجل الوصول إليها، ولا يمكنني أن أضيعها الآن.
قالت الحكيمة:

- تبالك أيها الحقير.

- حقير!! الآن صرتُ حقيراً، حينما كنتِ تستعمليني من أجل الوصول لشجرة الحياة فلم أكن آنذاك حقيراً!!
قالت الحكيمة أم تعامة وهي تخرج كرة نار جديدة وتقدف بها رأوبين لتنهار بها قوته:

- إخرس.

نظر يراع ولىلى بتعجب في وجه أم تعامة التي شعرت بالإحراج الشديد، فحاولت تدارك غضب يراع بتبرير كلام رأوبين فقالت:

- لقد خنتنا وتحالفت مع الظلام، ألم تكن مع مولوخ.
بدأ رأوبين يستجمع قوته، وقال بصوت متقطع:

- يا بني..

ثم رفع يده بصعوبة وأكمل:

- لا نتق..

قاطعته الحكيمة أم تعامة بكرة نار جديدة أرسلتها إلى رأسه فأردته قتيلًا، نظر إليها يراع بغضب شديد بعد أن عقد حاجبيه، لكن الحكيمة أم تعامة خرت على الأرض باكية، ثم عانقت جثة رأوبين بعد موته وقالت:

- رأوبين كان فيما مضى زوجي، وقد اختارته مدرسة الحكمة ليقوم بمهمة البحث عن شجرة الحياة، لكنه طمع وحاول البحث عن أسرار الخلود لنفسه، ثم فر من المدرسة وتحالف مع الظلام، لقد فضل مصلحته الخاصة على مصلحة الجميع.

حك يراع ذقنه وقال:

- أنا أسف، فلقد كاد فكري يجنح في الاتجاه الخاطئ.
نهضت الحكيمة أم تعامة من الأرض، وتركت جثة رأوبين وقالت:

- لا عليك يا بني؛ في كل الأحوال يجب أن ندفنه دفنا يليق به.
انتهت الحكيمة أم تعامة من طقوس الدفن مع يراع وليلى، ثم انطلقوا جميعا عبر نهر فيشون صوب جنة عدن التي كانت أرضا منبسطة وجافة مليئة بالتشققات الدالة على جفاف طويل، لا يرويها إلا نهر فيشون الخارج من جنة عدن على قلته.

تذكر يراع أنه سبق أن زار هذه الأرض أكثر من مرة لكن في أحلامه المتكررة والمتقطعة، حيث كان يحلم أنه يقفز من ربوة صغيرة نحو هذه الأرض ثم يصيبه سهم في رجله ليحفه الظلام من كل جانب ويخر على الأرض، فقال في قرارة نفسه إنه تجاوز الربوة بالفعل وتحتها دفن رأوبين فهل سيصيب السهم قدمه ويحفه الظلام من كل جانب فقال بصوت خافت:

- سأرتقب.

قالت ليلي:

- ماذا قلت؟

- قلت يجب أن نترقب الظلام فقد يهجم علينا في أي وقت

كانت الحكيمة أم تعامة تسرع الخطى، فتبعها يراع وليلى إلى أن وصلوا قرب سور ضخّم أحمر غير محدود الأطراف، تتوسطه باب ضخمة، جزء منها مكسور وتعرض للانهياب، بحث يراع عن الكاروبيم الذي كان يصادفه في أحلامه ذي الأربعة أوجه والسيف الوهاج ذي الشرر في الاتجاهات الأربع، لكنه لم يجده بالقرب من الباب التي كانت مفتوحة على مصراعها بدون حارس.

قالت الحكيمة أم تعامة:

- ها هي جنة عدن أخيرا، لقد تغيرت أحوالها بعدما خرج منها آدم.
مسكت ليلى بيد يراع وقالت:

- أراها قد صارت صحراء قاحلة.

تساءل يراع في صمت "ما كنت أظن أن الحلم أو الكابوس الذي كان
يراودني؛ كان يخص جنة عدن"

إبتسمت الحكيمة أم تعامة وقالت:

- ألم أقل لك أيها المستنير إنها مهمتك المرصودة لك، أنت لها يا
يراع، فلتتقدم نحو مصيرك، وسنتظرك نحن هنا.
تقدم يراع ببطء نحو البوابة الضخمة، فتبعته ليلى راكضة لتلحقه
وتقبله قبلات قوية.

قال يراع بلطف:

- لا تقلقي يا حبيبتي، فكل هذه الحروب أخوضها من أجلك، فالحب
هو الذي يحركني نحو السلام، ولا سلام إلا بالقضاء على الظلام.
- أحبك.

لحقت الحكيمة أم تعامة بهما على وجه السرعة وأمسكت ليلى من
ذراعها وقالت:

- هيا بنا لا يفترض بنا أن نصل إلى هذا الحد.

تراجعت ليلى وعيناها مغرورقتان بالدموع مودعة يراع وقالت:

- سأنتظرك.

نظر يراع نحو الجدار، فأخرج سيفه وتقدم نحوه ببطء إلى أن اختفى
داخل البوابة بكل سلاسة.

-53-

اجتمع عفاريت الجن حول الأمير ديباج، وهم متعجبون من ظهور الأمير في بابل بعد أن ظنوا جميعا أنه قد هلك أثناء اجتياح جيش الظلام لمملكة براقان في أرض صوعن.

قال الأمير ديباج بصوت قوي سمع في كل أرجاء بابل:

- يا معشر العفاريت، لقد ظننتم أنني قد قتلت من طرف جيش براقان في صوعن، ولكن الحقيقة أنني تعرضت لمحاولة قتل غادرة من جيش الظلام.

تعجب العفاريت المتجمهرون حول ديباج الذي رفع رأسه، ونظر في عيني ليليث، فبدأت كأنها ترتعد من الخوف وقال مسترسلا:

- لقد اتفق سانوخ ودهش ولاقيس على قتلي، وغدروا بي في مكان بعيد حتى تختفي معالم جريمتهم، لكنني بعد أن سقطت في وادي الهلاك، تمكنت من النجاة بصعوبة، فعالجت جراحي واسترجعت قوتي، وها أنا الآن معكم يا معشر قومي.

غضب العفاريت من الخيانة التي تعرض لها زعيمهم خاصة من أبناء عشيرة الشماشقة الذين انتفضوا غاضبين، فحاولت ليليث إصلاح الوضع قائلة:

- توقف يا ديباج؛ فإن عزازيل لم يكن يعلم حقيقة الأمر.
- أحقا، حسنا أريد رؤية لاقيس ودهش.
- لاقيس في مهمة مع عزازيل، لقد ذهب لمحاربة المستنير يراع.
- إذن فليأت إلي دنهش لكي يشرح لي الوضع.

كان الجيش البابلي يللم جراحه، ويعد صفوفه بعد أن تدخل ديباج وأحدث بلبلة في صفوف جيش الظلام، فأمر القائد العام عمار جنوده بالانسحاب الكلي إلى الحي الملكي وترتيب الصفوف من جديد، ثم قال للملك مهلائيل:

- أسمع يا مولاي عزازيل ليس هنا، وهو يخوض حربا ضد ابنك يراع.

- يراع المسكين إنه لحمل ثقيل على عاتقه، فليكن إيل في جانبه. اقترب دنهش من الأمير ديباج وسط غضب العفاريت وقال:

- أيها الأمير يجب أن تتفهم الوضع، يمكن أن نناقش هذا الأمر بعد أن تنتهي المعركة، فيجب ألا تشق الصف وإلا غضب عليك أبي عزازيل. بسرعة أخرج الأمير ديباج سيفه وعرزه في بطن دنهش، فأرداه قتيلا وسط تهليل العفاريت وقال بصوت قوي:

- سيرعف عزازيل قوتنا فلولانا نحن العفاريت ما كان ليحقق هذا النصر العظيم.

أخرجت ليليث كرات النار وقصفت بها الأمير ديباج الذي كان سريع المناورة، فنشبت حرب بين العفاريت المؤيدين لديباج ضد جيش عزازيل.

اقترب الأمير ديباج من القائد عمار وقال:

- من حسن حظكم يا بني الإنس أنني ساعدكم في هذه المعركة. وأما الملك مهلائيل برأسه وقال القائد العام عمار:

- إذن فلننقض على جيش الظلام.

التحم القائد الأعلى سانوخ مع الأمير ديباج، فيما توجهت ليليث نحو الملك مهلائيل وضربته بكرة نار، فاعترض طريقها القائد العام عمار

بمعطفه الحامي وهاجمها، أما الملك فقد حمّله بعض الجنود وسحبوه إلى باب القصر لمعالجته من شظايا كرة النار التي أصابته.

في الجهة الأخرى من بابل، كان يارد ويائيل يصارعان جيش حنوك، الذي كان على وشك الفناء، إلا أن القائد مولوخ كان يتمتع بقوة كبيرة، ونفس طويل، فرفض الاستسلام، وظل يقاتل كلا من يارد ويائيل في آن واحد، ولا أحد منهما يستطيع الاقتراب منه لقوته.

قرر يائيل الإنقضاض على مولوخ من الخلف، معطيا الفرصة ليارد لمهاجمته من الأمام، إلا أن مولوخ كان أسرع منه، حيث لف سيفه للخلف مصيبا يائيل في بطنه فأسقطه أرضا، ثم ضرب رأسه ليشقه إلى نصفين وأرداه قتيلا على الفور.

صرخ يارد بقوة وعرّز سيفه بدوره في ظهر مولوخ، ثم فصل رأسه عن جسده وقال باكيا:

- لماذا يا يائيل ضحيت بنفسك!
فور مقتل مولوخ استسلم بقية جنوده ووضعوا سيوفهم على الأرض، فألقى عليهم جيش يارد القبض.

سأل أحد الجنود:

- ماذا نفعل بهم يا سيدي؟

رد يارد:

- أقتلوهم جميعا، وهيا بنا إلى ساحة القصر الملكي بسرعة.

-54-

قاربت الشمس على الغروب، وبدأت السماء تتشقق باللون الأحمر، وكانت الحكمة أم تعامة تشعر بالتوتر الشديد، كلما تأخر الوقت على خروج يراع، فظلت تمشي ذهابا وإيابا، إلى أن لمحتة خارجا من بوابة جنة عدن وهو منهار القوة، فظلت ترقبه إلى أن اقترب منها، بادية على وجهه علامة الشحوب والضعف.

فقالت الحكمة أم تعامة:

- أين هي فاكهة الحياة؟
رفع يراع رأسه بصعوبة وقال:

- أين هي ليلي؟
أجابت الحكمة وهي تدقق نظرها في كيس يراع:

- إنها بالجوار.

- لقد أخبرتني أنها ستنتظرنني. لم هي في الجوار؟
قالت الحكمة أم تعامة وهي تشد على يده:

- أخبرني أيها المستنير كيف صارت مهمتك داخل جنة عدن؟
- لا شيء هناك سوى السراب.
- اتسع بوبوا عيني الحكمة وقالت متعجبة:

- كيف؟ لا يعقل!!

- رفع إيل الشجرة عنده، إنها في منتهى الكون، ولا خلود هنا على الأرض.

- لا بد أنك تخفي سرا ما، أنظر إلى عيني يا يراع، إعترف أين فاكهة الخلود؟
- أيتها الحكيمة؛ أؤكد لك ألا فاكهة للخلود على الأرض.
- كانت الحكيمة على وشك البكاء من شدة التوتر، فأصبح جسمها يرتعد وقالت بصوت متقطع:
- لا تفعل بي كما فعل رأوبين؛ أرجوك أخبرني الحقيقة.
- أين ليلي؟ لقد تأخرت.
- أخرجت أم تعامة كرة نار من يدها وقالت:
- لقد قتلت ليلي، وسأقتلك أنت كذلك إن لم تمنحني فاكهة الحياة.
- ثم قذفت يراع بوابل من كرات النار الحارقة، إلا أنه احتوى بمعطفه الأسود الواقي وقال:
- هل جننت أيتها الحكيمة؟ كيف تفعلين بي وبليلى هذا الفعل الشنيع؟
- إن كنت سرقت فاكهة الحياة، واستأثرت بها لنفسك فلا بد أن تستعملها لتنقذها، فهي قاربت على الموت.
- أين هي؟
- هناك بين الأحرش.
- أشارت أم تعامة بيدها وأزال غطاءً سحريا كان يخفي ليلي، فرفع يراع رأسه ليشاهدها وهي جريحة ممددة على بركة من الدماء السوداء، فقال:
- تبا لك أيتها اللعينة، كيف قادتك حكمتك لفعل هذا العمل الشرير؟
- الحكمة يا يراع هي أن تخرج فاكهة الحياة لتنقذ ليلي من موت محقق.

حاول يراع سل سيفه لمهاجمتها إلا أن وابل كرات النار التي كانت تقذفه بها حالت دون التمكن من ذلك، حيث ظل في وضعية الدفاع والاحتماء من قصفها، فقال:

- لكن ليلى هي بمثابة ابنتك، لم فعلت بها هذا؟
بغضب شديد قالت وهي تواصل قذفه:

- لقد رأيت قلب ليلى الصافي، فحاولت استغلاله، أنا التي علمتها الطب، أنا التي علمتها أسراراً لم تكن تعلمها مدرسة الحكمة، في الأصل كانت مؤهلاتها لا تخول لها ولوج المدرسة لكنني أفنعت باقي حكماء بقبولها.

أتعلم أيها المستنير أنا التي أفنعتها كي تقوم برئاسة الوفد الذي زاركم في بابل بعد رفضها لطلب والدها برقان، وحفزتها على أن تحبك كذلك.

أتعلم السوار الذي في يدك أنا التي أعطيته لها لكي تمنحه لك، وليساعدك على اقتفاء أثرها، وأثر زهرة الحياة.

لقد تركت ليليث تخطف ليلى وتركتك تتبع جيشها، حتى تنزل إلى العالم السفلي، ولقد نزلت عن قصد إليكم لأخرجكم من بئر برهوت، فإنه الأقرب إلى جنة عدن.

لماذا فشلت الآن أيها الصبي؟ فلقد نجحت في كل المهمات التي أوكلناها إليك، فلماذا فشلت الآن!!

- أرجوك توقي، توقي أيتها الحكيمة فلا أستطيع الصمود.
صرخت أم تعامة بقوة قائلة:

- لماذا فشلت أيها المستنير؟

سقط يراع أرضا والتف بمعطفه وقال:

- لم أفضل، وإنما لا وجود للخلود في جنة عدن، فلقد رفع إيل الشجرة إليه في السماء.
أوقفت أم تعامة قصفها وقالت:

- مستحيل إنك تكذب، أنا أعلم أن شجرة الخلود على الأرض، عد إلى الجنة واقطف ثمرها لكي تنفذ ليلي.
استغل يراع توقف الحكيمة أم تعامة من قصفه بكرات النار فأخرج سيفه، ثم ركض نحوها بسرعة مستغلا دخولها في مرحلة شرود، لكن قبل أن يصل إليها تفاجأ بانبعث ثلاث قذائف متصلة أصابت ظهرها وأسقطتها أرضا.

سقط يراع بدوره وحاول التراجع إلى الخلف بعد أن لمح خلف أم تعامة كلا من الحكماء نموشالخ وكريير وفقطش مخرجين صولجاناتهم وهم يطلقون شرارات قوية صوب ظهرها إلى أن احترقت بالكامل وتحولت إلى كتلة رماد.

إقترب الحكيم فقطش من الرماد وقال:

- سحقالك أيتها الخائنة.

قال الحكيم نموشالخ وهو يساعد يراع على الوقوف:

- لقد كشفت مكان مدرسة الحكمة لعزازيل ثم انسحبت بليلى معرضة الجميع لخطر الظلام، وبسببها سقطت المدرسة.
استجمع يراع قواه، ثم ركض نحو ليلي، فوجدها قد نزلت دماء كثيرة والحروق تغطي كل جسدها، فحملها باكيا ثم صرخ بأعلى قوة قائلا:

- لاااا

إقترب الحكماء منه فقال لهم:

- أرجوكم افعلوا شيئا ما لإنقاذها. أرجوكم.
مد الحكيم فقطش ذراعيه الطويلتين وحمل ليلى ثم توجه بها بعيدا ووضعها على الأرض، ثم وضع يده على رأسها وبدأ يمسح جسدها المحترق، فرفع يراع عينه ليشاهد وصول كل الأسرى الذين تم تحريرهم من العالم السفلي إلى جنة عدن، فاقترب منه العفريت شام وقال:

- هل أنت بخير يا يراع؟

بكى يراع وقال:

- لا لست بخير مادامت ليلى ليست بخير.

قال العفريت شام:

- أفهم شعورك يا يراع، فلقد كانت لي أسرة كذلك؛ كانت لي زوجة محبة، وأطفال سعداء قبل أن يقتلهم الظلام ويأسرني.
عانق العفريت شام يراع الذي قال:

- كيف وصلتكم إلى هنا؟

- لقد وجدنا الحكماء الثلاثة كرير ونموشالخ فقطش وأخبرناهم بكل التفاصيل التي حدثت معنا، وحين أخبرناهم بأن الحكمة أم تعامة انفردت بك ولبلى وتوجهتم عبر نهر فيشون؛ استشاطوا غضبا وقرروا تعقبها، وقد كنا نرافقهم إلى أن وصلوا إليها، وهي تقذفك بكرات النار فتدخلوا لإنقاذك منها.

توجه يراع نحو الحكماء الثلاثة وقال:

- هل ستكون بخير؟

رد الحكيم نموشالخ:

- إننا نعمل ما في وسعنا لإنقاذ حياتها.
- وقف الحكيم كريس ونظر عاليا إلى السماء فقال:
- عزازيل وجنوده يقتربون من هنا.
- وقف الحكيم فقطش بدوره وقال:
- إنها جرأة كبيرة بأن يأتي إلى هذا المكان الذي سبق أن طرد منه
مذموما مدحورا.

-55-

حل جيش الظلام قرب جنة عدن، فأطلق عزازيل جناحيه عاليا في السماء بكل ما أوتي من قوة، فعم السواد، واختفت الشمس، وارتفع أزيز مرعب أطلقه جنود الظلام، وهم مسلحون بكل الأسحار والتعاويذ التي أعدها عزازيل خصيصا من أجل هذه المواجهة.

نزل عزازيل إلى الأرض، ورفع رأسه عاليا، فاستنشق الهواء القادم من جنة عدن بقوة، ثم أزال معطفه ليبرز عضلاته الضخمة؛ وعن يمينه وقفت ابنته لاقيس، وعن يساره أفعى ضخمة ذات رأس بحجم رأس البقرة، وخلفهم اصطف جند جيشه الجرار الذين اصطفاهم بنفسه ليشاركوا في هذه الحرب الحاسمة.

قالت لاقيس:

- سيدي لدينا أفضل المقاتلين هنا، وجيشهم لا يساوي إلا عشرة من جيشنا، نستطيع أن نطبق عليهم بسرعة.
- بالرغم من أننا نملك أفضل المقاتلين، إلا أن الأمر ليس بالهين.
نظر عزازيل إلى الأعلى وقال:

- أتذكرين هذا المكان يا ليموناي⁵⁴!!
- بالتأكيد وكأنه البارحة؛ أتذكر يا سطانيل ذاك اليوم؟!
أجاب عزازيل في قرارة نفسه "وكيف لي ألا أتذكر، فقد عبت إبل في كل شبر من هذه الأرض، وارتقيت بين القانتين، كنت أفضل العابدين ويضرب بي المثل في السماوات السبع بحسن العبادة وإتقانها، وفي

⁵⁴ هي حية كانت تحرس أبواب الجنة، وسمحت لعزازيل بعد أن طرد بدخولها من جديد لغواية آدم

الأخير تتم مجازاتي هكذا. لا يعقل أن يقدم إيل على منح هؤلاء البشريين التافهين السلطة للسيطرة على الأرض بهذه البساطة، فنحن أمة الجن أولى بها.

هل حبي لإيل قد أعمى عيني وأصبحت أرفض كل شخص آخر يقترب منه!!

هل عشقي له وصل لحد الغرور!!

لقد كنت أحب إيل، وأغار من كل من يحاول التقرب إليه.

لقد سقطت من الجنة، وتحول نوري البراق إلى ظلام دامس بسببك أنت يا آدم.

من هذه الجنة طردت، واليوم ها أنا واقف بالقرب منها، ولا أطمح إلى الغفران، بل أطمح إلى الخلود الذي كدت أن أناله ذات يوم، وبسببه أصبحت من المنذرين إلى اليوم المعلوم.

مهما طال بي الوقت سافنى وأموت، لذا يتوجب علي القتال الآن بكل قوتي، و إلا ضاعت هذه الفرصة إلى الأبد".

قالت الأفعى ليموناي:

- ما بك سيدي أراك شارداً الذهن؟

- لاشيء على الإطلاق

التفت عزازيل خلفه وقال:

- تقدما يا طيش وطوش أريدكما أن تأخذاً فريقاً من المردة وتخطفا لي ليلي إني أراها تحتضر وأريد أن تموت بين يدي.
وأما القائدان طيش وطوش برأسيهما وقالوا:

- حسنا سيدي سننفذ الأمر.

أطلق عزازيل صرخته القوية مؤذنا بانطلاق الحرب، فركض جيش الظلام كأنه موجة عاتية تحاول أن تتلقف الفارين من العالم السفلي.

قال الحكيم كرير:

- يراع.

- ماذا هناك؟ هل أصاب ليلي مكروه؟

- هل تستطيع الصمود في المعركة؟ لأن ليلي تحتاج إلى علاج مركز والوقت يداهمننا، قد تموت في أي لحظة.

- حسنا اهتموا أنتم بليلى، وأنا سأهتم بعزازيل.

انسحب كرير بصعوبة أمام ريح عاتية أطلقها عزازيل وتوجه نحو ليلي، ثم أطلق شرارة ضوء من صولجانه؛ صانعا قبة صغيرة تحميه وتحمي ليلي والحكيم فقطش الذي يعالجها، أما الحكيم نموشالخ فقد ظل خارجها، محاولا منع كل من يقترب منها من جيش الظلام.

إقترب العفريت شام من يراع وقال:

- ماذا سنفعل؟

أخرج يراع سيفه وقال:

- أخبرني يا شام إنهم يقاتلون من أجل الخلود، وأنا أقاتل من أجل

ليلى؛ أما أنت فلماذا ستقاتل؟

- سأقاتل من أجل الانتقام.

إبتسم يراع وأوما برأسه وقال:

- حسنا إنه وقت الانتقام، إنتقم من كل الشر الذي سبب لك الأذية؛

انتقم من أجل زوجتك وأطفالك الذين قتلهم الظلام، فهم الأجدر بالانتقام لاغير.

ركض يراع بقوة كالسهم لملاقاة عزازيل، وتبعه العفريت شام وبأقي طلاب مدرسة الحكمة، ثم خلفهم الأسرى من الممالك المنهارة، فكان بعضهم يخرج كرات النار من يده، والبعض الآخر يطير محلقا بجناحيه، إلا أن طلاب مدرسة الحكمة كانوا لوحدهم مرتبين جيدا، ويجيدون فنون القتال وسبل إبطال طلاسـم السحر العزازلي الأسود، فكان الطالب منهم يحمل حفنة من تراب الأرض، فتتحول في أيديهم إلى سيوف طويلة ذات قبضات بلورية براقـة، تستعمل لإطلاق كرات النار الحارقة.

وسط رياح عاتية ساخنة، اشتبك الجميع وتحول الظلام الذي أطلقه عزازيل إلى نور بسبب كثرة كرات النار المقذوفة بين الطرفين، فيما كان فريق من المردة بقيادة طيش وطوش يحاولون قصف القبة الحامية من أجل الوصول إلى ليلي، فكان الحكيم نموشالـخ يقتل كل من اقترب منها بالرغم من كثرة عددهم.

وصل يراع قرب عزازيل، فحاول أن يهاجمه بسيفه، إلا أن عزازيل كان سريع الاختفاء، حيث كان يختفي بسرعة، ثم يظهر فجأة في الجهة المقابلة، ثم يلتف حول يراع ويختفي مجددا، فصرخ يراع قانلا:

- هيا واجهني أيها الجبان لماذا تختفي؟

مباشرة بعد صراخه، أحس يراع أنه يفقد أعصابه ويزداد توتره، فعلم أن هذا هو هدف عزازيل، الذي يعمل على إنهاكه وتشتيت تركيزه ودفعه للغضب حتى يتمكن منه بسهولة.

وقف يراع في اتجاه واحد، وأخذ نفسا عميقا، فظهر عزازيل أمامه مباشرة، إلا أن يراع استعمل البلورة الكاشفة المزروعة في عينيه، فلاحظ أن صورة عزازيل التي أمامه مجرد طيف، أما عزازيل فيحاول الاقتراب إليه من الخلف لينقض عليه.

و بدون سابق إنذار أدار يراع سيفه إلى الخلف، وطعن به عزازيل
الذي خر على الأرض يتلوى بعد أن أصابه مباشرة في بطنه.

كان جميع من يشارك في الحرب يعلم قصة عزازيل، فقد أنذر من
طرف إيل أن يظل حيا إلى نهاية العيش على الأرض، لكنه الآن قد طعن
من طرف المستنير بالرغم من تخفيه، وهذا سبب له إهانة جديدة وسط
جيشه شبيهة بالإهانة التي تلقاها في الجنة قبيل سقوطه إلى العالم
السفلي.

-56-

وصل يارد بجنوده إلى الحي الملكي فقال أحد الجنود:

- سيدي لا نستطيع اختراق هذا الكم الهائل من الظلام كأنهم موجة واحدة متراسة.
- أنت محق، لكن اتبعوني فأنا أعرف طريقا مختصرة وسرية تؤدي إلى المعبد، ومنه مباشرة يمكننا الخروج من القصر الملكي.
غير جنود يارد مسارهم ثم التفوا حول الحي ودخلوا ممرا سريا طويلا أدى بهم إلى المعبد ومنه توجهوا إلى القصر الملكي، ثم ركضوا نحو البوابة الأمامية، حيث شاهد يارد أباه الملك مستلقيا على الأرض يتلقى العلاج، وأمواجا من جنود الظلام وهي تجتاح المكان، مما دفع القائد عمرام إلى التراجع نحو الخلف، ولولا جنود الأمير ديباج من العفاريت الذين تمكنوا من صد الموجة ولو قليلا لوصل سيل الظلام إلى داخل القصر.

إقترب يارد من أبيه مهلائيل وقال:

- أبي لماذا خرجت من قصرك.
- أفضل أن أموت واقفا في المعرك..
وقبل أن يكمل جملته أصابتهما كرة من النار، فسقط يارد قرب أبيه الملك، ثم استجمع قوته بسرعة، وقفز مع بعض جنوده لمقاتلة الجن.

قال القائد العام عمرام:

- يا يارد لا تقاتل العفاريت فإنها تحارب لجانبنا.

إندهش يارد وهو يشاهد فصيلة العفاريت تقاتل إلى جنبهم ضد جيش الظلام فقال:

- هذا ما أشاهد، كيف انقلبوا على بعضهم البعض.
 - إنها حكاية طويلة، أخبرني هل نجحت في مهمتك؟
- أوما يارد برأسه ورد:

- نعم، لقد قتلت مولوخ وجنوده لكننا فقدنا يانيل.
فجأة ارتمت ليليث على القائد عمرام وأسقطته أرضاً، ثم ارتمى حوله جند الظلام، فحالوا بينه وبين يارد، فكان القائد العام عمرام يقاتل بقوة ويحتمي بمعطفه من ضربات كرات النار التي كانت تمتصها بسهولة.

تحولت ليليث إلى أفعى، والتفت بجسم عمرام ثم نزعت عنه معطفه وخوذته، وبصعوبة بالغة تمكن من التخلص منها، فتحولت إلى هيئة نسر عملاق، وأثناء مقاتلتها تعرض جسد عمرام إلى عدة ضربات بالسيوف أفقدته قوته.

لم يعد القائد العام يقوى على الوقوف، ولا يستطيع الرجوع إلى الخلف، بعد أن أحاط به كل أصناف الجن، واقتربت منه ليليث التي تحولت إلى هيئتها الأولى فنظر إلى عينيها بكل قوة، لكن رأسه ارتفع عالياً في السماء، فشاهدت عيناه ببطء كبير مشاهد الجن وهي تجتاح بوابة القصر إلى الداخل، ثم نزل رأسه رويداً حتى لمح يارد وهو يقاتل رفقة جنوده بكل بسالة، فاطمأن قبل أن يتدحرج رأسه على الأرض بعد أن فصل عن جسده المائل بكل شموخ بين مئات الجثث.

كانت ليليث قد ضربت رأس عمرام بعد أن تأكدت من عدم قدرته على المقاومة، ثم نظرت نحو سانوخ فشاهدته يسقط قتيلاً بين يدي الأمير ديباج، فقالت بصوت غاضب:

- يا ديباج لقد قتلت سانوخ ودهش، سينتقم منك عزازيل شر انتقام.
- لو كان هنا لقاتله على الفور.
- ركضت ليليث مسرعة نحو القصر الملكي داعية جنودها إلى إغتمام الفرصة وقتل الملك مهلائيل.

-57-

اقتربت لاقيس من الحكيم نموشالخ، وأرسلت شرارة قوية من يدها نحو القبة الحامية لليلي، إلا أن الحكيم اعترض طريقها بشرارة أخرى، فحط كل من طيش وطوش على جانبيه مستغلين تركيزه ضد لاقيس وارتميا عليه لإمساكه، إلا أن قوة الحكيم نموشالخ كانت تفوق قوتهما فأرداهما قتيلين على الفور.

هربت لاقيس من المواجهة متعمدة إبعاد نموشالخ عن القبة الحامية التي انقضت عليها الحية ليموناي فهي تستطيع إبطائها.

أحس الحكيم كرير بالخطر وأن صولجانه لن يستطيع الصمود أكثر أمام أنياب الحية المطرودة من جنة عدن فقال:

- أيها الحكيم فقطش، أسرع في علاج ليلى فلم يعد لي الكثير من الجهد لمقاومة هذه الأفعى الملعونة.
- لقد عالجت جميع جروح جسدها لكنها لا تستجيب، أخشى أن تموت.

- أنت تعلم أن يراع يقاتل من أجل ليلى حاول ألا تخسرها.
إنقض الحكيم نموشالخ على لاقيس، وأسقطها أرضاً فقالت له:

- أرجوك لا تقتلني.
وجه الحكيم صولجانه إلى رأسها وقال:

- وما يمنعني من ذلك!!
- سأبيع روحي إليك، وأكون خادمتك مدى الحياة.
إبتسم الحكيم نموشالخ ورد:

- أنا موافق.

إبتسمت لاقيس بدورها، لكن الحكيم نموشالغ فجر رأسها بصولجانه وقال:

- ما أكذبكم يا جيش الظلام.

ثم ركض مرة أخرى نحو الأفعى ليموناي.

سقط يراع أرضا بسبب كثرة كرات النار التي أصابته من طرف عزازيل، فحاول العفريت شام الاقتراب منه لمساعدته، لكنه لم يستطع لكثرة المردة الذين أحاطوا بيراغ وفصلوه عن باقي جنوده، فقال يراع:

- يا شام اذهب عند الحكماء وأنقذ ليلي إنهم في حاجة إليك.

رفع عزازيل يده عاليا وقال:

- يا جيش الظلام أحتاج قوتكم وكل السحر الذي علمتكم، وكل الحقد في قلوبكم بأن نضرب المستنير ضربة واحدة ونقضي عليه.

بينما يراع يستجمع قوته ليقف على قدميه، رفع عزازيل كرة حمراء متوهجة إلى السماء فأطلق عليها جيش الظلام شرارات قوية، لتتكون سحابة حمراء ضخمة محملة بالبرق، وهي تتموج وتكبر بسرعة مغطية كل مساحة المعركة.

أزال يراع معطفه الوافي ورمى سيفه على الأرض، فقال عزازيل:

- هل تستسلم أيها المستنير؟! إن طاقتك الآن لن تقوى على طاقتي،

فالأفضل لك أن تسجد لي كي أبقى على حياتك وحياة ليلي.

توقفت المعركة، وحل الصمت المطبق، فالكل يتربق قرار يراع بعد أن أسقط سيفه ونزع معطفه الحامي، وبعد أن تحولت السحابة الحمراء إلى دوامة هوائية كأنها إعصار عمودي يدور بقوة مباشرة فوق رأسه.

قال الحكيم كرير:

- أيها الحكيم فقطش، أتظن أن يراع سيستسلم لعزازيل؟
- لا أظن، فقد أضاعت في قلبه شعلة نور لن تنطفئ أبداً، لكنني أخشى أنه لن يستطيع مجابهة كل هذه الطاقة التي ستسقط على رأسه.
- هل يجب أن نساعدته؟
- خلل فقطش لحيته وقال:
- لا، لن نستطيع ذلك.
- ارتفع أزيز قوي فوق يراع فقال عزازيل:
- هيا اسجد لي وإلا دمرتك أيها الفتى.
- أغمض يراع عينيه وقال:

- ليتقدس اسمك يا إيل، ليأتي ملكوتك، لتكن مشيبتك كما في السماء كذلك على الأرض، واغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا في التجربة، لكن نجنا من الشرير، لأن لك الملك، والقوة والمجد إلى الأبد. أمين"⁵⁵

صرخ عزازيل بكل قوته، ثم أنزل إعصاره العمودي كالصاعقة على رأس يراع مباشرة، فحدث انفجار ضخم أضاع كل المكان، وبعد أن انقشع الضباب ظهر يراع واقفاً لم يتعرض لأي أذى من سحر عزازيل، ففرح الحكماء الثلاثة، وطلاب مدرسة الحكمة، وباقي الأسرى المحررين من العالم السفلي.

أسرع الحكيم نموشالغ للانقضاض على الأفعى ليموناي، ثم صعد العفريت شام على رأسها، فضربها ضربه واحدة بجناحيه فقتلها على الفور.

⁵⁵ انجيل متى مقتطف من الاصحاح 6 "بتصرف"

تجددت المعركة، فأحس عزازيل بالرعب من يراع، وحاول الفرار منه بعيدا محلقا في اتجاه السماء. أغمض يراع عينه، ثم طار بدوره في السماء مطاردا إياه، فزاد رعب عزازيل الذي قال بفرع:

- تبا لك، إنك تستخدم عناصر الطبيعة.
- نعم أيها الظلام فعناصر الطبيعة ستدرك.
أخرج يراع من يديه كرات نار قذف بها عزازيل ليبيطئ سرعته، ثم لحق به والتحم معه وقال:

- أيها الظلام سأدرك كما دحرت سابقا في جنة عدن.
- سأدمركم أيها البشر الفانون، سأتابع خطواتكم وأسقطكم عندي في العالم السفلي.

وضع يراع يده على رأس عزازيل وأخرج شرارة نارية فأحرقه ثم سقطا معا من السماء العالية نحو نهر فيشون.

صرخ عزازيل:

- إن نهر الجنة يحرقني، إن ماءها يعذبني، لا أستطيع التحمل.
ثم ذاب في الماء كما يذوب الملح، واختفى من الوجود.

إختفى السواد المخيم على أجواء المعركة، فظهرت أشعة الشمس التي أحرقت ما تبقى من جند الظلام، ثم تساقطت شتاء قوية على جنة عدن، فاقترب الحكيم فقطش من يراع وقال:

- أيها المستتير إن ليلى بخير.
خرج يراع من نهر فيشون ثم ركض نحو ليلى، عانقها بقوة أمام تصفيق الجميع، فانهارت عيناه بالبكاء وقال:

- لقد كنت خائفا أن أفقدك يا ليلى.

بكت ليلى بدورها وقالت:

- أحبك أيها المجنون.

وضع الحكيم نموشالغ يده على كتف يراع وقال:

- مجنون ومتهور ولا يتوقع سلوكه، هذا ما أريك عزازيل.

قال الحكيم كرير:

- إنها تمطر بقوة، إن هذه الأرض لم يسقط عليها المطر منذ خروج

آدم.

وضع الحكيم ففطش يده على كتف الحكيم كرير وقال:

- إنه فصل الشتاء، وأتمنى لمطره أن يغسل هذه الأرض من

الشرور التي زرعتها عزازيل.

اقترب منها يراع وقال:

- كيف هي أحوال بابل؟

رفع الحكيم ففطش رأسه إلى السماء وقال:

- للأسف فلقد تم تخريبها.

- وهل نستطيع الانتقال إليها بسرعة؟

- نعم تستطيع، فأنت المستنير؛ ويمكنك نقلنا بسرعة البرق.

أغمض يراع عينه ودمدم بكلمات بسيطة، فأحاطت كرة برق زرقاء

أجساد الجميع، ثم نقلتهم بسرعة إلى بابل، وبينما كان يارد مع ما تبقى

من جنوده يتفقد الجرحى والقتلى؛ حطت كرة البرق قربهم فأخرج

الجميع سيوفهم فقال يارد:

- لا تفلقوا فهذه الكرة أعرفها.

ظهر يراع أولاً فركض نحو أخيه يارد، عانقه وقال:

- أين أبي الملك مهلائيل لأحدثه عن انتصاري ضد عزازيل.
- لقد مات أبي متأثراً بجراحه بعد أن تلقى كرات نار سحرية، وقتل القائد العام عمram ببسالة، وظلت جثته واقفة تأبى السقوط، كما قتل يانيل في معركة مشرفة ضد مولوخ.
- ركض يراع نحو جثة أبيه فعانقها وبكى بقوة وقال:
- آسف يا أبي لم أتمكن من إنقاذك.

-58-

مضت عشرة أيام على انتهاء المعركة الكبرى التي جرت رحى حربها في عدن وبابل، وانتهت بفرار عزازيل والقلعة القليلة معه إلى وادي هنوم، بينما أغلب جيشه تعرض للدمار والسحق على يد بني الإنس ومدرسة الحكمة.

حل الحزن في العالم السفلي، وظل عزازيل منكفئا على وجهه، حزينا لما لحق به من خسارة فادحة، وضاعت هيئته في العالم الأرضي. كانت ليليث تحاول الاقتراب منه طيلة العشرة أيام التي مضت بعد المعركة الكبرى لكن دون جدوى، فقررت أن تقتحم خلوته، وفتحت باب عرشه الذي ساد فيه الظلام.

دخلت ببطء وسط الظلام الدامس بسبب انطفاء كل المشاعل وقالت:

- سيدي عزازيل؛ أرجوك، نحن بحاجة إليك.
لم تستطع ليليث رؤية عزازيل لكنها سمعت صوته في الظلام يقول:

- إجمعي ما تبقى من جيشي سنغادر وادي هنوم.

- حسنا أمرك سيدي.

- هيا انصرفي.

إنصرفت ليليث مسرعة من قاعة العرش المظلمة، حيث أصبح عزازيل عبارة عن دخان أسود يطوف في سقفاها، متسانلا عن مصيره بعد فشله في المواجهة ضد بني آدم.

"لا يمكن لأبناء آدم هزيمتي، كما هزمني سابقا أبوه؛ مستحيل، لقد كان خطني في المواجهة المباشرة معهم، الأكيد أنهم سيسيطرون على الأرض، لهذا يجب أن أضع خطة جديدة لهم.

سأحاربكم يا بني آدم بالقرائن التي ستلتصق بأرواحكم، وبالشياطين التي ستذب في عروقكم، سأسكنكم بالليل والنهار، لن تروني ولن تروا جنودي الشياطين؛ سأشعل الحرب فيما بينكم، وكذلك سأفعل مع الجن الذين تمردوا على إرادتي، وسأدمر هذه الأرض انتقاما من غايا التي خانتني وتسببت في هزيمتي.

تبا لكم يا معشر الإنس، سأدمر عالمكم، وسأجعلكم تعيشون في الظلمات والجوع والحرب، إلى أن تدمروا أنفسكم بأنفسكم، وسأقف على يمينكم وعلى يساركم ومن تحتكم ومن أمامكم ومن خلفكم، حتى تضلوا وتسقطوا إلى عالمي السفلي أفرادا وجماعات، فهذا هو سحري الجديد لكم الذي سيكون أفضل من السيف".

ضحك عزازيل ضحكة قوية ثم عاد إلى هيئته السابقة التي تشبه بني البشر، وخرج من قاعة العرش، لكي ينقل مملكته إلى الطرف الآخر من الأرض.

-59-

أعد يارد لضيوفه سقيفة من قصب وأوراق النخيل، جعلها بين أشجار الليمون في الباحة الملكية؛ وتحت جو ماطر جلس كل من يارد ويراع وليلي من جهة، ويقابلهم كل من الحكماء الثلاثة كرير و فقطش ونموشالغ في الجهة المقابلة، وعلى جانبهم جلس العفريت شام، والأمير ديباج؛ الذي أصر يراع على حضوره معهم.

دار نقاش طويل بين الجميع ثمنوا فيه مجهود بعضهم، وشكروا ديباج لمساهمته في الحد من اجتياح ليليث للقصر الملكي، ولولاه لتم القضاء على الأسرة الحاكمة والمرضى المختبئين في المعبد، وشكروا يراع على النصر الذي حققه ضد عزازيل، وتدمير حلمه في السيطرة على الأرض.

قال الحكيم فقطش:

- نحن الثمانية من سيحدد مصير العالم، يجب أن نكون حكماء في اختياراتنا.

رد الحكيم كرير:

- إن أي قرار سنتخذه الآن، ستكون عواقبه مؤثرة إلى الأبد.
قال يارد:

- إن ما يجمعنا هو أن لنا عدوا مشترك، فيجب أن نحاصره، حتى لا يتمدد من جديد.

اتفق الجميع على توقيع معاهدة سلام بين الجنسين؛ بني الإنس من جهة، وبني الجن من جهة أخرى وذلك لتحديد سبل العيش المشترك

على هذه الأرض، بما يضمن توفير الحماية واستمرارية الوجود، كما عهد إلى يراع ومن يخلفه من نسله حفظ سر العناصر الأربعة وزهرة الحياة، حتى لا تقع في يد تسيء استعمالها، وقد تنتقل معارفها إلى الظلام فيتجدد من جديد.

قال يارد:

- أظن أنه لا يجب أن يقع احتكاك بين الإنس والجن وإلا تجددت الحروب بينهم.

رد الحكيم نموشالخ:

- أوافقك الرأي يا يارد.

وقف الحكيم فقطش وقال:

- بالنسبة لبني الجني فقد مروا بتجارب مريرة منذ وفاة سوميا إلى الآن، أعتقد أن أي توزيع للحكم فيما بيننا يجب أن يكون عادلا حتى لا تتجدد النعرات من جديد.

رد ديباج:

كذلك على بني الإنس أن يحددوا ملكهم الذي سيخلف الملك مهلائيل.

مسك يراع يد ليلي وقال:

- في هذا الأمر ليست هناك مشكلة، فالحكم سيكون لأخي يارد ولسلالته من بعده.

إبتسم يارد وقال:

- لا يا أخي ستكون شريكي في الملك.

- أعتذر أخي، فلدي خطط أخرى مع ليلي.

جلس الحكيم فقطش قرب يراع وقال:

- دعونا إذن نسجل ما سنتفق عليه في كتب تبقى خالدة.
رد الحكيم كرير:

- أقترح أن نسجل ذلك في ثلاث كتب. الكتاب الأول يسجل فيه ما وقع منذ وفاة سوميا إلى سقوط عزازيل، وكتاب ثانٍ يسجل فيه المعركة الكبرى التي تحالف فيها الجن مع الإنس، ضد فريق آخر من الجن والإنس وأدت إلى هزيمة عزازيل وفراره، وثالث يسجل فيه ما سنتفق عليه لحماية الأرض، وتقسيم الحكم فيما بيننا. وأن يكون لكل كتاب نسخة أخرى، فتترك واحدة عند بني الإنس والثانية عند بني الجن.
قال يراع:

- هذا تقسيم ممتاز.

كلف الحكيم نموشالغ بإعداد الكتب وتدوين ماسيتفق عليه، إلى أن وصلوا للكتاب الثالث، فاقترح الحكيم فقطش أن يقسم العالم الأرضي إلى نصفين، نصف مادي لبني الإنس يرصد له عنصرا الطبيعة الماء والتراب، ونصف روحاني لبني الجن يرصد له عنصرا الطبيعة النار والهواء، وكل نصف يكمل الآخر ويحفظ توازنه واستقراره.

وافق الجميع على هذه النقطة، ثم اقترح الحكيم فقطش أن يكلف يارد بتسيير أمور الإنس وملكهم، أما الجن فيعاد تأسيس الممالك السبعة على أن يتم التناوب في الحكم بالوقت وليس بالمكان، فكل مملكة ستحكم يوما خاصة بها، ليتم التناوب كل أسبوع على ذلك، وألا تتدخل مملكة في يوم مملكة أخرى.

وافق الجميع على هذه النقطة، ثم قال الحكيم فقطش مجددا:

- ولضمان عدم احتكاك عالم الجن مع عالم الإنس، ولقطع الطريق على عزازيل أقترح أن يتم الفصل النهائي بين العالمين.
قاطعه يراع قائلا:

- لا، أنا أعترض على هذه الفكرة.
قال الحكيم نمو شالخ:

- لماذا أيها المستنير؟

- إذا فصلنا العالمين عن بعضهما البعض، يعني أنني لن ألتقي بحبيبتي ليلي مجددا، ستحبس هي في العالم الروحاني، وسأحبس أنا في العالم المادي.

نظر الحكيم فقطش في عيني ليلي الحزينة فقال:

- يا بنيتي طيلة الاجتماع وأنت صامته، أعلم أنك لا زلت في مرحلة العلاج، لكن نحتاج إلى أن نسمع قرارك.
خفضت ليلي رأسها فقال فقطش من جديد:

- نحن نكتب عهدا جديدا للأرض، ونظاما سنسير عليه إلى الأبد، فإذا وافقت على البقاء في العالم الروحاني وفراق يراع، سيعيش الجميع سعدا، وسننقل بابا يستطيع منه الظلام الدخول إلى العالم الأرضي وأن يعيث فيها فسادا.
قالت ليلي:

- تطلب مني أيها الحكيم فراق يراع ليكون العالم بخير، كأنك تطلب مني أن أموت لأخلص العالم من شرور الظلام.
- نعم نحتاج إلى تضحيتكما للقضاء النهائي على الظلام ومحاصرته في ركن بعيد من العالم السفلي.
نظرت ليلي في أعين يراع وقالت بكل ثقة في النفس:

- أرفض هذا القرار، لن أفارق يراع ما حييت.
أمسكت ليلي يد يراع وقبالتها وأكملت:

- أموت فيك وحدك أيها المجنون.

قبل يراع يد ليلى وقال:

- كنت أعلم أنك لن تستسلمي لضغوط فقطش.
تدخل العفريت شام وقال:

- لتفادي هذا المشكل أقترح أن أكون حارسا بين العالمين وقاضيا
أفضل في المنازعات التي قد تقع بين الطرفين.
قال الأمير ديباج:

- وأنا كذلك على استعداد لمساعدة العفريت شام من عشيرة هارش
على هذا الأمر.
رد الحكيم فقطش:

- شامهارش وديباج لكما هذا.
التفت فقطش نحو يراع وقال مجددا:

- سيفصل العالمان عن بعض، وسنترك ممرا بينهما، سيحرسه كل
من ديباج وشمهارش وليفصلا في المنازعات التي قد تحصل بين الجن
والإنس المتعاملين مع بعضهم البعض.
أوما الجميع برأسه فقال الحكيم فقطش:

- هل من معترض؟
لم يعترض أحد، فقال يراع:

- ما يهمني هو أن تظل ليلى بجانبني.
وضعت الأختام على الاتفاقية، واحتفظ الإنس بنسخة عند يارد بن
مهلائيل، ونسخة ثانية عند الحكيم فقطش، فانتهى الاجتماع، وتوجه
الجميع إلى مائدة الطعام التي أعدت احتفاءً بالنصر، وبتوقيع الاتفاقية،
ونخبا ليوم جديد ومستقبل آخر غير الحرب.

في الطريق أمسكت ليلي بيد يراع وأوقفته وقالت:

- يجب أن أخبرك بأمر.

- ما هو؟!!

- أنا حامل.

دمعت عينا يراع، وبلهفة عانقها وقبلها، ووضع يده على بطنها وقال:

- بالفعل إنني أسمع حركاته، كيف غفلت عن هذا الأمر!! إنه أهم خبر في حياتي، فهيا بنا إلى أمي دينا لكي نخبرها بهذا الخبر المفرح.
- إنتظر يا يراع فهذا الطفل سيكون أول مخلوق نصفه إنسي ونصفه الآخر جنّي، يجب ألا نخبر أحدا بهذا الأمر.
توقف يراع، ونظر إلى ليلي وقال:

- لقد أصبحت حكيمة يا ليلي، نعم يجب ألا يعلم أحد بخبر هذا الجنين حتى قد يتعرض للأذى.
- قد يكون طفلا خارقا يتميز بقدرات مشتركة، فهو مزيج بين الإنس والجن، وأبوه هو المستنير وحامي زهرة الحياة.
- أنت محقة لو علم الظلام بنشأته، فسيكسر كل جهوده من أجل اختطافه أو قتله.
- إذن يجب أن ننزوي بعيدا عن الجميع، وألا يعلم أحد بمكان تواجدنا.
- هيا بنا ننسحب في صمت، ونغادر هذا المكان.

-60-

فتحت عيني ببطء، فقد كنت مشئت الرؤية، ومشوش التفكير، لا أذكر ما حدث لي، فكل ما أذكره هو أنني كنت في مكان مظلم، ثم فقدت وعيي بعد أن أحسست بفزع كبير لا زال قلبي منقبضا بسببه.

تساءلت في نفسي:

- أين أنا!!

أدرت رأسي ببطء، لأرى صورتي منعكسة على زجاج النافذة وضمامات العلاج على رأسي، وقناع الأوكسجين على أنفي، فأغمضت عيني، ثم غفوت غفوة صغيرة، لا أدري كم من الوقت استغرقت للنهوض مجددا.

بالرغم من شعوري ببعض الدوار، فإني كنت أشعر بتحسن كبير، فاقترب مني طبيب يرتدي ثوبا أبيضاً، وأشعل مصباحاً صغيراً، ووضعته قرب عيني ثم قال:

- أنت في تحسن يا إلياس، هل تسمعني جيداً؟
قلت وأنا أحاول تحريك يدي بصعوبة:

- نعم، أسمعك جيداً.

- أنا الطبيب أحمد، وأنت الآن بالمستشفى تتلقى العلاج.

- ولكن ماذا حدث لي؟؟

- هل تتذكر شيئاً يا إلياس.

- آخر شيء أتذكره هو أنني كنت في غرفتي، وكان صوت الرعد قويا ثم فجأة عم الظلام، وأحسست أنني أسبح في دوامة لا متناهية إلى أن استرجعت وعيي هنا.

- لقد تعرضت لحادث قبل ثلاثة أيام، لكن ما يهم الآن هو أن جسمك يتماثل للشفاء بسرعة، وبطريقة عجيبة.

حاولت تعديل جلستي، لكن المصل الذي كان مثبتا في عروقي حال دون ذلك فقلت:

- لكن ذاكرتي لا زالت مشوشة.

قال الطبيب وهو يتفحص جروح جسمي:

- لا تقلق ستسترجع عافيتك كاملة، وستخرج من المستشفى بعد ثلاثة أيام على أبعد تقدير.

- آه، كائني كنت في كابوس مزعج، لقد كنت أقاتل الوحوش في مكان مظلم.

- لقد كنت تتصارع بين الحياة والموت، سأخبرك بأمر مهم، لقد كنت على وشك الموت، فلقد توقف قلبك، لكن بفضل الصدمات الكهربائية أعدنا تنشيطه، ثم بدأ جسمك يستجيب للعلاج بسرعة مذهلة، كانت الجراح تندمل بسرعة، وكان قوة خفية كانت تساعدنا على إنجاح العملية.

- أحس كأن لي رغبة في الركض، فلقد نمت مدة طويلة.

- استرح الآن، فصديقك إدريس وبعض الأشخاص يريدون زيارتك.

بعد استراحة قليلة دخل إلى غرفتي صديقي إدريس وبعض أفراد أسرتي، ومجموعة من الأصدقاء والطلاب الذين أدرسهم لكي يطمئنوا على حالتي، فأخبروني بما حدث للفندق، وأني كنت المصاب الوحيد فيه، وكان البرق الذي أصاب الفندق، قد استهدف غرفتي فقط، فتسبب في انهيارها.

قلت لهم:

- أصدقائي أحتاج إلى الخروج قليلا من هذه الغرفة، أحس باختناق، وظهري يؤلمني من كثرة النوم، وأحتاج أن أجلس قليلا.
 ذهب إدريس إلى الممرضة فأخبرها بالأمر، فسمحت لي بالخروج قليلا إلى قاعة الاستراحة، ثم أزلت المصل من يدي، وأجلستني على كرسي متحرك، فتوجهوا بي إلى قاعة الاستراحة، ثم قام أحد الطلاب بإشعال جهاز التلفاز، فكنت مع موجز لنشرة الأخبار.

قالت المذيعة:

نشرة الأخبار إليكم العناوين

- تجربة نووية رابعة في كوريا الشمالية تتسبب في هزات أرضية متفرقة في العالم وإدانة دولية واسعة لهذه التجربة.
 - إطلاق غاز السارين في الضاحية الجنوبية لبيروت، وسقوط المئات من القتلى.
 - انفجار سيارة مفخخة في سوق شعبي في بغداد تخلف أربعة وعشرين قتيلا.
 - انفجار لغم في مدينة جدة وإحباط هجوم إرهابي جديد على مكة.
 - عاصفة رملية قوية تضرب الصحراء الإفريقية الكبرى، وبداية انتشار مرض الطاعون بعد الجفاف الطويل لدول الصحراء.
 - إحصار هايان يضرب الفلبين من جديد ويخلف مئة ألف قتيل.
 - بركان آيسلندا يثير الفرع في كل أوروبا وبدء عملية إجلاء واسعة.
- قالت المذيعة مجددا:

- إعصار بابل يصل إلى الدرجة الخامسة بسرعة رياح بلغت 340 كم/الساعة متوجها إلى الشواطئ الأمريكية، وخوف من تسونامي جديد.

مسك إدريس جهاز التحكم عن بعد، وقام بتغيير القناة قانلا:

- ماهذه الأخبار الحزينة! يكفي ما عشته يا إلياس من أحداث أليمة. لم أكن أنتبه إلى كلام إدريس بقدر ما بقيت كلمة بابل التي نطقتها المذيعنة تتردد في أذني، فاسترجعت ذاكرتي كاملة، والكتاب الذي عثرت عليه في قبر شمهورش، ثم تذكرت الأحلام التي كنت أحلم بها قبل أن أستفيق من العملية الجراحية.

فجأة عم الصمت داخل قاعة الاستراحة وتجمد الجميع في أمكنتهم بدون حركة، كأن الزمن توقف بنا، فدخل إلى القاعة رجل طويلة القامة وقال:

- إنها ليست أحلاما يا إلياس، إنها أحداث وقعت بالفعل، وزرعناها في ذاكرتك.

قلت بفرع شديد وأنا أشاهد من حولي متجمدي الحركة:

- من أنت، وماذا تريد؟

قال الرجل الطويل:

- أنا اسمي شام، وأنا حارسك الشخصي أيها المستنير، فحينما سقطت في مقامي، وسال دم جبينك على أرضي، حينها علمت أنه دم منبعث من دم يراع وليلى، إنها دماء المستنير الأخير، ولقد حان الوقت لمواجهة الظلام، فإنه قادم لقتلك.

- لحظة لم أستوعب الأمر بعد.

- حين سال دمك على مقامي بدار الدباغ صرت مكشوفاً لعزازيل،
وهو من قصف غرفتك بكرة نار محاولاً قتلك، وهو الآن قادم إليك فهي،
بنا نغادر المكان.
- إلى أين سأغادر؟
- إلى مقر مدرسة الحكمة فهو المكان الآمن الوحيد في العالم.

إنها أكثر من رواية .. إنها رسالة.